جَور الزمان

تأليف: خيرات الأبرش

دار رقي للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتبة: خيرات الأبرش.

عنوان الكتاب: جَور الزمان.

سنة النشر: ٢٠٢٤م

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي للكتاب والتدقيق النحوي واللغوي والإملائي للكتاب: دار رُقِي للنشر الإلكتروني.

حقوق محفوظة للكاتبة والناشر©

دار رُقيّ للنشر الإلكتروني

darruqy@gmail.com

حساب الدار على مواقع التواصل الاجتماعي: @dar_ruqy

EBIN: 53-2-1-240615

EBIN:53-2-1-240615

جَور الزمان

خيرات الأبرش

إهداء

إلى أمي التي دعمتني.

إلى أبي الذي افتخر فيّ.

إلى إخوتي الذين تربطني بهم علاقة لا يمكن التخلص منها.

أهدي هذه الرواية.

وإلى تلك المعلمة التي أهدتني أول كتابٍ امتلكته.

إلى تلك المعلمة التي أهدتني مجموعة أقلام وأهدت بقية زميلاتي حصالة نقود!

أهدي انجازي.

والأهم إلى (الشكولاته).

المقدمة

نوفمبر بعد ثماني عشر سنه من ميلادنا.

أشعة الشمس تخترق عينيّ، إنه الصباح...

ربما علي أن أعتاد الأمر!

أبعدت الملاءة عني ... أمسكت قدماي، وأنزلتهم من السرير.

رفعت نفسي إلى الكرسي مستندةً على ذراعيه.

أيَّامي هكذا منذ أن ماتت... لكن علي أن أعتاد الأمر!

وصلت الحمام... فتحت الصنبور... الماء بارد... لكن هذا ما أحتاج إليه الآن فعلًا!

وضعت سدادة المغسلة وفتحت الصنبور إلى أن امتلأ حوضها.

ثم أغرقت رأسي في الماء البارد! أريده أن يتخلل فروة رأسي وصولًا إلى دماغي المشتعل ويطفئه!

لا أعلم كيف وصلت لهذه الحالة! سابقًا كنت أكتفي بغسل وجهي بالماء الفاتر في محاولة مني بتقليل الضغط، لكن الأمر تطور إلى هذا الحد فجأة!

صوت مجد يصرخ خلف الباب... أحتاج دقيقة أخرى، دقيقة أخرى يا مجد وسأفتح الباب! لكن هذا المجنون يوشك أن يكسر الباب.

ربما سمع صوت غطس رأسي بالماء...

-أنا بخير. قلتها فهدأ!

***

نحن خمسة إخوة، لسنا اشقاء، إنما إخوة من الرضاعة. نتساءل أحيانًا لماذا قرر آباؤنا جعلنا اخوة بالرضاعة؟

آباؤنا أصـــدقاء قدامى ترعرعوا معًا في دار إيواء، خرجوا من دار الإيواء واحدًا تلو الأخر وبدأوا بجمع قوت يومهم، وبعدها شيئًا فشيئًا استطاعوا انشاء شركة أغذية صغيرة كبرت مع الوقت لتصير من أكبر الشركات الغذائية في مدينتنا!

حسنًا هذا ما أخبرنا به العم سمير إذ لم أجد الفرصة لسؤال أبي!

بعد أن نجحت شركتهم قرروا الاستقلال، اشتروا منزلا كبيرًا من خمس شقق، في كل طابق شقة.

الطابق الأول عاش فيه العم "سمير" مع ابنته "ماريا"، وقد كان كبيرًا في السن، كان يحرس منزلنا الذي كان في قمة التل، وقد كان المنزل منفردًا، ومن هنا جاء اسمه (بيت التل).

كان أبيَض اللون شامخًا ومن حوله غابة كثيفة الأشجار.

أما آباؤنا فقد عاش كلٌ منهم في طابق.

لاحقًا في أحد الأعوام في فبراير ولدت "نور"، وفي أبريل "مجد" وفي سبتمبر أنا "أمل" وفي نوفمبر التوأم "سعد وسعاد"؛ وبهذا ولدنا جميعًا في نفس العام. (ونحن نعتبر سنة ميلادنا سنة نبدأ منها التأريخ).

إذا نظرنا للأصدقاء الأربع فقد خرجوا من دار إيواء ثم أسسوا شركة ناجحة وتزوجوا وأنجبوا الأبناء.

قصة ظريفة أليس كذلك، تبدأ كحكاية أو فلم من تلك الأفلام التي تنتهي بعبارة وعاشوا بسعادة مدى الحياة!

حسنًا للأسف لا وجود لما يسمى سعادة مدى الحياة، لكن النقيض موجود!

إنها ليست قصه من إنتاج العقل البشري الذي يطرز ويبهرج الحياة، إنها قصة حاكتها خيوط الحياة الواقعية مازجه خيوطها بكل المشـــاكل والعراقيل، ثم طرزته بالنور الذي يعطينا الأمل الذي يشعرنا أننا سنبلغ المجد الذي سنجد فيه السعد والسعاد!

هذه القصـــة بدأت منذ الأزل ولن تنتهي، لا يمكن اعتبار لحظة الولادة هي البداية، ولا يمكن اعتبار الموت نهاية!

الحياة ستسمر بعد موتنا وقد كانت موجدة قبل ولادتنا.

ربما وجودي أو عدمه سيان... لا أعلم!

لكننا نسلط الضوء على بعض المواقف التي قد تنتهي نهايةً سعيدة ثم يعقبها الكدر!

حسنًا انتهت قصة الأصدقاء الأربع نهاية سعيدة عند ذلك الحد.

من تلك النهاية بدأت قصتنا...

بدأت بعد ولادتنا بخمس سنوات، تحديدًا تحت شمس يوليوا انطلق آباؤنا جميعًا. غادروا بعد أن عهدونا على العم سمير وابنته. ودعونا وانطلقوا يهبطون التل حتى غابوا عن ناظرنا بين الأشجار.

أدخلتنا ماريا ابنة العم سمير إلى المنزل، سعاد تبكي بصوت مرتفع، عادةً تذهب معهم إن خرجوا إلى حفلٍ ما كهذا الذي ذهبوا إليه، لكنهم لم يأخذوها هذه المرة معهم.

وهذا هو سبب الازعاج هنا!

انقضت فترة الظهيرة وهي لا تزال تبكي وتنادي أمها.

أخبرناها أن أمها ستعود في الصباح، لكن دون جدوى جميع محاولاتنا كانت فاشلة.

بقينا هكذا حتى نامت سعاد من التعب قبل الغروب.

سمحت لنا ماريا باللعب قليلًا إلى أن تغيب الشمس تمامًا.

قررنا أنا ونور أن نقيم حفلة شاي لذا جلبنا طاولة صغيرة ووضعناها في الحديقة، وأحضرنا كرسيين ومفرش طاولة أخذته من عند أمي.

كنا نصف الأكواب والصحون، الإبريق والكعك وما إلى ذلك.

أخبرت نور أن لدينا بسكويت في المنزل وذهبت لإحضاره، وعندما عدت لم أجدها في البداية، لكنها دخلت من باب المنزل الرئيسي، أغلَقَتْ الباب وهي تمسك بيدها أزهار الياسمين التي قطفتها من الشجرة التي زرعها أبي خارج بوابة المنزل.

وضعَت الأزهار في مزهرية ثم وضعتها على الطاولة لتكتمل بذلك الطاولة.

لكن هيهات حتى اصطدمت كرة مجد وسعد بطاولتنا لتفسد كل شيء.

نور: لقد سكب ماء المزهرية على مفرش الطاولة الخاص بأمك يا أمل.

ثم وجهت كلامها لمجد وسعد، وقالت: هل تعلمان فظاعة ما فعلتماه، لقد أفسدتم كل شيء، سأخبر أبي بكل شيء عندما يعود!

في قصتنا كانت تلك آخر مرة أسمع بها صوت نور مرتفعًا وتقول أكثر من جملة!

سألني مجد: هل نغسل المفرش، لربما جف قبل ان يصلوا؟

أجبته بنعم وأعطيته إياه.

ذهبا مسرعين لماريا يسألانها كيفية غسله، كان الشرط أن يغسلاها بنفسهما!

وعندما انتهيا علقاه على حبل التجفيف، بينما كنا أنا ونور نتابع احتفالنا بلا مفرش!

بعدها تناولنا العشاء، ثم نمنا، ثم استيقظنا في الصباح وأخذنا نستعد لاستقبال آبائنا.

وقفنا عند بوابة المنزل نراقب بحرص. كان هناك طريق معبد يلتف حول التل شاقًا طريقة في الغابة.

أتذكر ذلك اليوم بكل وضوح كأنه الأمس!

كانت الساعة قرابة الثامنة صباحًا.

يفترض أن يصلوا الآن.

كنا نرى الطريق بصعوبة بسبب كثافة الغطاء النباتي.

رأينا السيارة أخيرًا وبدأنا نصرخ، (وصلوا!)

كنا نتابعها بأعيننا.

على الجهة اليمنى من المنزل كان هناك جرف يمر الطريق بمحاذاته. كنا نلوح لهم ويلوحون لنا.

دقيقتان وسيكونون هنا...

وفي لحظة قرب الجرف انفجرت إطارات السيارة الأمامية... ثم الخلفية!

انزلقت السيارة وفقدت السيطرة!

ثم هوت مرةً واحدة في الجرف، وانقلبت انقلابات عديدة!

وأخيرًا انفجرت!

لا أعلم أين تلاشى الغطاء النباتي الكثيف لنتمكن من رؤية كل ذلك!

لبرهه رأيت الحادث هكذا:

السيارة تتدحرج، انفجرت، أمي وأبي في السيارة، هذه إسعاف، وهذه إطفاء وهذه شرطة!

ماتوا جميعًا، إخوتي يبكون...

عرفت كل ذلك، لكن لم أدركه!

ثم فجأة أدركت كل شيء دفعة واحدة!

قالت الشرطة أن الإطار انفجر بسبب مسامير كانت منثورة في تلك الجهة من الطريق.

أغلقت القضية على أنها حادث!

لكننا طالما شعرنا بأن هناك حلقة مفقودة في هذه القصة.

لكنها انتهت هكذا!

بعد الحادث اعتنى بنا العم سمير وابنته لسنتين تقريبًا، في هذه السنتين ذهبنا إلى المدرسة.

ثم توفي العم سمير في نهاية السنة الثانية.

لم تستطع ماريا الاستمرار في رعايتنا لذا عهدتنا إلى دار للإيواء. لكنهم فرقونا فيما بعد، لكننا تجمعنا بعدها بأسبوع في دار إيواء غير التي كنَّا فيها ولا نعلم من خلف هذا!

عادت ماريا إلى قريتها وكان ذلك آخر عهدنا معها!

كنت أتذكر كل هذه التفاصيل وأنا أراقب نور وهي تجمع حاجاتها لأنها ستغادر بعد أسبوع!

هنا عيد ميلادك الثامن عشر يعني أن تخرج من هنا ولا تعود!

لذا خمستنا مضطربون!

مرت ثلاث عشرة سنة منذ تلك الحادثة...

نور

"إذا تحتم الموت فليكن ذا قيمة! "

3/فبراير

إنها الساعة الخامسة مساءً، إنه الوقت الذي نجتمع به أنا وإخوتي.

سعد يلعب الشطرنج مع أمل، سعاد تقرأ، ومجد يركل ويضرب بالهواء كعادته، وأنا أراقب حركاته.

نور: ضربة خاطئة!

مجد: ما لخطأ؟ فعلتها كما أخبرتني!

نور: محور الدوران.

مجد: واجهيني.

فنهضت لأفعل.

لدى مجد هواية مشتركة بيني وبينه وهي الرياضات القتالية، ودائمًا ما أغلبه بها!

بدأت المنافسة وبدأ الجميع يراقب.

الفائز هو من يوقع الآخر على الأرض.

مجد: أوقعتك!

قالها متفاجئًا لأن هذا يحدث لأول مره!

لكنني أشعر بالوهن بعض الشيء على غير العادة!

مجد: مرة أخرى؟

وافقتُ، وهزمني هذه المرة أيضًا، لا أعلم ما الذي يحدث معي، لم يسبق أن هزمني هكذا!

مجد: أنت بخير؟

نور: نعم، لقد صرتَ أقوى!

قلتها على أمل تشجيعه لكنه اكتشف كذبتي.

مجد: أنا كما أنا، لكن يبدوا أنك مرهقة. ستخرجين بعد أسبوع، يجب أن تكوني أقوى!

نور: كن مطمئنًا.

سعد: أين ستذهبين؟

وافقه الجميع بسؤاله.

نور: قالت المعلمة مي أنني سأعمل بوظيفةٍ يؤمنها لي دار الإيواء مع المسكن.

سعد: هذا كل شيء؟ ألا يوجد تفاصيل؟

نور: لا.

عم الهدوء، كان صمتًا حزينًا.

سيعز عليَّ تركهم لكن ما باليد حيلة. لكن سيكون هذا أفضل لنا جميعًا إن سارت خطتي على ما يرام!

هؤلاء إخوتي:

سعاد فتاة طيبة، اجتماعية، مرحة، لكنها خرقاء تفسد كل شيء وتعتمد علينا في إصلاحه!

كثيرة الضحك والبهجة، سريعة البكاء أيضًا، هي تشبه الفانوس الصغير الذي ينير غرفة مظلمة ويجمع الكل حوله.

جميعنا نكره إغضابها ونتجنبه، باختصار هي أختنا الأصغر!

شعرها الأسود المجعد، وعيونها السوداء، غمازات خدها، ملامحها الطفولية، ووجهها المستدير. كل ملامحها تشعرني أنها خلقت لتقول (الدنيا بخير) وهي تصرخ بها لأنها تريد أن يدركها الجميع!

أمل فتاة لطيفة، هادئة ومستمعة جيدة، إيجابية، نثق بها وبرأيها ونرجع إلى شورها، تتحمل المسؤولية جيدًا حتى لو على حساب نفسها، وهي ذكية جدًا!

شعرها كستنائي ناعم وطويل، وعيونها بنية، وملامحها هادئة وسمحة.

مجد، شعره بني وعيونه عسلية، وجهه مليء بالنمش، إنه أكثر من أتذمر منه، يسبب المشكلات دائمًا مع أنه يتحمل العواقب. فكاهي جدًا وحنون، تصرفاته طائشة، وشخصيته قوية، ذكي، لكنه يكره المدرسة والدراسة والمدرسين، وكل ما له صله بالدراسة! يجيد جميع الرياضات، ويتقن التملق والمجاملة، والأخيرة هي ما تخرجه من المأزق عادةً!

سعد أكثر هدوءً واتزانًا من مجد، لكنه ضعيف الشخصية نوعًا ما، طويل على وجه لافت ونحيل. قليل الكلام كثير المطالعة والتفكير، إنه مثل الرادع والمهدئ لمجد، يشبه سعاد كثيرًا، نفس لون الشعر والعيون، لكن وجهه المستدير نحيل جدًا، وشعره ناعم على عكس سعاد.

انطوائي قليلًا ولا يحب الاحتكاك بالناس، يفكر مليًا قبل أن يقرر، لذا عادةً ما تكون قراراته صائبة، يحب الدراسة ويستمتع بها، يمتلك كل أنواع الذكاء إلا الذكاء الاجتماعي، نظارته الكبيرة والرفيعة تعطيه انطباعًا بالثقة، وهو أهل لها.

أما أنا فينادونني أحيانًا بـ (مكعب الثلج) لأنني -على حد قولهم- قليلة التفاعل والابتسامة والحديث، وعادةً ما تكون ردود فعلي باردة وأجوبتي قصيرة موجزة تلبي السؤال فقط.

يقولون أنني أبدو بشعري الأسود الناعم والقصير وعينيَّ الخضراوين وملامحي الحادة كالعملاء السريين والجواسيس بالأفلام!

يرونه وصفًا رائعًا، لكني أراه وصفًا مسيئًا!

مررت ناظري عليهم سريعًا، لا أريد لهذا الأسبوع أن يمضي. أجدها مخيفة فكرة أنني سأخرج وأتركهم ورائي.

لكنني سأفعلها!

هذا وعد!

طُرق الباب، إنها المعلمة مَي (عودوا للمهاجع).

انتهى الوقت.

تعطينا المعلمة مَي فرصة يومية نتقابل بها نحن الخمسة.

لأن أخوَيَّ يكونون في مهجع الصبية، بينما نحن في مهجع الفتيات.

المعلمة مَي: نور تعالي معي.

قالتها بصوتها الحنون المعتاد.

تبعتُها فوصلنا إلى المطبخ، وهناك قالت لي: إنه دورك في تجهيز الطعام اليوم.

ثم أخبرتني بشيء مهم، حياتي خارج دار الإيواء هذه!

المعلمة مَي: عندما تخرجين ستعملين في مقهى وسيأمن لك المقهى سكنًا. لذا أريدك أن تأخذي أدوار الجميع في تجهيز الطعام حتى نهاية الأسبوع كي تكوني مستعدة. اتفقنا يا صغيرتي؟

مهاراتي في الطبخ أفضل من البقية، ربما وضعوا هذا في عين الاعتبار فبحثوا لي عن فرصةٍ في المطاعم والمقاهي!

مر هذا الأسبوع بثقل، كنت أفكر في حياتي خارج أسوار هذا المكان.

الأفكار في رأسي لا تتوقف، التفكير المفرط واحد من أهم صفاتي، لدرجة أنني أقلق إن لم يكن هناك ما أقلق من أجله!

أعلم أن هذا النوع من التفكير والقلق مَرَضِي، لكنه الآن أسلوب حياة بالنسبة لي، لا أظن أنني سأعيش بدونه!

قابلت إخوتي في يومي الأخير، كانوا يحتفلون بعيد ميلادي. عادةً تكون شموع الاحتفال دافئة، لامعه ومنيرة. لكنها هذه المرة كانت ساطعة بشكل مزعج ومشتعلة جدًا، مع أنها نفس الشموع ولم تتغير!

نظرت لها قبل أن أخمدها وأسررت بنفسي (أنت آخر شموع أطفئها هنا) لم أبتسم، ثم أطفأتها!

لم يصفق أحد على عكس المعتاد، كان الحزن يملأ أعينهم.

لكن الدنيا كانت بخير!

عرفت ذلك عندما قالت سعاد: لوهلة حسبتك ستأكلين الشمعة!

وكعادتها نجحت بإضحاك الجميع.

ضحكوا من قلبهم.

ثم أهدوني صندوقًا وضعته أمل بين يدي وطلبت مني فتحه.

لقد كان صـندوقًا مليئًا بصـورنا منذ الطفولة وحتى الآن، بعضـها التقط في بيت التل، وهناك صورة لي مع امي وأبي وجديّ.

شعرت بأن الشرخ في قلبي ازداد حجمه بعد رؤية الصور.

لاحظ مجد ذلك: هل بدأ مكعب الثلج يذوب؟

أردت أن أعانقهم بشدة إلى الأبد، لكن... لا يجب أن أبدوا ضعيفة أمامهم!

رفع مجد آلة التصوير وقال: لنضف الصورة الأخيرة إلى هذه المجموعة.

نور: لا تفعل.

أمل: لماذا؟

نور: الصور تعني أن شيء سيصبح للذكرى.

لم أرد أن يصـبح إخوتي من الماضـي كما حدث مع امي وابي وجديّ. أريد أن يعيشـوا معي بأنفسهم، ليس ذكراهم!

قبل أسبوع كنت قد استأذنت المعلمة مَي بالوصول إلى الشبكة. كنت قد وضعت خطتي لأنفذها عندما أخرج للعالم. بحثت جيدًا وهي لم تسألني عن الذي أريده من الشبكة!

أظنها ستبحث في السجلات بعد ان أنتهي. لكنني سوف أحذفها!

ودعت إخوتي وأنا بالكاد أقوى على ذلك، كانوا يشـجعونني ويتمنون لي التوفيق وما إلى ذلك بمعنويات مرتفعة، لكنني أراهن أنهم سـينفجرون من البكاء فور اختفائي عن أنظارهم، على الأقل سعاد!

ركبت السيارة وكانت تقودها المعلمة مي.

ثم بدأت أرى الدار تتلاشي شيئًا فشيئًا عن نظري.

سألتني: كيف تشعرين؟

نور: شعور جديد!

اتسمر الصمت حتى وصلنا وجهتنا بعد مغيب الشمس. إنه مقهى بعيد عن المدينة نسبيًا. كان المكان المحيط مظلمًا، لكن المقهى كان منيرًا!

نظرت له أفحصه، ثم سألتُ: أين نحن؟

المعلمة مَي: إنه المقهى الذي ستعملين فيه.

ارتجلت المعلمة مَي من السيارة وأخرَجَت حقيبة سفرٍ سوداء -وهو اللون الذي أستعمله عادةً في كل شيء- ثم سحبتها خلفها وطلبت مني أن أتبعها إلى داخل المقهى.

في الداخل كان هناك امرأة في نهاية الأربعينيات، تعرفت إلينا فور دخولنا ثم اصـطحبتنا إلى مكتبها.

بدى لي أنها هي صاحبة المقهى أو شيء من هذا القبيل.

قدمت لي فنجان قهوة كنوع من الترحيب. ثم بدأت تتحدث: أدعى نيرمين، أنا مالكة المقهى، أخبرتني مَي الكثير عنك وأنا لدي آمال كبيرة عليك، سـيكون لك غرفة في الطابق الثاني تعيشين فيها، مع مرتب، وسنبدأ عملنا غدًا.

قلت: ما معنى غرفة؟

ثم نظرتُ للمعلمة مَي وقلت: لدي منزل!

نظرت السيدة نيرمين للمعلمة مَي تستفسر.

المعلمة مَي: نيرمين أتركينا لوحدنا رجاءً!

قالت المعلمة مَي: عن أي منزل تتحدثين؟

نور: بيت التل.

المعلمة مَي: اسمعيني، في حقيبتك ستجدين كل شيء، تركت لك هاتفًا أيضًا.

ثم خرجت من الغرفة وتركتني لوحدي مع كل تلك الأوراق.

وثائق وأشياء كثيرة، لكن أهمها كان رسالةً من ماريا.

فتحتها على عجل وقد كانت مختومة. ربما حتى المعلمة مَي لم تطلع عليها.

(نور، يفترض أن تقرئي هذه الرسالة عندما تخرجين من دار الإيواء.

سأخبرك بأمر قرري أنتِ بعدها ماذا ستفعلين، وما إذا كنتي ستخبرين إخوتك أم لا.

اشتبهت الشرطة أن الحادث الذي أودى بحياة أهلكم كان مقصودًا. أَيْ أنه جريمة قتل، سارت التحقيقات بسلاسة لكن فجأةً أغلقت القضية على أنها حادث قضاء وقدر!

حاولنا أنا وأبي استئناف القضية على مدار العامين التاليين حتى وفاته لكن ما من فائدة.

المشتبه به رجل يدعى "مختار".

عند وقوع الحادث كان في منتصف العشرينات.

ذكر أن اتفاقًا بينه وبين آبائكم ينص على أنه إن مات أحدهم يأخذ مختار حصته من الشركة.

ذكر أيضًا أن آباؤكم لديهم دين كبير لمختار، لذا عندما ماتوا انتقلت جميع أملاكهم بما في ذلك بيت التل الذي عشتم فيه آخر عامين فقط لأننا كنا نستأنف القضية. أعتذر لأنني لم أستطع حمايتكم في ذلك الوقت وعهدتكم إلى دار الإيواء. اعتني بنفسك وبإخوتك جيدًا.)

تركت في الرسالة قصاصات جرائد تحدثت عن الأمر وقتها، وذكر بعضها تفاصيل دقيقة عن الحادثة.

ظننت أنني ثرية عندما خرجت من الدار، حسبت أن المقهى الذي سأعمل فيه هو تابع لأملاك أسرتي مثلًا!

أما الجزء الثاني من الخبر-مقتل آبائنا- فيؤسفني أنني كنت أعرف ذلك منذ البداية على عكس إخوتي.

أشعر الآن باضطراب كبير، لكنني حزمت أمري.

اتجهت نحو الباب وفتحته، رأتني المعلمة مَي، ذهبت نحوها وقلت لها: أريد العيش في المقاطعة الرابعة!

المعلمة مَي: لماذا؟

نور: لا يفترض أن يكون هذا صعبًا، ذكر في هذا الملصق أن للمقهى فرعًا هناك.

تبادلت المعلمة مَي نظراتها مع السيدة نيرمين.

ثم قالت السيدة نيرمين: حسنًا، لا بأس.

بعدها عادت المعلمة مَي أدراجها. وبقيت أنا هنا تحت رعاية السيدة نيرمين. كانت حازمة ولطيفة في آن واحد.

وفي الصباح ركبنا سيَّارتها وانطلقنا نحو المقاطعة الرابعة.

عندما وصلنا كان المقهى أكبر وأجمل من الذي المقاطعة الأولى. سحبت حقيبتي خلفي وتبعت السيدة نيرمين إلى الداخل.

كان كل شيء فخمًا هنا.

الباب زجاجيٌّ، لكنه كالمرآة من الخارج! مثله مثل النوافذ في الطابق الثاني التي كانت الشمس تضيء المكان بسببها.

سجاد أحمر، ثريَّات ذهبية طويلة لها تصميم ناعم وفاخر جدًا في نفس الوقت!

الإضاءة خافته قليلًا، والإطلالة رائعةٌ على البحر. كل شيء هنا منحوت بدقة، التفاصيل الذهبية في كل مكان! وفي نهاية المقهى هناك طاولة سأعمل خلفها تشكل قوسًا على زاوية الحائط.

أثناء دخولي للمقهى لاحظتها. ساعة يد حمراء باهظة الثمن ذات إصدار محدود أعرفها حق المعرفة.

كانت تلف معصم رجلٍ كبير بالسن بدت عليه ملامح الثراء الفاحش. ملابس من علامات تجارية عالمية وبإصدارات محدودة أيضًا!

من الرأس إلى الحذاء، كل شيء كان باهظ الثمن.

على ما يبدوا لن أتعب في البحث عن فريستي، لقد جاءت إلي!

كان هذا أسهل مما تخيلت!

لكن ما الذي يفعله في مكان كهذا؟

لا يهم، خطتي قد أبدأ تنفيذها حالا.

(هل أعجبك المكان) سألتني السيدة نيرمين.

نور: كثيرًا، شكرًا لك.

ابتسمت حينها السيدة نيرمين بمكر وكأنها قرأت أفكاري، قالت: كوني حذرة.

ثم التفتت السيدة نيرمين نحو فتاة شابة كانت خلف الطاولة، وعرفتني بها: سارا، أقدم نادلة هنا، والوحيدة منذ شهرين وحتى لحظة وصولك، عملت معي لنصف عقد تقريبًا.

رحبت بي وكذلك فعلت.

بدت لطيفةً ومن النوع الثرثار، وصوتها طفولي مبحوح.

تربط شعرها الأسود القصير بتسريحة ذيل الحصان، بدى مضحكًا قليلًا لشدة قصره.

لكنه أطول من شعري الذي لا أستطيع ربطه كاملًا!

تبدو أنيقة نوعًا ما.

أخذتني السيدة نيرمين في جولة في المقهى.

غرفتي في جناح منفصل في الطابق الثاني وهي مشتركة مع سارا.

سريرين، خزانتين، ومنضدتين ومرآة.

أعطتني السيدة نيرمين ساعة واحدة أوظب أغراضي بها، ثم أرتدي زي العمل وأنزل إلى الأسفل(المقهى).

عندما نزلت كانت السيدة نيرمين قد رحلت بالفعل، لكننا لم نتفق على الأجر بعد!

سارا: مرحبًا بك، سأشرح لك كيف نعمل هنا، إنه بسيط وسهل، كل ما عليك فعله هو أخذ طلبات الزبائن، وقبل تقديم الطلب تأكدي أن يدفعوا، البعض يدفع بالبطاقة والآخر نقدًا، تضعين المال هنا وتعطين الزبون طلبه وتقولين -شكرًا استمتع رجاءً- وسينتهي الأمر.

هناك كتاب وصفات، عليك أن تجهزي الطلب حسب الوصفة، أي أسئلة؟

نور: لا، شكرًا لك.

سارا: على الرحب، عن احتجت أي شيء اسأليني.

أومأت رأسي بنعم.

لقد كانت معجزة، قالت ما يزيد عن خمســـين كلمة في أقل من عشـــرين ثانية، مع التمثيل والشرح والتفكير.

كانت تتحدث وهي تقفز وتلتف حولي، توقعت أنها من النوع الثرثار لكن ليس إلى تلك الدرجة!

سارا: أوه نسيت، أدعى سارا وليس سارة كما تناديني نيرمين.

نور: هل هناك فرق؟

سارا: طبعًا، سارا تمتد وكأنها لن تتوقف أبدًا، أما ساره فينقطع الصوت بها فجأة.

اكننت في نفسي (يا له من فرق مهم!)

سارا: أين توقفت؟ صحيح، أدعى سارا، عمري ثمانية وعشرون سنة، ولدت في أغسطس

تقول أمي إنني ولدت مع شـروق الشـمس، صـحيح ولدت في المقاطعة الخامسـة، وأعمل هنا منذ.. منذ.. تذكرت منذ ست سنوات وبضع أشهر.

ماذا عنك؟

شعرت بالارتباك من سرعت حديثها.

نور: عمري ثمانية عشر.

سارا: أين ولدتي؟

نور: في المقاطعة الأولى.

ســارا: الأولى، هل هذا صــحيح؟ تقول أمي أن المقاطعة الأولى جميلة، كما أن النباتات هناك رائعة، هل هذا صحيح؟

نور: أظن ذلك.

سارا: واو رائع، إذن فقد كان كلام امي صحيح.

نور: أجل.

سـارا: لو رأتك أمي سـتسـعد كثيرًا على ما أظن، لكن لسـوء الحظ توفيت بعد ولادتي بيومين وأبي مات قبل ولادتي أصلًا، أخبرتني بهذه الأشياء في رسالة تركتها مع المعلمة التي في دار الإيواء.

نور: آسفة لذلك.

سارا: لا عليك، أتساءل أحيانًا كيف يبدوان.

نور: لا بد أنك تشبهين كليهما.

سارا: أتمنى ذلك.

كانت تتحدث وهي مستاءة، لكنها فجأة ابتسمت ورفعت رأسها.

سارا: لا تقلقي أنا بخير الآن، السيدة نيرمين لطيفة معي.

لوهلة وقعت عيني على نفس الرجل، يبدوا أنه سمع حديثنا بسبب صوت سارا المرتفع، كان يجاهد إخفاء ابتسامته.

ما لذي يقصده بهذه الابتسامة يا ترى؟

نور: هل لي بسؤال؟

سارا: بالتأكيد، تفضلي اسألي.

نور: هل هناك زبائن مميزون؟

سارا: أوه سؤال رائع.

ثم نهضت وأدارت بي الكرسي الذي كنت أجلس عليه نحو صالة الجلوس.

سارا: أنظري هنا، إنهم خمسة ولحسن حظك جميعهم موجودون اليوم.

أولًا هذه الآنسـة هنا، طالبة دراسـات عليا وهي من أهم الزبائن هنا، إنها من عائلةٍ فاحشـة الثراء، تحب الجو هنا، لذا تأتي عادةً للدراسـة هنا، إما وحدها أو مع رفيقاتها، هي لا تأتي يوم الثلاثاء، تطلب القهوة المقطرة والكعك.

تاليًا، هذا السيد إنه صاحب شركة استيراد ضخمة، والسيدة نيرمين تمتلك أسهمًا في شركته، قد لا يبدوا ذلك ولكن السـيدة نيرمين ثرية جدًا، حسـنًا إنه يطلب أنواعًا من الشـاي عادةً، ليس زبونًا دائمًا ولكن حضوره متكرر وهو شخص مهم، مزاجه صعب لذا كوني حذرة في التعامل معه.

التالي هن هاتين الفتاتين وهما لطيفتان جدًا، لكن ذات القميص الأبيض تعاني من حساسية الفراولة، سمعت أن هنالك مقهى قدم لها كعكًا يحتوي على الفراولة، وخلال ساعات أغلق ذلك المقهى، وانتهت المسيرة المهنية لصاحب المقهى ذاك، والدها يعمل في الشرطة ولا يستهان به، لكنها بشكل عام لديها مزاج جيد وهي لطيفة.

هؤلاء جميعهم زبائن مهمون، لكنهم ليسوا بأهمية الرجل الأخير-قالتها وهي تتحدث عن هدفي، والذي كان جل سؤالي من أجله- إنه يجلس على تلك الطاولة دائمًا قرب النوافذ، وهو أقدم زبون هنا، يأتي يوميا في نفس الوقت صباحًا، أولًا يطلب كوب الماء الفاتر، ثم يطلب شيئًا ليتناوله كإفطار.

ويأتي مرة أخرى مساءً لشرب القهوة وأحيانًا لدعوة ضيوف مهمين جدًا، وعادةً يوقعون عقودًا وما إلى ذلك. ما إن يصل الضيوف يكون أول ما نقدمه لهم هو عصير الليمون الطازج، لا أعلم لماذا لكنه لا يغيره حتى صرنا نقدمه من تلقاء أنفسنا دون أن نسأله.

يدعى بـ "النرد الرابح" لأنه يربح صفقاته دائمًا، وهو العمود الفقري للاقتصاد.

نور: ما اسمه؟

سارا: مختار "النرد الرابح".

إذًا فقد كانت خطوتي صحيحة!

وكما توقعت تلك الساعة التي أعرفها، وذاك الوجه هو نفسه من ثلاثة عشر سنة.

إنها المرة الأولى التي يكون للثرثارين فائدة.

نور: أي شيء آخر أنتبه له؟

سارا: ستتعلمين مع الوقت، الآن لنتناول إفطارنا نحن.

سار كل شيء بهدوء حتى انتهاء اليوم.

كان هناك وقت لاستراحة الغداء، لذا قمت بإعداد الطعام الذي نال إعجاب سارا.

عَيْنَيْ هذه الفتاة مخيفتين لسبب ما، لا أشعر أنها شخص يمكنني الوثوق به.

مع أنها ضحوكة، مرحة ولطيفة، لكنها مخيفه! مخيفة وكفى!

بعد الغداء قمنا ببعض التنظيف قبل وصول المزيد من الزبائن.

انتهينا سـريعًا؛ لذا حصـلت على بعض الراحة على سـريري. كان يفترض أنني آخذ قيلولة، لكنني كنت أفكر.

النرد الرابح هو مختار. وهو من قتل أمي وأبي، ودمر عائلتنا. والدليل على ذلك أنني شـاهدته وهو ينثر المسامير!

أتذكر ذلك اليوم جيدًا، كان بعد مغادرة أهلنا ببضـع سـاعات. خرجت لقطف الياسـمين يومها لأزين الطاولة التي نحتفل عليها أنا وأمل.

كان يقف هناك قرب الجرف.

انتبهت أنه يرتدي الساعة التي صممتها أمي لأبي، كانت الوحيدة في العالم، لكنه أضاعها مرةً، والآن أنا أراها على يد ذلك الرجل!

سرت نحوه إلى أن صارت المسافة بيننا عشرون مترًا.

رأيت أنه ينثر المسامير على طول الطريق!

صرخت لكي يسمعني (هل أضعت شيئًا يا سيدي؟)

ارتبك حينها ونفى الأمر.

وقتها عدت أدراجي، لم أدرك الأمر إلا عندما كنت في العاشـرة من عمري، أدركت وقتها أنه قاتل، وأنني شاهدة!

عرفت من ماريا أن مقتل آبائنا ليس جريمته الوحيدة.

إنه كالفيروس، يدمر كل شيء تقريبًا.

وإن أردتُ تدمير فيروس علي أن أعرف مما يتكون جيدًا، لأنني إذا اسـتطعت تدمير غلافه الحصين فسيصبح أضعف وأكثر عرضة للتلف!

لذا الخطوة الأولى هي معرفة عدوي جيدًا جدًا، حينها فقط يمكنني القضاء عليه.

والأهم طبعًا هو إبقاء اخوتي بأمان.

لديهم الحق طبعًا بمعرفة فعلت مختار والانتقام منه، لكن لا يجب أن يتعرضـوا للخطر. حتى لو كان على حساب حياتي!

كنت قد بحث سـابقًا عندما كنت في دار الإيواء عن "حادث بيت التل" عبر الإنترنت. عرفت تفاصيل كثيرة وردت في القضية، منها اسم المحقق المسؤول وبقية فريقه.

ذكر أنه مات في ظروف غامضـــة، بعض المصـــادر تقول إنه كان حادثًا والآخر أنها جريمة قتل، لكن لم يذكر شيء عن كيفية موته أو أي تفاصيل مهما كانت صغيرة!

وكأن الحركة الإعلامية شلت عند ذلك الحد (ظروف غامضة).

لكن إحدى الصحف ذكرت أنه كان كالشوكة في حلق مختار "النرد الرابح" وكان يوشك على زجه في السجن.

وبعد وفاته ظهر مختار معزيًا عائلته والبلاد لفقدانها رجلًا يكافح من أجلها!

لذا عائلة هذا المحقق ستكون رأس الخيط.

لكن عندما رأيت مختار اليوم راودتني رغبة كبيرة في انهاء حياته حالًا. لكن الموت راحة له، على الأقل منا! لذا سأجعله انتقامًا معتبرًا، وأجعل مختار عبرةً لمن يعتبر.

مختار زبون دائم في المقهى ويسـهل مراقبته، وقد أسـتطيع معرفة من حلفاؤه ومن أعداؤه إن راقبت صفقاته التي يبرمها هنا. وإن حالفني الحظ سأعرف كيف يربح دائمًا ولا يخسر صفقة. بعد كل شيء لم آتي لهذه المدينة عبثًا، قدمت فقط بعد معرفتي أنه هنا.

حسمت أمري سلفًا، أولًا علي البدء من عائلة ذاك المحقق!

مع الوقت لاحظت أمرًا، سارا لا تتركني أقترب من الطاولات التي قرب الشرفة، خاصة التي يجلس عليها مختار!

في إحدى المرات أمسـكتني من سـاعدي بقوة وسـحبتني بعيدًا بحجة تقاسـم العمل وأنها من ستنظف النصف الذي قرب الشرفة. هذا الأمر أثار فضولي كثيرًا، خصوصًا أن مساء ذلك اليوم جاء مختار ومعه ضـيف، سـارعتُ بتقديم عصـير الليمون كما أخبرتني عند وصـولي، لكنني فقدت توازني إثر تعثري بشيء ما.

كان ذلك قرب الطاولة التي يجلسون عليها.

(هل انت خرقاء؟) صرخ مختار في وجهي.

حينها هرعت سـارا تعتذر وتصـلح الموقف، ثم قدمت لهم أكواب أخرى غير التي انسـكبت. وراحت تنظف السجاد الذي انسكب عليه العصير قربهم!

كان هذا الفعل ليزعج أي زبون هنا. لكنه لم يبدي أي اهتمام!

مر الأسـبوع، طلبت من السـيدة نيرمين عطلة ليوم واحد، فقالت (اختاري يومًا يكون عطلتك في كل أسبوع).

لذا اخترت اليوم التالي، وفي الصباح الباكر توجهت لأحد مراكز الشرطة أسأل عن عائلة ذلك المحقق الذي ذكرت الصحف أن مسقط رأس زوجته في المقاطعة الرابعة.

سـألني عناصـر الشـرطة لماذا أريد معرفة ذلك، ثم اتصـلوا بأحدهم وأخبروه بإسـمي. بعدها أعطوني عنوان المنزل، فشـكرتهم وذهبت إلى العنوان فورًا. وعند وصـولي طرقت الباب فأجابني صوت عجوز تسأل عن الطارق.

أجبت (نور) ففتحت الباب واستقبلتني.

(أدخلي الجو بارد عندك).

نور: شكرًا لك.

السيدة سيرين: خيرًا يا ابنتي أخبرني زملاء زوجي أنك تبحثين عني.

كانت تتحدث بوجه مريح وابتسامه حنونه.

نور: اسمي نور حمزة..

السيدة سيرين: أعلم، لكن ماذا تريدين مني؟

نور: حادث بيت التل، أريد معرفة المزيد عنه.

قالت السيدة سيرين بريب: لماذا؟

نور: والداي ضحايا ذلك الحادث.

في تلك اللحظة أدركت أنني لم أعرف بعد أي نوع من الأشخاص هي. لقد استعجلت!

لكنها ابتسمت واعتذرت، ثم قالت: كان ذلك الحادث هو بداية الطريق فقط.

أمسكَت صورة لامرأة مع رجل بنفس عمرها توسطهما شاب، بدو كعائلة!

السـيدة سـيرين: قالت الأخبار أن زوجي مات في ظروف غامضـة، لكنهم لم يذكروا أن ابني أيضًا مات مع والده في نفس الظروف المشؤومة.

نور: تقصدين...

السيدة سيرين: حتى أنا فقدت عائلتي مثلك يا ابنتي، ولم أغفر لمختار حتى الآن، لكنني عاجزة عن الثأر.

نور: وإن ثأرنا معًا؟

السيدة سيرين: مختار ليس ندًا سهلًا.

نور: ليس لدي ما أخسره!

السيدة سيرين: لا تزالين في بداية العمر، لديك عمر تعيشيه!

نور: أرجوك أخبرني هل مختار من قتلهم؟

السيدة سيرين: نعم.

نور: لدي دليل أقاضيه به!

السيدة سيرين: مصرة؟

نور: نعم.

مدت يدها المرتجفة وصافحتني: ليس لدي ما أخسره أنا أيضًا.

ثم أردَفتْ: لكننا قد نربح.

فصافحتها بدوري. وكما تقول أمل (العيون لا تكذب.)

بدأت تروي لي كيف قتل زوجها وابنها وتستر الإعلام عن القضية برشوة من مختار، ليس الإعلام وحسب حتى القاضي الذي كان مسؤولًا عن القضية تمت رشوته.

لكنها لا تملك أدلة على ذلك. إلا أنها تملك دليلًا يخص قضية الحادث الذي مات به والداي. لم ينتهي الأمر عند ذلك الحد، أخبرتني أننا لسنا الوحيدين، لكن الذين نجو من مكائد مختار قله.

أخبرتني أن مختار يثق بيديه فقط، ولا يعتمد على أحد. كما أنه يحتفظ بتذكار من كل جريمة فعلها.

كانت تعرف الكثير لأن زوجها كان المسؤول عن معظم القضايا. وعدتها بزيارة أسبوعية في نفس الوقت، وقد سرها ذلك.

السيدة سيرين: تعالي متى أردت يا ابنتي، اعتبري هذا المكان بيتك.

بعدها شكرتها وغادرت.

كنت أمشي خارجةً من منزل السيدة سيرين، أخرجت هاتفي أحاول الاتصال يائسةً بدار الإيواء لأتواصل مع اخوتي، حاولت إرسال رسائل إلكترونية أكثر من مرة لكن دون جدوى.

(الرصيد صفر!)

يبدوا أنني استهلكته كله.

هناك متجر تسوقٍ صغير سأمر عليه لأعيد شحن الرصيد، وبعدها سأعود للمقهى.

الشمس دافئة في هذا الوقت. أذكر عندما كنت طفلة كنت أغمض عيني إلى النصف، حينها أرى طيف الألوان ينعكس على رموشي، كنت أبقى على هذه الوضعية وأركض عند أبي لأريه ذلك. لكنه لا يرى شيئًا!

كنت أقول له (أنظر جيدًا في رموشي) فيجيب (لكني لا أرى شيئًا) فتقاطعنا أمي من بعيد وهي تقلد فعلي قائلةً: (أنا أيضًا أراه يا صغيرتي!).

فيجيب أبي (أصحاب العيون الجميلة فقط من يرونه!).

لكنني اليوم لا أراه مهما حاولت جاهدةً، ربما صارت الآن عيني حاذقتين كعيني أبي.

أظن أن ذلك جيد!

لكنني ضعيفةٌ جدًا، ولست بمثل قوتك يا أبي!

***

أوشك فبراير على الانتهاء، ولم يجب أحد من دار الإيواء إلى الآن.

اليوم لدى مختار ضيف.

عرفت أخيرًا لماذا يقدم عصير الليمون في البداية. إنه يساعد على تخفيف القلق ويدفع الشخص نحو الصراحة قليلًا.

لذا إن كان الطرف الآخر من الصفقة مرتاحًا يفترض أن تسير الصفقة كما يريد مختار، وعصير الليمون ليس إلا رأس الخيط!

وصـل الضـيف، ذهبت سـارا لتقدم العصـير. ولكنها وقعت وانسـكب العصـير قرب الطاولة وانتشر بعض رذاذه على مختار.

اســتندت ســارا على طاولتهم لتنهض لكنه لم يبدي أي رد فعل مثل آخر مرة حدث فيه هذا. غضب الضيف وشتم سارا وشتم المقهى، لكن مختار هدئه!

في مثل تلك الحالة نصــطحب الزبائن لطاولة أخرى، لكن ســارا لم تعرض عليهم هذا وهم لم يطلبوه على الرغم من اتساخ الطاولة.

خرجت سارا بعدها من الباب الخلفي للمقهى وأخذت معها حقيبة سوداء وجلست في السيارة، لم تبدو منزعجة أو غاضبة أبدًا!

لاحقًا رجعت سارا بعد رحيلهم. لاحظت ذلك عدت مرات، تختفي سارا عندما يكون مختار مع ضــيفٍ ما، ثم تعود بعد أن يرحلوا. لكنها المرة الأولى التي أراها فيها تخرج وتجلس في السيارة!

لاحقًا عندما زرت السيدة سيرين أخبرتها عن الأمر.

السيدة سيرين: أغلب الظن أنها تتنصت عليهم وتسجل المحادثات.

نور: في ماذا ينفعهم هذا؟

السيدة سيرين: عالم الأعمال عالمٌ قذر... أو هذا ما كان يقوله زوجي.

إن هذا منطقي تقريبًا!

السيدة سيرين: ماذا ستفعلين لو كنتي أنت وإخوتك ضمن خطة طويلة المدى خططها مختار؟

نور: لم أفهم!

السيدة سيرين: ماذا لو وَضَعَ إخوتك في خطر؟

نور: لم أفكر بهذا قبلًا.

السيدة سيرين: أنا لست ندًا لمختار، ربما نحن الاثنتين معًا، لكن ليس وحدي، علينا أن نكون حذرين جدًا.

قالت كلمتها الأخيرة وهي تطفئ النار وتسكب القهوة في الفناجين.

حملتُ صينية القهوة إلى غرفة الجلوس لنتابع حديثنا هناك.

السـيدة سـيرين: عرف مختار مرةً أنني أملتك دليلًا ضـده لكنه جهل ماهيته، جاء إلي حينها وهددني بالقتل وفتش المنزل، لكنه لم يجد شيئًا، وأنا لم أعترف.

نور: لماذا لم يقتلك إن كان متأكدًا؟

السيدة سيرين: لو فعل فسيصبح الموضوع بين يدي الرأي العام، سيخرج من سلطة الإعلام والقضـاء حينها، وهذا ما لا يسـتطيع مختار السـيطرة عليه. نور يا ابنتي إن كنتي تريدين أن تثأري عليك أن تتأكدي من سلامتك أنت وإخوتك، عدا هذا فلا نفع من ثأرك، اتفقنا؟

نور: اطمئني.

لقد أخبَرَتنِي بنقطة ضعفه الآن!

تركتها بين علامات التعجب، فسألتني: ماهي خطتك؟

نور: لن أقتله، لكني أريده أن يتمنى الموت ولا يجده!

كنت أفكر بأنني سأسترد ما سلبه مني، ومن إخوتي، بيت التل، أمي وأبي، الشركة و... وشيئًا فشيئًا هويت أنا وأفكاري على الأرض فاقدةً الوعي.

وعندما اسـتيقظت كنت في المسـتشـفى، أخبرتني الممرضـة أن السـيدة سـيرين هي من طلب الإسعاف لكنها لم تستطع مرافقتي.

وقبل انتهاء اليوم سمح لي الطبيب بالخروج من المستشفى على أن ترافقني إحدى الممرضات طوال الطريق حتى أصل للمنزل!

أخبرتني السيدة سيرين عندما كنت معها بقصة، قالت: أحد الخرفان خاف من أن يذبحه الراعي فهرب. وفي أثناء هربه قابل صـديقه الكلب الذي أنقذه من الذئاب والضـياع عدة مرات، فطلب منه أن يدله على طريق الهروب.

وافق الكلب وقاد الخروف إلى أن وصلوا المذبح، فذبح الراعي الخروف وكافئ الكلب بوجبة!

أهم ميزة في الكلب أنه وفيٌ لمن يطعمه. لو أن الخروف أطعم الكلب لتغير مجرى القصـــة، ولصار الخروف هو الراعي، لكن الكلب سيبقى هو الكلب!

خلف الأضواء:

يجتمع الراعي بكلبه.

الراعي: تلك الفتاة من المقهى باردة جدًا وبشكل مستفز، لم تنظر في عيني ولو مرة!

الكلب: صحيح أنها تبدو باردة وغير مبالية، لكنها لو أرادت أن تصل للجهة الأخرى من العالم فإنها ستفعل!

مَجد

"لن تستطيع حماية غيرك إن لم تكن بأمان "

15\أبريل

إنها أول مرة نحتفل بها ونحن أربعة فقط، وأول ذكرى ولادة لي بدون نور.

ودعت إخوتي عند بوابة دار الإيواء، ثم اتجهت نحو المعلمة مَي التي تنتظرني في السيارة.

أذكر عندما ودعنا نور الجميع كان مبتسمًا يتمنى لها التوفيق، وما ان اختفت عن أنظارنا بدأنا الانهيار.

كانت واقفةً هنا -حيث أقف الآن- تنظر للفراغ أمامها، ولكنها في نفس ذات الوقت كانت ترى كل شيء!

لم تصلنا أية رسائل أو مكالمات منها، لم تزرنا أيضًا، ولم تصلنا أي أخبار عنها، ولهذا كنَّا محبطين خائفين من العالم خلف أسوار دار الإيواء!

كنت أهبط الدرج بينما كانوا هم في قمته، نظرت خلفي لبرهه فإذا بهم يحبسون دموعهم، وخاصة سعد، تحول وجهه المحتقن إلى اللون الأحمر كالطماطم!

(سعد) صرخت به وأشرت له أن يعدل ياقته، ثم ابتسمت على أمل تعديل مزاجهم وألقيت عليهم التحية مشيرًا بسبابتي والوسطى إلى جبيني، (اعتنوا بأنفسكم) قلتها وركبت السيارة.

لاحظت أننا بدأنا نخرج من حدود المدينة، لم تنطق المعلمة مَي بكلمة واحدة طوال الطريق.

مررنا أمام أحد الطرق الفرعية لكننا لم نسلكه، ثم ظهرت سيارة سوداء مسرعة كانت تسير في الطريق الفرعي، ثم التفت خارجةً منه وصارت خلفنا، وشيئًا فشيئا حاولت أن تعترض طريقنا.

لم نستطع رؤية وجه السائق الذي أشار لنا بالتوقف أكثر من مرة.

بدى الارتباك واضحًا على وجه المعلمة مَي، زادت سرعتها وزادت السيارة السوداء سرعتها أيضًا، لكنها سرعان ما تجاوزتنا وتوقفت أمامنا فجأةً تسد الطريق، وهذا ما دفع المعلمة مَي لضغط المكابح بقوة كي لا نصطدم بها!

نزلت من السيارة السوداء سيدة بمعطف أسود طويل ونظارات شمسية، واتجهت نحونا.

ثم شيئًا فشيئًا تعرفنا على ملامحها بعد أن نزعت نظارتها السوداء، إنها نور!

خرجتُ من السيارة على عجل (نور أهذه أنت؟).

نور: طلبت منكما التوقف جانبًا!

المعلمة مَي: وما أدراني أنها أنتِ!

نور: أشكرك معلمتي، لكنني سأصطحب مجد.

ابتسمت المعلمة مَي موافقةً، ثم طلبت مني نور -ببرود كالعادة- أن أضع أمتعتي في سيارتها ريثما تكلم المعلمة مَي.

ودَّعَنا المعلمة مَي وانطلقنا إلى...

مجد: إلى أين نذهب؟

نور: المقاطعة الرابعة.

مجد: أليس بيت التل في المقاطعة الأولى؟

نور: بلى.

مجد: لماذا سنذهب للمقاطعة الرابعة؟

نور: لم يعد لنا.

مجد: ما الذي تعنينه؟

حينها بدأت تحكي لي القصة بطولها.

بيت التل لم يعد لنا، سرقه مختار وباعه بعد ذلك، الأموال الشركة وكل شيء سرقه مختار، كما أنه قتل أهلنا في الحادث منذ ثلاثة عشر سنه، والأخيرة كانت كالقنبلة!

مجد: ألم يكن حادثًا؟

نور: لا.

مجد: لماذا لم تقولي لنا ذلك سابقًا؟

نور: لم أستطع التواصل مع الدار.

مجد: ماذا عن الزيارة؟

نور: قد تضعكم في خطر.

هذه المجنونة تتصرف من تلقاء نفسها، وعندما سألتها عن طريقة معرفتها بالأمر قالت أن ماريا تركت لها رسالة.

بحثت في أمتعتي فلم أجد ما يشـــبهها، لذلك أعطتني نور "نســـخة" من الرســـالة التي تركتها ماريا.

أخبرتني أنها عرفت أن هذه ليســـت القضـــية الوحيدة التي نجا منها مختار، لقد قتل الشـــرطي الذي كان مســـؤولًا عن قضـــية "الحادث على طريق بيت التل" -كما أســـمته الصـــحف- ونجا بفعلته بعد أن زوَّر الأدلة ورشى القاضي.

إنها مجموعة جرائم.

الأدهى من هذا أنه في البداية وزعنا على دور إيواء مختلفة، لكن ماريا جمعتنا -ذكر هذا في رســـالة ماريا- والآن مختار زبون لدى المقهى الذي تعمل به نور، وبعد البحث اكتشـــفت عدة حيل يقوم بها بالإضافة نقطة ضعفه!

كثير من التفاصيل التي كنا نتحدث بها طوال الطريق.

مجد: إذًا طلبت من المعلمة مَي الســـماح لك بالعمل بالمقهى الذي في المقاطعة الرابعة بعد أن عرفتي أن مختار يعيش هناك، وصدفةً تبين أنه يتردد على مقهاكم يوميًا.

نور: نعم.

شـعرت بضـغط كبير، عاد ذلك الشـعور القبيح الذي راودني عند رؤية جثث عائلتي المتفحمة مرةً أخرى، أمي أبي أختي، لا أصدق أن قتلهم كان هينًا عليه، خاصةً أختي التي لا تزال طفلة رضيعة لم ترى الكون بألوانه بعد!

دخلنا حدود المقاطعة الرابعة.

طلبت مني نور الترجل من الســـيارة كما فعلت هي أمام معرض ســـيارات، وســـلمت مفتاح السيارة لأحدهم.

مجد: ألم تكن سيارتك؟

نور: استأجرتها.

مجد: ظننتك اشتريتها بمرتبك.

نور: نكتة جيدة.

مجد: كيف سنذهب للمنزل الآن؟

نور: لدينا هذه. (وأشارت إلى تذاكر الحافلة التي كانت تحتفظ بها داخل محفظتها)

توجهنا لأقرب محطة حافلات مشـــيًا على الأقدام، كان الجو باردًا قليلًا على عكس المقاطعة الأولى.

وكما وصـــلنا لمحطة الحافلات مشـــيًا، ذهبنا من محطة الحافلات الأقرب للمنزل إلى المنزل مشيًا أيضًا.

كان منزلًا مهترئًا ينفع لتصـــوير أفلام الرعب، على الرغم من أن طريقنا كان مليئًا بالمنازل الرائعة على عكس هذا الحي!

المنزل في الطابق الأول، لذا كان علينا صـعود الدرج المتآكل، بعدها فتحت نور قفل الباب مع أنني أشك أننا بحاجة إلى مفتاح لفتحه!

المنزل شبه فارغ إلا من الأساسيات، كان واضحًا ألا حياة هنا، يوجد ممر طويل نوعًا ما في نهايته غرفه، وعلى الجانب الأيمن يوجد غرفه وحمام، وعلى الجانب الأيســـر توجد صـــالة مدموجة بالمطبخ والشـرفة التي بطول أربعة أمتار، وقد كانت تطل على شـجرة كبيرة، أريكة لثلاث أشخاص وطاولة طعام بخمس كراسٍ.

غرفتي هي التي في نهاية الممر، كان بها ســـريرين وخزانتين، والغرفة الأخرى فيها ثلاث أسرة وثلاث خزائن.

مجد: لما كل هذا؟

نور: للبقية.

مجد: صحيح، سيخرجون خلال سنة.

ثم انتبهت لأمر مهم جدًا، قرقرت معدتي!

مجد: ماذا لدينا على العشاء؟

حينها رن جرس الباب.

فتحت نور الباب وأدخلت أكياسًا بها طعام.

مجد: هل هذه فطائر؟

نور: جربها.

مجد: من الذي أحضر الطعام؟

نور: خدمة التوصيل.

مجد: تقصدين أن الطعام جاء إلينا!

هذا مذهل، لقد تطور العالم كثيرًا!

فتحنا باب الشرفة أثناء الأكل، دخل نسيم بارد حينها، لكن المنظر يستحق!

بعد الطعام أخذت حمامًا ثم رتبت أشيائي في الخزانة وخلدت للنوم.

في صـــباح اليوم التالي عندما اســـتيقظت لم أجد نور، يبدوا أنها ذهبت لعملها. اتجهت نحو المطبخ أبحث عن شيء آكله، لكنه كان فارغًا تمامًا، لدرجة أن الثلاجة مطفأة!

لا يوجد شيء للأكل هنا!

الآن أنا جائع ولا أعلم متى تعود نور؛ لذا خرجت متوجًا للمقهى الذي تعمل فيه، كانت قد أرتني إياه أمسًا في طريق عودتنا.

أوقفت سيارة أجرة وأخبرت السائق عن اسم المقهى، وعندما وصلت طلبت منه الانتظار ريثما أنادي نور لتدفع الحساب.

كانت نظرات السائق مهينة لكنني تجاهلتها ثم ترجلت من السيارة وولجت المقهى.

وعند دخولي اسـتقبلتني شـابة تعمل هناك، وأشـارت بيدها تطلب مني الدخول ثم سـألتني عن طلبي.

مجد: أبحث عن فتاة تدعى نور، يفترض أن أجدها هنا.

الشابة: سأناديها لك.

شـــكرتها فغادرت، ثم ظهرت نور من خلف الطاولة وعينها تقدح شـــررًا وهي تنظر نحوي وكأنني ارتكبت جرمًا ما.

حضرت نور وتلك الشابة معها إلي.

بدا لي أنها من النوع الفضولي جدًا.

مجد: هناك سائق أجرة في الخارج ينتظر أن تدفعي له.

كادت عيناها تقتلانني، لكنني نجوت بأعجوبة!

خرجت نور مسرعة بينما بقيت في الداخل ريثما تعود.

سألتني الشابة: من أنت، هل تعرفها؟

مجد: أخوها.

سارا: أوه عجبًا، أدعى سارا وأنا أعمل هنا مع نور، سررت بلقائك.

يا للعجب إنها تتحدث أسرع من سعاد بمراحل!

عادت نور فبادرتها سارا بالكلام وقالت: نور، لم أعلم أن لك أخًا!

نور: ليس أخي.

سارا: لكن هو قال ذلك!

نور: في دار الايواء ننادي بعضنا بالإخوة.

سارا: هل كنتما في نفس دار الإيواء؟

نور: رجاءً غطي عني، سأذهب.

سارا: إلى أين؟

نور: أعتمد عليك.

سارا: لم ينتهي وقت عملك بعد.

نور: تبقى فقط نصف ساعة.

ثم خلعت القبعة والمريلة على عجل ورمتهما بين يدي ســـارا، ثم قالت: (لنذهب يا أخي) واصطحبتني للخارج!

بدى أنها غاضبة، لكني لم أفهم، لماذا أنكرت أنني أخوها؟

أخبرتني أننا سـنذهب مشـيًا إلى مركز تسـوق قريب، كان واضـحًا أنها غاضـبة، ولكن... ألا يفترض أنني من يغضب هنا؟

مجد: انتظري، أحتاج تبريرًا لما حدث توًا.

نور: أنا التي بحاجة لتبرير.

مجد: لكنني لم أفعل شيئًا، أنت من أنكر أننا اخوة.

قلتها بغضب شديد وصوت عالٍ، لكنها لم تجب.

وقفت أمامها وجهًا لوجه وصرخت: أجيبِ! لماذا أنكرت ذلك؟

جذبتني من ياقتي وقالت وهي تصــك أســنانها: لا تثق بأحد! مختار يتخذ هذا المكان كمقرٍ له، ولا نعلم لماذا يفعل ذلك. لا نعلم من يراقب هذا المقهى، في هذا العالم لا تثق بأحد ولا تخبرهم من أنت، أين تعيش، من إخوتك، لأنك بهذا تضــع نفســك وأخوتنا بخطر-ثم صــرخت- أتفهم!

احمر وجهها أثناء حديثها من شدة انفعالها، حتى كادت تتسلل دمعة من عينها -علمًا أن نور لم تبكي قط أو تضعف حتى! خاصةً أمامنا- لكنها أشاحت بوجهها عني ومسحت دمعتها بطرف ابهامها وهي تنظر لأعلى.

بقيت أنا مذهولًا مكاني من موقف نور هذا، أعلم أنها تثق بنا، ونحن نثق بها، لكن هناك مالم تخبرني به نور، لا يزال هناك الكثير مما لا أعرفه وهي تحتفظ به لنفسها!

من عادت نور أن تحتفظ بمشاكلها لنفسها، وإن كانت المشكلة تخصنا جميعًا تضحي بنفسها، لكننا لم نعد صغارًا!

مجد: آسف لم أدرك ذلك.

ما كان مني إلا أن أعتذر، شعرت وكأنني حجر الدومينو الذي سيطيح بكل الأحجار من بعده.

استعادة حزمها مرةً أخرى ووجهت سؤالها لي بعد أن هدأت: لماذا جئت إلي؟

مجد: إنسي الأمر، ليس مهمًا.

كنت خجلًا من قول (لأنني لم أجد ما يؤكل في المنزل وكأننا سنعيش على الطاقة الشمسية) لأنني بمجيئي هذا كنت على وشك تدمير حياتنا!

لكنها أعطتني نظرة أمر (تكلم).

مجد: كنت جائعًا، لم أجد أي شيء يؤكل في المنزل.

قلتها وأنا أتحاشى النظر في وجهها لأنها ستغضب على الأرجح، وقد فعلت!

نور: تركت لك طعامًا في الفرن.

مجد: كيف يفترض أن يخطر ببالي أن الطعام في الفرن؟

نور: اتصل بي عوضًا عن المجيء إذًا.

مجد: لا يوجد هاتف في المنزل.

نور: بلى.

مجد: أين؟ في الفرن أيضًا؟

أدركت أنه لم ينبغي أن أقول آخر جملة من نظرتها.

مجد: لم أعثر عليه.

كان جوابي هذا عبارة عن طوق نجاة مخدوش وأنا تمسكت به.

نور: كان على الطاولة قرب سريرك.

مجد: لم يكن.

نور: وضعته بيدي.

مجد: لنذهب ونرى إذًا.

نور: لا، سنذهب للتسوق أولًا.

معها حق المنزل بحاجة للكثير، سألتها عن سبب الفقر الذي يعاني منه منزلنا. أخبرتني أنها استأجرت المنزل قبل أمس ووجدت الأثاث، ثم وضعت الأثاث أمسًا وجاءت لاصطحابي بعدها.

لذا ينقصنا قائمة طويلة جدًا قد لا نكملها اليوم.

بعد أن انتهينا من جمع ما نحتاج وقفنا في طابور للدفع -هذه الروتينيات جديدة علي لأنني كنت أعيش في دار الإيواء المنعزل عن العالم- وعندما وصل دورنا وضعنا الأمتعة على الحزام الناقل، الذي نقل بدوره البضائع إلى الموظف الذي راح يمسك كل غرض على حدى ويسلط ضوءً أحمر عليه، ثم تظهر على الشاشة أمامنا اسم وسعر المنتج وإجمالي المبلغ الذي سندفعه له.

سألنا: الموظف، نقدًا أو بالبطاقة؟

نور: نقدًا.

ومدت يدها بالمال، ثم حملنا الأكياس وخرجنا من المركز.

هناك الكثير من الأسئلة في رأسي، بعضها وجدت له تفسيرًا أوليًا كالحزام الناقل والليزر الذي سلطه الموظف على البضائع.

لكن ما قصده بالبطاقة، هل هي مثل تذاكر الحافلة؟

مجد: نور... ماهي البطاقة التي سألنا عنها الموظف؟

نور: وسيلة دفع.

مجد: فهمت هذا سلفًا، لكن ما هيتها؟

نور: بطاقة بلاستيكية بشريحة إلكترونية مربوطة بالمصرف.

مجد: لم أفهم كيف تعمل؟

نور: لا أعلم.

مجد: يراودني الفضول حيالها.

نور: ابحث عنها على الشبكة.

مجد: ما هي الشبكة؟

لم نكن في دار إيواء وحسب كنا في كهف!

شرحت لي فيما بعد أن البطاقة تسهل عملية الدفع حيث أننا نحمل كل أموالنا في بطاقة خفيفة وصغيرة.

لكن ما لم أفهمه هو من أين تستمد البطاقة طاقتها؟ أخبرتني نور أنها لا تحمل بطارية أو وسيلة شحن للطاقة!

وعندما سألت نور قالت أنها تشبه أجهزة تخزين المعلومات مثل USB.

لكنني لم أعرف ما هو ذلك الـUSB ، ولكنها تعرف لأنها تستخدمهم في عملها أحيانًا.

وصلنا للمنزل، كنت أتضور جوعًا، لذا فتحت الفرن وأخرجت طعامي لآكله.

جاءت نور إلي تحمل في يدها لوحًا أسود من جهة، وملونًا من الجهة الأخرى.

مجد: ما هذا؟

نور: هاتف.

مجد: هاتف!

ثم ضغطت على الزر الذي وسط أسفل الشاشة فأصدر-الهاتف- نورًا، وعندما نظرت له كان يظهر الساعة والتاريخ، ثم مررت نور إصبعها على الشاشة فتغيرت، هذه المرة ظهرت مربعات صغيرة وملونه، أحدها يحمل صورة هاتف والآخر آلة تصوير، وبعضها يحمل أحرفًا إنجليزية وغيرهم الكثير.

نور: اضغط هنا.

ثم ضغطت على صورة الهاتف فظهرت قائمة فيها اسم واحد" نور"، وعندما ضغطت نور على اسمها سمعت صوت موسيقى من جيب نور، فأخرجت هاتفًا آخر، كانت الشاشة هذه

المرة تحمل دائرة خضـــراء بســـماعة هاتف مرفوعة وواحدة حمراء بســـماعة هاتف مقلوبة للأسفل، وكتب في أعلى الشاشة بخط كبير" مجد".

ثم أمسكت هاتفها واعادت الكرة، فاتصلت بهاتفي من هاتفها.

مجد: ما هذا؟

نور: إنه التطور!

مجد: مذهل! لا أحتاج لضغط سوى هذا الزر بالأسفل للتشغيل والباقي يمكنني تشغيله باللمس!

فقال وجهها: نعم.

في دار الإيواء علمونـا الكثير، لكن لم يعلمنـا أحدهم كيف نتعـامل مع التقنيـة على الرغم من أهميتها، خصوصًا أنها جزء لا يتجزأ من حياة الفرد في المجتمع.

عندما كنت طفلًا امتلك أبي هاتفًا بشـاشـة صـغيرة وأزرار كثيرة، وعندما أراد التحدث مع أحد كان يخرج رأسه من النافذة كي يلتقط الإشارة، وعندما يرسل رسالة نصية لأحد أو يرسلها له أحد تصله مع جملة (بقية النص مفقود)!

لكن الذي بين يدي الآن له ثلاث أزرار فقط، واحد للتشـــغيل وثانٍ لرفع مســـتوى الصـــوت والأخير لخفضه وهما متصلان ببعضهما.

في دار الايواء يوجد حاسوب، لا أنكر ذلك، لكن لم نتعلم سوى أن اسمه "شبابيك" وإن أردنا استخدامه نضغط على "ابدأ"، وبعدها لم يسمحوا لنا حتى باستخدام ما يسمى "المتصفح" إلا ما ندر، ثم تأتي المعلمة مَي لترى في ماذا كنا نستخدمه!

وبصـراحة لم أحب يومًا الحاسـب على عكس إخوتي الذين برعوا به، وخاصـةً أمل، لقد أحبته كثيرًا، كانت تتذمر دومًا من قدم نظام التشغيل الذي لم أدرك حتى اللحظة ما هو!

سمعت أنها كانت تبحث عن أشياء حتى المعلمة مَي لم تكن تفهم ماهي!

لاحقًا أخذت أسـتكشـف هذا الجهاز الصـغير، لقد كان رائعًا، عرفت الكثير من المصـطلحات الجديدة Wi-Fi، Bluetooth ...إلخ.

هناك الكثير من "التطبيقات" كما أسمتها نور، رحت أستكشفها كلها، من الرائع أن هذا الجهاز الصغير يقوم بخدمات كثيرة كالبحث والتواصل والدردشة والتصوير عال الجودة والترجمة... إلخ، أشياء أكاد لا أحصيها!

هناك ما قالت لي نور أن اسمه "مواقع التواصل الاجتماعي"، حذرتني من استكشافهم وأخبرتني بالسبب طبعًا.

مجد: سيلازمني هذا الجهاز دائمًا، إنه رائع.

نور: إياك.

مجد: لماذا؟

عيب نور أنا تكره الشرح، وقد شرحت حتى الآن أشياء كثير جدًا، وهذا غير عادي بالنسبة لها، لذا كان علي التوقف عن طرح الأسئلة والاكتفاء بهذا القدر.

لكنها قالت إنني سأكتشف لوحدي مع مرور الوقت، وهذا ما حدث فعلًا!

لاحقًا حظيت بمحادثة معها، كل كلمة كانت تقولها تجر خلفها الكثير من الأخبار المزعجة والحقائق القذرة عن العالم عامةً وعن مختار تحديدًا بحكم أنه عدونا الأول، كانت أمور لا يصدقها العقل لدرجة أنني طلبت منها التوقف عن قول الهراء، لكن عندما نظرت في وجهها أدركت أن هذا لم يكن هراء، ثم كررت على مسامعي (لا يمكننا الوثوق بأحد أبدًا) ثم تسألني إن كنت فهمت ذلك، ثم تكرر (لا يمكننا الوثوق بأحد).

أخبرتها مرةً أن نزور دار الإيواء، لكنها رفضت (علينا أن نتأكد أنهم بأمان).

لا أعلم أين وصلت نور في تحرياتها لكن بدا واضحًا أنها قطعت شوطًا لا يستهان به البتة.

مجد: ما هو هدفك؟

نور: على المستوى العام الفضيحة والسجن.

مجد: هذا يعني أمرين الأول أن ضحاياه كثر، الثاني هناك مستوى خاص.

أومأت رأسها بنعم، ثم قالت: على المستوى الخاص سأجعله يتمنى الموت ولا يجده.

مجد: لكن أفعاله شنيعة، إنه يستحق الموت.

نور: هو من سيرتاح إن قتلناه.

مجد: سنقتله بأبشع الطرق، أليس هذا ما نريده؟

كنت أعد الشاي حينها ولم أنظر لوجهها عندما سألتها، لغة وجه نور تخبرني بأشياء أكثر من لسانها، لذا عندما رفعت رأسي ونظرت لوجهها فهمت الأمر.

رأيت أن كلامها منطقي، إن مات مختار فسيحاسب في الآخرة، لكن هذا لا يعني ألا نحاسبه في الدنيا ونأخذ بثأرنا، لقد سبب لنا ألمًا وندوبًا لا يمحوها الزمن، لماذا علينا أن نتحملها؟ لماذا لا يشعر بما سببه لنا من ألم؟

مجد: حسنًا إذن أنا معك، فقط أشيري علي وسأفعل.

ابتسمت حينها ابتسامة طفيفة تقول (الآن أنت تفهم).

مجد: تفضلي الشاي.

مرة أخرى، شكرتني دون أن تنطق بكلمة.

مجد: ماذا عن إخوتي؟ كيف نخبرهم؟ قد لا يتحملون.

نور: إنهم أقوى مما تتصور.

مجد: أعلم، لكن أُفَضِّلُ أن أخوض هذه المعركة لوحدي، سأترك لهم الضربة الأخيرة فقط.
قالت ما لا يستطيع صمتها قوله: هل ستقبل إن تركتُ لك الضربة الأخيرة فقط؟

مجد: لا، هذه.. إهانة!

نور: نفس الشيء، سنخبرهم بالوقت المناسب.

مجد: حسنًا إذًا.

وبعد كثير من الصمت وشرود الذهن قلت: ليتني كنت أعرف بأنهم قتلوا منذ البداية.

لكن وجهها حمل تعابير لم أفهمها.

مجد: مهلًا، هل كنت تعرفين أنهم قتلوا قبل ذلك؟

هزت رأسها نفيًا مع أنني أشك بذلك! أنا متأكد أن هناك ما لم تخبرني به، أخبرتني بالكثير ولا أنكر، ومازال هناك الكثير وستخبرني بهم. لكن هناك أمر تتعمد إخفاءه، وأنا متأكد من ذلك!

فيما بعد درسنا بعض القضايا لعل وعسى نعثر على دليل أو ثغره، لكن فجأةً كان ملفه أبيض، لا جرائم تحت اسمه!

حسنًا هذا منطقي لأنه لم يتلقى أي عقوبة، وهذا يعني أيضًا أنه استطاع التخلص من التهم.

لكن ما لفت نظري هو أن هناك العديد من الأشـــخاص الذي ماتوا بظروف غامضـــة أو أزمة صـــحية أو انتحار، وبعد الفحص والتمحيص اكتشـــفنا أنهم على علاقة بمختار بطريقة أو بأخرى، وأغلب الظن أنهم وقفوا في وجه أعماله، وهذا يعني أننا لسنا الضحايا الوحيدين.

مجد: هل نعتبرهم حلفائنا؟

قال وجهها: نعم.

مجد: لكن لا يمكننا الوثوق بهم! لحظة... دعيني أفكر، كيف نضمهم لصفنا دون أن يؤذوننا؟

كان وجه نور يقول (إنه السؤال الصحيح) وهذا يعني أنها تعرف كيف.

مجد: نجعلهم يثقون بنا؟

قال وجه نور: لا.

مجد: وجدتها... نجعلهم يثقون بمصلحتهم، بحيث إن تسببوا لنا بأذى فسيتأذون هم أيضًا، أليس هذا صحيح؟

قال وجه نور: بلى.

مجد: وهذا يعني ألا نريهم بطاقاتنا الرابحة كلها.

هذه المرة قال لسانها: إجابة كاملة.

مجد: رائع، أنا الآن أفهم اللعبة، حسنًا ما التالي الآن؟

نور: السيدة سيرين، إنها بالفعل حليفتنا.

مجد: هل لديها لدليل؟

اومأت رأسها بنعم وقالت: لكنها لم تطلعني عليه.

مجد: هذا يعني أنه بطاقتها الرابحة.

ثم وجهت لها سؤالًا: أليس لديه عائلة نهدده بها؟ سنختصر الكثير.

نور: لا، وهذا كي لا يهدده أحد بها!

مجد: حسنًا أنا ضائع قليلًا الآن، من أين علينا أن نبدأ؟

نور: من حياتك أيها الشاب.

لماذا أشعر أن هناك مقصد خلف كلمة (الشاب).

نور: تصبح على خير، لدي عمل غدًا.

ثم نهضت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها.

هل يعقل أنها سئمت مني؟ لقد كانت هي من تعد الطعام وتنظف المنزل، بالإضافة إلى أنها تعمل لتأمن المال! أو ربما سئمت جهلي الشديد؟

هذه الفكرة تجعلني أشعر وكأنني عالة عليها!

سأخلد للنوم الآن، سأفكر غدًا بما تقصده. أنا متأكد أنها تقصد شيئًا!

عندما استلقيت على سريري أمسكت الهاتف وأخذت أتصفح قليلًا، لكنني فوجئت بأن كل الأخبار هنا عن مختار والقليل عن قضايا أخرى! الغريب أن بعضها كان قديمًا، أحدثها كان تاريخه الأسبوع الماضي وكان مجرد مقاله تتحدث عن أبرز رواد الأعمال في بلادنا وعلى رأسهم (النرد الرابح)!

في الصباح عندما استيقظت كانت نور قد غادرت بالفعل، وتركت لي طعامًا في الفرن كالأمس تمامًا.

تناولت طعامي ثم تجولت في المنزل قليلًا لكنني سرعان ما شعرت بالضجر.

غيرت ملابسي، رتبت هندامي وسرحت شعري وقررت أن أنزل لأتجول في الحي قليلًا.

يتوجب علي أن أحدد مكان أقرب مسجد، أقرب محل بقالة، لحَّام، بائع خضار، مدرسة، مركز صحي...إلخ.

رسمت في ذهني دائرة مركزها هو المنزل، وعليها سأبدأ بتحديد المواقع، سأبدأ بالسير في دائرة حول المنزل قطرها كيلومتر.

كان الحي قديمًا شعبيًا، جنوب المنزل كان هناك شارع يعتبر عصب الحي، فيه محل بقالة صغير اصطف قربه بائع خضار ولحَّام، كانت كلها محلات صغيرة وبسيطة، وفي الشارع المقابل لهم كان هناك مسجد، هذه المنطقة يستغرق الوصول لها ربع ساعة من السير.

في شرق المنزل كان هناك مدرسة ومستودع، أم غربًا فتكدست المنازل وفي وسطها منتزه صغير به بعض ألعاب الأطفال.

شمالًا كان هناك محطة وقود وحولها ورشة سيارات داخل بناء، في الطابق العلوي للمبنى كان هناك مقهى شعبي يرتاده أهل الحي، تدخله الشمس من كل الجهات بسبب عدم وجود جدران طويلة، كان هناك سقف خشبي تتدلى منه النباتات وبعض المراوح التي تحيط بالطاولات.

حتى الآن لم أعثر على مركز صحي!

شعرت بالعطش، لذا صعدت للمقهى وطلبت كوب ماء، ومرةً واحدة أستغل جلوس هنا وأفهم الشخصية العامة لأهالي الحي.

طلبت كوب ماء وفنجان قهوة وجلست قرب الجدار القصير الذي لا يتعدى طوله المتر. طول هذا الجدار سيكون مشكلة لو تشاجر أحدهم هنا، سقوط أحدهم سيكون سهلًا جدًا. أخذت أراقب، البساطة تغلب رواد المقهى عكس الذين كانوا في المقهى الذي تعمل به نور! راقبت حركة السيارات أيضًا، ولم تكن كثيفة كالشارع الرئيسي للمدينة، لكنني لاحظت سيارات إسعاف تدخل وتخرج من أحد الأزقة في الحي الذي على الضفة الأخرى من الشارع.

حسبت بدايةً أن هناك حادثًا ما، لذا سألت النادل عن الأمر فقال أن هناك مستشفى يقبع خلف الكنيسة -وهو ما استطعت رؤيته من مكاني- لهذا السبب هناك حركة كثيرة لسيارات الإسعاف، قال أن هذه الحركة طبيعية نوعًا ما.

محطة الإطفاء أيضًا على تلك الضفة، لكن مركز الشرطة هنا في جانبنا.

انتهيت من رسم خريطة جغرافية للمكان في دماغي بقطر كيلوا متر حول منزلنا.

المستشفى يبعد أكثر من نصف كيلومتر لكنه ليس بعيدًا أيضًا!

بالنسبة لمقر عمل نور فهو يستغرق مشيًا ساعة تقريبًا، لكن بالحافلة عشرين دقيقة فقط.

حسنًا الآن يتوجب علي البحث عن عمل، فهمت ما قصد نور من كلمة (الشاب) تريد أن أجعل لنفسي قيمة، وأنا فكرت أن العمل سيجعل لي قيمة!

وبما أنني أخذت جولةً في الحي، فكرت أنه لا بأس بأن أجرب حظي هنا أولًا، فكرت باللحام وبائع الخضار؛ لكنهم لم يروقوا لي كثيرًا، ربما أسأل البقال؛ لكنني لمحت أن لديه فتى فعلًا، ربما المقهى هنا يمتلك شاغرًا؟ لا.. مزاجي حاد وقد لا أتحمل!

ثم فكرت بالميكانيكي وقد لمعة في رأسي هذه الفكرة.

لذا دفعت للنادل حساب كوب الماء وفنجان القهوة ثم غادرت.

لست خبير سيارات بالطبع، لكنني ذكي وأتعلم سريعًا!

عندما توجهت نحو الورشـــة لاحظت أن هناك رجل كبير بالعمر نوعًا ما يجلس عند باب الورشة، يبدوا أنه هو مالكها، وآخر ثلاثيني العمر، كان في الداخل يفعل شيئًا ما.

إذا كان الثاني يعمل لدى الأول فقد لا يقبل بوجودي، لكني سأجرب حظي بكل الأحوال.

اقتربت من الورشة وألقيت التحية على من فيها، وقد كان هناك رجل يشارك صاحب الورشة الطاولة أثناء شربهم للشاي، بدى لي أنه ينتظر سيارته.

ردوا التحية ثم قلت: لديك ورشة جميلة يا سيدي!

لم يرد، رمقني بنظرة استنكار لذا تابعت حديثي: هل أنت بحاجة ليد جديدة؟

قال متعجبًا: يد جديدة!

حزتُ على انتباهه، تقدم جيد حتى الآن.

مجد: نعم، يد جديدة... فكر بالأمر هذه الورشـــة الرائعة ذات الســـمعة الطيبة يمتلكها كريم معروف بطيب أصـــله، ألن يكون من الرائع أن يكون له شـــاب صـــغير مثلي في مقتبل العمر يتبعه ويخدمه ويخدم زبائنه الطيبين؟

(قلت آخر جملة وأنا أنظر مبتسمًا للرجل الذي ينتظر سيارته.)

في الواقع لا أعلم عن هذه الورشة أو صاحبها شيئًا، لا أعلم ما هو اسمه حتى!

لكن وجهه السمح شجعني على الاقتراب والسؤال.

ما إن أنهيت كلامي حتى أخذ يضحك، ثم قال: متملق جيد ولسانك عذب، لكننا لسنا بحاجة ليد جديدة.

مهلًا يا أنت، تملقت لك كثيرًا ولن أعود خال الوفاض!

اقتربت من الطاولة التي كان يجلس عليها ورحت أنظف أعقاب السجائر وقشور دوار الشمس متابعًا حديثي: إذا قبلتني ستساهم في خفض أعداد البطالة، كما أنني ذكي وأتعلم بسرعة، وأعد أنني لن أخذلك!

نظر لي الرجل وفكر كثيرًا، وأنا كنت أنتظر سماع الموافقة منه.

قال: لا يعني لا.

قلت في محاولتي الأخيرة: جربني يومًا واحدًا ولا تعطيني أجره، إن لم أكن جيدًا سأغادر من تلقاء نفسي، أعدك.

حينها تدخل الرجل الذي ينتظر سيارته وقال: اقبله وحسب، إنه لحوح جدًا.

قال: لا.

قال الزبون: يا رجل، اكسب حسنته، الشباب في مثل عمره إن لم ينشغلوا فسوف ينحرفوا وحينها سيشكلون خطرًا على المجتمع، اقبله وحسب.

بدى ودودًا وفخورًا واثقًا بنفسه، يسعدني حقًا أنه ألح عليه من أجلي، ولكنه بالغ في إقناعه، إلا أنه نجح، قال صاحب الورشة: تعال غدًا، ويوم واحد وبعدها أقرر، أيضًا بدل ملابسك لأخرى تناسب العمل، تبدوا كما لو أنك ستظهر بالتلفاز بهذه الملابس، ولا تتأخر!

قال جملته وأشاح بوجهه كالمغرم.

شكرته كثيرًا هو وزبونه ثم غادرت.

لكن عندما ابتعدت عن الورشة صرخ يسألني (ما اسمك يا فتى؟)

حينها استدرت نحوه بكامل جسدي وأكملت طريقي أسير للخلف وأجبته بصوت عالٍ (مَجد).

قال: وأنا أبو يحيى.

حينها ابتسمت وعدت للسير إلى الأمام مكملًا طريقي للمنزل، ورفعت يدي ألوح لهم بالوداع وهم من ورائي.

أثناء عودتي للمنزل شعرت بالجوع، نور لن تعود قبل ساعة من الآن، لذا رحت أتذكر ماذا يوجد في ثلاجة المنزل، هناك بعض الخضار التي اشترينها بالأمس، لكن لا يوجد لحم.

مررت بالملحمة قبل ذهابي للمنزل، وعندما جاء وقت الحســـاب أخذت أبحث عن محفظتي لكنني لم أجدها! وجدت هاتفي ومفتاح المنزل، لكن المحفظة اختفت، وبذلك فشـــلت خطتي للغداء اليوم.

مددت يدي أعيد كيس اللحم، لكن اللحام امتنع وسألني إن كنت أضعت محفظتي.

مجد: يبدوا ذلك.

اللحام: لا تقلق، خذ اللحم الآن ومرني فيما بعد وادفع حينها، جئت سيرًا، هل تسكن في الحي؟

مجد: نعم.

اللحام: أتوقع أنك ستزورني كثيرًا، لا بأس، وجبة هنيه.

مجد: ألا بأس بذلك حقًا؟

اللحام: لا تشغل بالك، سدد المرة القادمة، أخبرني الآن ما اسمك؟ إنها المرة الأولى التي أراك بها هنا.

قلت: مَجد.

شـكرته وغادرت، ثم مررت أمام محل الخضــار لأنني تذكرت أنني كنت سـأشـتري ورقيات لكنني عدلت عن الفكرة، فلا مال لدي ولا نية لي بإحراج نفسي.

فاجأني اللحام عندما مد رأسه خارج محله ونادى على بائع الخضار وقال: يبدوا أن هذا الشاب خرج ليشتري الطعام لأهله ونسي محفظته، إنه جديد في الحي.

حينها نظر لي بائع الخضار وقال: تعال يا بني، خذ ما تحتاج وادفع لاحقًا.

مجد: أشكرك ولكن...

البائع: تعال هيا، في هذا الحي اعتبر جميع الجيران أهلًا لك.

مجد: أشكرك جدًا.

أخذت كزبرة ونعناع وذهبت للمنزل سـعيدًا، يبدوا أنني أضـعت محفظتي في المقهى، سـأعود غدًا لأسأل عنها.

المهم هو أن خطتي لغداء اليوم سـتسـير كما خططت، لا أعلم إن كان الوقت سـيسـعفني فلقد وصـلت للمنزل ونور يتوقع أن تصـل بعد خمسـة عشـر دقيقة، لا أعلم إن كنت سـأنتهي قبل حضورها أو لا.

كنت أقطع الخضـار واللحم بسرعة، مهارتي في الطبخ ليست مثاليه ولكنها كافية لإبقائي على قيد الحياة، تقول المعلمة مَي أن الوجبة يجب أن تحتوي على الخضـار والبروتين والنشـويات، وهذا ما أحاول صنعه.

بداية قطعت البصـل لشـرائح ووضـعته بمقلاة مع قليل من الزيت، ثم أضـفت له الفلفل الأسـود والملح، ثم الكزبرة، وبعد أن احمر البصل أضفت فص ثوم هرسته تحت سكيني، أضفت الفلفل الرومي الأخضر، وأخيرًا اللحم. مع أنني أشك أن هذا هو الترتيب الصحيح لطهو المكونات!

وعندما أوشـك اللحم على النضـج وصـلت نور، دخلت ثم أخذت تتبع الرائحة حتى وصـلت للمطبخ، بدت سعيدة جدًا! قالت: طـعـام!

مجد: جائعة؟

نور: جدًا.

مجد: سعيد بهذا، بدلي ملابسك وتعالي، سأجهز المائدة.

ثم خرجت من المطبخ تستنشق الرائحة.

لم أعلم أن وجبةً بسيطة لا اسم لها ستجعلها سعيدة لهذا الحد.

أخذت أرتب الطاولة، ثم فجأة أدركت أنني لم أحضر خبزًا، لذا هرعت للثلاجة لعل وعسى أن أجد شـيئًا من بقايا الأمس، وبالفعل وجدت رغيفًا واحدًا، مع أنه لا يكفي كلانا لكنه أفضـل من لا شيء.

جلسنا على الطاولة، نظرت نور نحو الأكواب بتساؤل، تذكرت أنني نسيت إبريق الشاي على النار، لذا قمت على عجل وأحضرته.

وعندما عدت وجدت أن نور قد أحضرت معها خبزًا في طريق عودتها.

مجد: لقد حضرت لك شايَك المفضل، شاي أحمر بالنعناع.

نور: مع وجبة كهذه؟

مجد: ما المشكلة؟ جربي أولًا.

ثم رأيتها تأكل باستمتاع كما أخبرني وجهها.

مجد: لذيذ؟

قال وجهها: نعم.

مجد: يسعدني ذلك.

نور: ما اسمها؟

مجد: لا اسم لها.

نور: أفضل من الشطائر.

مجد: لهذا أحضرتِ الخبز؟

قال وجهها: نعم.

نور: ماذا ستطبخ غدًا؟

مجد: اليوم استثناء، لا تعتمدي علي.

نور: لا يمكنك طهو الكزبرة هكذا.

مجد: لماذا، أليست لذيذة؟

نور: بلى، ولكن يمكنك الحصول على أخرى من النوع المجفف من البقالة.

مجد: المرة القادمة.

نور: أيضًا، أطلب من اللحام فرم اللحم بدلًا من أن تفرمه أنت بسكينك.

مجد: حقًا! لم أفكر بالأمر.

بعد الطعام أخبرت نور أن مختار يتصـــدر الأخبار، وأريتها الهاتف، لكنها ارتبكت ووجهت سؤالها لي بسرعة: هل كان الهاتف موجودًا عندما كنا نتحدث؟

مجد: نعم.

تمتمت نور: التنصت الغبي.

مجد: ما هو؟

نور: إنه يخدم مستخدمي الإنترنت لكنه قد يضرنا.

مجد: لم أفهم.

نور: اسمه ملفات تعريف الارتباط[1].

ثم شرحت لي عنه وقالت: جرب افتح هاتفك الآن.

هذا مذهل! معظم الأخبار تتحدث عن نظام "ملفات تعريف الارتباط" هذه.

مجد: هذا يعني أننا مراقبون.

قال وجهها: نعم.

مجد: اسمعي ما الذي ذكر هنا، إنها تراقب عدد ساعات استخدامك لكل تطبيق وموقع، ومتى تستخدم الهاتف، والموقع الجغرافي لك، والمحادثات والدردشات. بالإضافة للتنصت، يمكنهم بهذا معرفة تفاصيل حياتي وروتين يومي أيضًا، هذا مخيف، مع أنه مفيد!

اقشعر بدني عندما فكرت أن مختار قد يستخدم تلك التقنية لعثر علينا.

مجد: ألا نستطيع مقاضاتهم؟

نور: إن لم توافق على هذا فلن تستطيع استخدام الهاتف.

مجد: ما العمل الآن؟

نور: فقط أبقه بعيدًا عنك.

ثم تابعت قولها: لا تفكر في إنشاء حسابات لمواقع التواصل الاجتماعي، إنها أرض صيد خصبة بالمعلومات.

مجد: لكن منذ متى وأنت تتكلمين أكثر من جملة، لطالما كانت أحاديثك مختصرة جدًا على الضروريات!

حينها نظرت لي بنظرة جعلتني أتمنى لو أنني لم أتكلم!

-ملفات تعريف الارتباط أو (HTTP cookies): هو نظام لتتبع معلومات المستخدم وتحسين تجربته على مواقع الويب، له اضراره وفوائده.

من الفوائد: تسهيل تسجيل الدخول، وتذكر تفضيلات المستخدم، وتقديم محتوى مخصص.

أضراره: له مخاطر مثل استهداف المستخدم من قبل المعلنين الذين استفادوا من هذا النظام بالحصول على المعلومات الشخصية للمستخدم.

صـباح اليوم التالي ذهبت للورشــة بعد مغادرة نور، ألقيت تحيتي على أبا يحيى والشـاب الذي معه، وطلب أبو يحيى من الشــاب أن يأخذني في جولة في الورشــة، لا يبدوا أنني مرحب بي هنا!

عرفني بنفســه: اســمي رامي، وباعتباري أقدم منك هنا عليك أن تحترمني وأن تأخذ أوامري على محمل الجد.

عيونه ناعسه وابتسامته صفراء، بدى لي كلعوبٍ ماكرٍ خبيثٍ لئيم!

ربما علي البقاء يقظًا عندما أكون معه.

علمني أسماء بعض الأدوات واستخداماتها، قال إنني لن أتدخل في اصلاح السيارات، أناولهم الأدوات وأستقبل العملاء، وأنظف.

مضـى يومي الأول هكذا، كان يحاول أن يمسك علي ذلة لكنني كنت يقظًا، ربما أيامي معه قد تكون عصـيبة، لكن أبا يحيى رجل حق، لذا لسـت أخاف على نفسـي من رامي، لكن احترامه واجب لأنه إنسان، ولا يستحق أي إنسان أن يهان!

بشـكل عام سـارت الأمور بخير، وقبيل الظهيرة طلب منا أبا يحيى أن ننصـرف لمنازلنا لأنه وقت الغداء.

هممت بالرحيل لكن سيارةً اقتربت منا وكانت تصدر ضوضـاء أثناء سيرها لأن أحد عجلاتها كان مفجورًا.

ما إن ترجل السـائق من السـيارة حتى أمطر أبا يحيى بوابل من الشـتائم، نعته بالغشـاش وهو يرفع صـوته بغضـب، كان يقول إن أبا يحيى ورامي استغفلاه أمسًا أثناء إصـلاحهما المحرك وأحدثا ضررًا لإطار السيارة كي يأتي لا حقًا إليهما بعد أن ينفجر فيزداد ربحهما بذلك!

على الرغم من أن قوله غير منطقي لأنه لا يوجد وسيلة لفعل ذلك، لكن سـواء أكان هذا الأمر صـحيحًا أو افتراء فإن سـمعت أبا يحيى سـتتضـرر جدًا. بالتأكيد هذا الأمر يتوقف على كيفية سير الأحداث.

كان رامي ينظر للسائق بعينين مقوستين كذبابة ميتة، نظرةً يقدح منها الشرر، ولا تبشر بخير، لكن أبا يحيا حاول تدارك الأمر وتهدئة السائق، ثم طلب من رامي أن يدخل السيارة للورشة.

العبث بالإطارات لتنفجر لاحقًا شــبه مســتحيل، لا أعلم الغرض الذي دفعه للقدوم لكنه مريب قليلًا.

انشغل الاثنان بتبديل وفحص الإطارات، بدى أن السائق لم يدرك أنني موجود حتى الآن، ربما لأنه لم ينادني أحد، ولم أقترب كثيرًا.

رأيت السائق وهو يمسك مفتاح إنجليزي أخذه من رف المعدات، وشيئًا فشيئًا راح يقترب منهما يهم بإيذائهما. ضربة واحدة على الرأس بذلك المفتاح ستؤدي للموت!

كان علي تدارك الوقت والتصرف، إن ضربته قد يهيج ويؤذينا جميعًا، وأنا أجهل مقدار قوته، يمكنني سحب المفتاح بسرعة وضربه بيدي على شريانه فيفقد الوعي، وأنا قادر على ذلك، ولكني بذلك قد أوذيه، لكن إن لم أفقده الوعي فسيكون بإمكانه تناول أي أداة أخرى وقد تكون أكثر خطرًا، ربما أحاول التحدث معه؟ لا، هذا يحتمل أن يهاجمني، وأنا لا أعرف مقدار قوته!

حسمت أمري أخيرًا، كنت قد فكرت بكل الاحتمالات خلال أجزاء من الثانية، اندفعت نحوه وقيدت ذراعيه وجسده من الخلف بذراعيَّ جامعًا قبضتيَّ أمام معدته، قيدت بذلك حركت ذراعيه قليلًا؛ لكنه بدأ يحرك كفه يؤرجح المفتاح محاولًا ضربي به، يمكنني ضربه على معدته بقبضتي معًا لأوهن قوته، ولكنه بذلك قد يتأذى!

كان عريض البنية، كان يقاوم قيدي ويضرب ركبتي بالمفتاح بقوة، لذا استدرت به سريعًا ليوقع المفتاح من يده مستغلًا بذلك وزن المفتاح والقوة التي أرجح المفتاح بها (قوة الطرد المركزي).

لم أفلته حتى خرجت به من الورشة متيقنًا بذلك ألا شيء حوله ليتخذه سلاحًا، ثم أفلته بدفعه عني، لحسن الحظ توازن ولم يسقط، لكنه سرعان ما أخرج سكينًا من جيبه وهدد قائلًا: كيف تجرء أيها الوقح!

كنت أقف بالكاد لأن ركبتي كانت تنزف، أقسم أنه لو اقترب سأجعله هذه المرة يلقى حتفه أمام الجميع ولن أشفق عليه!

كان يضحك بغباء هستيري، ذلك المنحط يريد الاستمرار بالقتال، كان يلوح ويستعرض بسكينه في الهواء، ولحسن الحظ تدخل بعض المارة وطردوه.

دخلت الورشة بعد ذلك مستندًا على كتف رامي وراح أبو يحيا يعالج جرح ركبتي، والحمد لله لم تكن إصابتي بها أي كسور، سوى الكثير من الكدمات وجرح ليس بالصغير، كان الجرح في باطن ركبتي لهذا السبب كان يؤثر على مشيتي.

أثناء ذلك شكرني أبو يحيى ورامي، قال أبو يحيى: إن ذلك الرجل يأتي دائمًا لافتعال المشاكل خصوصًا أنه يعرف طبيعة رامي المتهورة والطائشة، وقد جاء بالأمس وتبادلا الشتائم وتوعد

أن يأتي اليوم وقد فعل، لو أنك أخذت المفتاح منه في البداية لصـرخ بالناس أنك تحاول التعدي عليه، كان موقفك حكيم مع أنك تأذيت جدًا.

مجد: لماذا يفعل ذلك؟

رامي: سابقًا كان يريد الإساءة لسمعة الورشة، لكن يبدوا أنه كان عازمًا على قتلي اليوم!

قالها وهو يمزق الشاش بكل قوته ثم ثبته على قدمي.

مجد: لم؟

رامي: سابقًا كان صديقي المقرب، درسنا معًا في الثانوية ثم الكلية، أراد بعد التخرج أن يفتتح ورشـــة كهذه، ونكون بها شـــركاء، وقد فعلنا! لكنه في إحدى المرات تشـــاجر مع أحد العملاء وأبرحه ضربًا؛ فساءت سمعت ورشتنا وسمعته تحديدًا؛ لذا أغلقنا هذا المشروع. لاحقًا تعرفت على أبو يحيى وصـرت أعمل عنده، لكن الحظ لم يحالفه لذا صـار يأتي دائمًا لافتعال المشـاكل وتشويه سمعتنا غيرةً وحسدا.

لم يتحسن الوضع بعد معرفتي بتلك القصة، ما فعلته هو تجنب حادث وفاة، أما مع يكمن الحق فلم أسمع القصة من الطرف الآخر، ولست مهتمًا حقيقةً، لكن رامي لا يريحني بشكل عام.

لاحقًا حاولا إيصـــالي للمنزل لكني رفضـــت، لا أريد أن يعرف أحد أين نعيش خصـــوصًـــا بعد شجار كهذا!

أثناء عودتي للمنزل مررت باللحام وبائع الخضار ودفعت لهم ثمن ما أخذته بالأمس.

وبعد وصـولي للمنزل اغتسلت وكلي حرص ألا يصـل الماء لركبتي، بعدها هممت بالاتصـال بأحد المطاعم؛ لكني عدلت عن الفكرة لأن نور دخلت ومعها طعام الغداء.

المهم الآن ألا أمشي أمامها حتى لا ترى مشيتي العرجاء وتبدأ بالقلق، عدا أنني لم أخبرها بعد بأمر عملي حتى! لكنني ســـأخبرها عندما يوافق أبو يحيى وهذا ما ســـأســـأله عنه اليوم عندما أعود للورشة لاحقًا.

سألتني نور عن يومي فأجبتها بـــــ(جيد)، مع أنني كنت مرتبكًا، لكنها كانت مرهقه ولم تلحظ ارتباكي، لذا لم تسألني عن التفاصيل.

نور: فيما بعد اذهب لمقهى انترنت وجمع تفاصيل عن أحدث قضايا وأخبار مختار.

مجد: ما هو مقهى الانترنت؟

نور: مكان فيه الكثير من الحواسب المتصلة بالشبكة.

مجد: هكذا إذًا.

نور: حاول ألا تحتك بأحد هناك، ويفضل ألا يعلم أحد بمحتوى بحثك.

مجد: ثقي بي، لقد فهمت نوع اللعبة التي نخوضها.

ابتسمت ابتسامةً مرهقه وعينين تقولان (أعتمد عليك).

مجد: نور-ناديتها فأعارتني انتباهها- هل تعرفين في ماذا تشبه الدجاجة الماء المغلي؟

قال وجهها: لا أعرف.

مجد: كلاهما يقول (بق بق بق) قلتها بسرعه لتكون مضحكه وقد نجحت، ضحكت نور رغم تفاهة النكتة، أصبت الهدف!

مجد: هل لديك عمل مساء اليوم؟

نور: هل هاتفك موجود؟

يبدوا أمرًا جادًا!

مجد: لا تقلقي إنه في غرفتي.

نور: أخبرتني سارا أن لا عمل لي اليوم في المساء.

مجد: جيد.

نور: متأكدة أنه سيلتقي أحدًا الليلة.

مجد: وسارا لا تريدك أن تعرفي، لذا فهي مهمة تجسس اليوم.

قال وجهها: تمامًا.

مجد: ماهي فكرتك عن سارا؟

نور: غامضة!

مجد: بالتوفيق إذن، ارتاحي بعد الأكل، سأرتب المكان بنفسي.

نور: لا عليك.

مجد: أنت بحاجة للتفكير، اذهبي!

نور: لا داعي.

مجد: أسمعي... هل تعرفين كيف تطمئن اللقالق بعضها؟

كان وجهها يقول: نكته أخرى سخيفة؟

مجد: تقول لا تقلقي -قلتها بقلقلة القاف بقوة-، ابتسم وجه نور أخيرًا، إنها ترهق نفسها بالتفكير لذا لا بأس بقليل من النكت السخيفة كي أخرجها من همها قليلًا.

نور: لماذا تستمر بفعل هذا؟

مجد: أعني ما قلته حُقًا، توقفي عن القلق، سـنطرح مختار أرضًـا ونبرحه ضـربًا، لكن حتى حينها عليك أن تكوني بكامل قوتك، اتفقنا؟

وافقت أن ترتاح أخيرًا، لن أسـألها عن أي تفاصـيل الآن، إنها تشـك بأمر ما وتريد التيقن منه، ستخبرني حالما تتأكد، لو كان من المهم مشاركة ما تشك به معي لفعلت؛ لذا سأنتظر.

الآن يمكنني النهوض من الكرسي أخيرًا بعد أن دخلت غرفتها، ولن تلحظ مشيتي العرجاء!

بعدها ذهبت نور إلى مهمتها -الجاسوسية- وطلبتُ منها أن تكتب لي رسـالة كل نصـف سـاعة تطمئنني بها عن نفسها وترسل لي موقعها إن لزم الأمر.

أما أنا فقد مضيت للورشـة، والشكر لله أن كل شـيء سـار بهدوء حتى انتهاء اليوم، جلست مع أبا يحيى قبل أن يغادر لمنزلة أسـأله إن كنت سـآتي للعمل عنده أو لا؛ فقد مضـى يوم بالفعل. قال: أيها الفتى، أنقذت حياتنا وسُمعَتَ الورشة أيضًا، الكل يتحدث عنك كبطل، من الخسارة أن أتركك تذهب، كما أنك ذكي وفطين بما يكفي لتمتهن هذه المهنة.

سـررت كثيرًا من كلامه وشـكرته، مع أن رامي لم يرق له الأمر كثيرًا، لكن شـأني عند أبا يحيى وليس رامي.

بعدها استخدمت برنامج الخرائط ليأخذني إلى أقرب مقهى انترنت، لم أستطع السير كثيرًا لذلك ركبت الحافلة بعد أن حددت مساري.

كان المكان في مقهى الإنترنت باردًا حد الخدر، والجو غريب بعض الشـيء، هناك الكثيرين ولكن لا أحد يتحدث مع الأخر، حصـلت على جهاز وأخرجت دفتري وقلمي وبدأت أبحث عما جئت لأجله.

رسمة القضايا على هيئت خرائط مفاهيم وأحداث متسلسله ليسهل علي فهمها وشرحها لنور فيما بعد، استغرق الأمر مني ساعتين، وعندما شعرت بالتعب عدت أدراجي للمنزل لكنني سأعود غدًا أيضًا لأكمل.

كان يومًا طويلًا فعلًا، أثناء طريق عودتي اتصلت نور وأخبرتني أنها عادت للمنزل، طلبت مني شراء الخبز؛ لذا وفي طريقي للمخبز لفت نظري دكان يعرض بعض الحلوى والوجبات الخفيفة، في دار الإيواء كنا نحصل على هذه الوجبات في الأعياد فقط! ابتعت القليل من الكثير من الأصناف، وخرجت من الدكان كالطفل الصغير. كمجد الصغير الذي أخذه والده للدكان فاشترى بعض الحلوى ليشاركها مع أخته الصغيرة، لكن والده منعه من ذلك لأن أخته الرضيعة أصغر من أن تأكل الحلوى، لذا كان يخبئها في كل مرة داخل صندوق كي تأكلها أخته عندما تكبر.

لكنها لم تكبر، ولم تأكل الحلوى التي في الصندوق! حتى صندوق الحلوى أخذه مختار الذي لم يكتفي بسلب حياة وأسرة مجد الصغير!

عدت للمنزل، منطقة الراحة والأمان الخاصة بنا، صنعنا بعض الشطائر وتناولناها.

مجد: كيف كانت مهمتك؟

نور: عرفت شيئًا مهمًا.

مجد: ما هو؟

نور: كان يناقش أمر خروجنا من دار الإيواء.

مجد: أنا وأنت؟

نور: بل جميعًا، لقد وضعنا ضمن خطته.

مجد: خطه!

نور: لا تقلق لقد خرجنا عن مسار خطته.

مجد: اشرحي لي، لم أفهم.

نور: كيف كان بحثك؟

مجد: جيد، سأتابع غدًا.

نور: إذن سأخبرك عندما تنهي البحث.

ثم ذهبت لغرفتها وأغلقت الباب!

مهلًا ستتركني في جوف الجهل وتمضي، هذا ليس منطقيًا، رمت قنبلتها علي وأدبرت!

حاولت أن أفهم منها، لكن لا جواب.

هكذا إذًا، أنا أيضًا لدي ما أنوي إخبارها به، لكنني لن أفعل، السن بالسن والعين بالعين والخبر بالخبر!

في اليوم التالي أحضرت نور لوح سبورة كبير ومغناطيسات ملونه وأقلام للسبورة.

لا أعلم ما الذي تفكر به هذه الفتاة، لكنني ذهبت للمقهى الإنترنت لوقت أطول اليوم-ست ساعات- لأنني كنت أريد أن أنتهي وأعرف ما الذي بجعبة نور. وبالفعل ما إن انتهيت وأتيتها بدفتري حتى أخبرتني.

جاءت باللوح، ثم رسمت خطًا أفقيًا في الثلث الأعلى من اللوح وتركت مساحة في الطرف كهامش.

ثم وضعت نقطة في بداية الخط وكتبت (السنة الخامسة) وتحت الخط كتبت تاريخ يوم وتحته (قضية بيت التل-موت المحقق) ثم تركت مسافة على الخط ووضعت نقطة أخرى وكتبت (السنة السابعة) ثم من تحت الخط وضعت تاريخ يوم وكتبت تحته رؤوس أقلام (إيداع الأطفال الأربعة في دور إيواء مختلفة- وذكرت أسمائهم-) ثم بلون مغاير كتبت (نقلت ماريا الأطفال إلى دار واحدة).

فهمت، إنها ترسم خطًا زمنيًا بدايةً من سنة ميلادنا لنستطيع فهم وتحليل الأحداث.

قالت: الدور التي يفترض أن مختار وضعنا فيها تخرج الأطفال في يوم موحد في السنة، ومختار لا يعلم إننا نقلنا لدار أخرى.

مجد: والفاعل ماريا.

قال وجهها: (نعم).

نور: طلب من إداراتها ألا تسمح لأحد بالوصاية علينا.

مجد: هل الدار التي كنا فيها ضمن قائمة مختار؟

قال وجهها: لا.

مجد: قلتي سابقًا أننا ضمن خطته؟

نور: سيقتلنا في تاريخ خروجنا.

مجد: هل هذا يعني أننا الآن خارج خطته؟

نور: نعم، وفقًا لمعلوماتي.

مجد: من الشخص الذي كان معه؟

نور: سكرتيره وحارسه الشخصي، طلب منه جمعنا في يخت لإقامة حفلة.

مجد: دون أن يذكر له التفاصيل؟

قال وجهها: نعم.

مجد: هذا نصف الخطة، كيف عرفتي أنه يخطط لقتلنا؟

نور: أوكل هذا لسارا.

مجد: دون أن يعرف السكرتير؟

قال وجهها: نعم.

مجد: متى ذلك؟

نور: يونيو القادم!

مجد: يونيو القادم!

نور: عرفت هذا عندما بحثت في سياسة تلك الدور.

مجد: أليس مختار مغفل، ألا يمكنه الاطلاع على أوراق الدار ليتأكد؟

نور: على الورق نحن نعيش الآن في تلك الدور.

مجد: الآن أشعر بالريب تجاه ماريا، لدي الكثير من الأسئلة.

نور: لم أجدها.

مجد: بحثتِ عنها؟

نور: قبل خروجك.

مجد: أين اختفت؟ هل ماتت؟

نور: يفترض أنها في قريتها، لكني لم أعثر عليها.

حينها وضعت في مساحة الهامش عبارة وتحتها خطين (مكان ماريا).

نور: هل تذكر عندما اتصلت فيَّ سابقًا وكنت في المقهى؟

مجد: نعم، كانت جودة الاتصال سيئة جدًا.

نور: لأن هناك أجهزة تنصت.

مجد: سارا من وضعها؟

نور: على الأغلب.

مجد: بالمناسبة كيف استطعت جمع معلومات حساسة جدًا كهذه؟

نور: استخدمت سماعات لا سلكية صغيرة مربوطة بهاتفي، وضعتها سابقًا داخل المزهرية التي على طاولة مختار، ثم اتصلت بهاتف آخر من هاتفي.

مجد: رائع، السماعة ستعمل كلاقط للصوت وتسمعينه من الهاتف الآخر مباشرة، لكن لماذا كنت على السطح؟ يمكنك وضع الهاتف المربوط بسماعة في نقطة قريبه والتنصت من المنزل ثم استعادة الهاتف في اليوم التالي.

نور: هذا ما فعلته، كنت بحاجة لرؤية وجوههم.

مجد: ألن يكون خطيرًا إن اكتشف أحدهم وجود السماعة؟

نور: نسيها زبونٌ ما.

مجد: المهم هل حصلتي على تسجيل؟ سيكون دليلًا قويًا.

قال وجهها: بالطبع.

مجد: حان دوري الآن -أمسكت قلمًا واتجهت نحو اللوح- كتبت في الدفتر قائمة بأهم الموظفين والشركات التابعة له وشركاءه وعلاقته مع كثير من رجال الأعمال، الكثير من المعلومات ويمكن القول أنني ذكرة كل المعلومات التي تخص مختار على الشبكة، لكن هناك شيئين لم أجدهما، أولًا موضوع ارتياده للمقهى، ثانيًا عنوان منزله.

نور: يفترض أن قدومه للمقهى نوع من الترويج!

مجد: لا يوجد ضمن مجموعة أعماله أي جهة إعلامية، لكنه مشهور ووجهه معروف ويمكن لأي شخص ملاحظة حضوره المتكرر!

نور: هذا يعني...

مجد: يعني أن هناك متواطئون وهدف من إخفاء هذا الأمر، كتبت لك أسماء الجهات الإعلامية والصحفيين والمذيعين الذين عملوا معه.

أكملت حديثي: الآن سأدون هنا أهم الأحداث، أولًا عندما كنا في الخامسة ونحن نعلم ما حدث، لكن الغريب أن وسائل الإعلام لم تذكر شيئًا الأطفال الذين مات آباؤهم سوى تحت عناوين الشفقة، دون ادراج صور أو أسماء، بالإضافة إلى موت المحقق الذي استلم القضية. أكثر ما يريب هو إغلاق قضية المحقق وبيت التل على أنها حادث فور موت المحقق!

تاليًا في السنة السابعة مات رجل أعمال وعائلته في حادث غرق سيارتهم التي كانوا فيها، الجدير بالذكر أن هذا الشخص كان شريكًا لمختار في بعض الأعمال وتلقائيًا بوفاته انتقلت الأموال إلى مختار وشركاء آخرين.

بعدها أنشئ مختار مؤسسة أمنية، وهي تخوله لاستعمال الأسلحة وشراءها.

أيضًا هناك قضية موت 40 شخص إثر تناول دواء معين، وعندما بحثت أكثر في القضية وجدت أن 65% من الأرباح تصب في جيب مختار، علمًا أن الدواء كان يصنع قبل تلك الحادثة وهناك الكثير ممن استخدمه وتماثل للشفاء واستمر تصنيعه بعد أن تم الحكم على أحد العمال الذين شاركوا في تصنيعه بتهمة العبث بالتركيبة عن قصد لغرض الإفساد وحسب، ومن وجهة نظري أجد هذه القضية مريبة نوعًا ما، وأظن أن الموظف كان كبش فداء.

نور: هل له أهل؟

مجد: كان يعيش مع أمه التي ماتت بعد إعدامه بشهر.

أيضًا شكل مختار 3% من اقتصاد البلد وهذه النسبة زادت، وهي تعتبر نسبة كبيرة جدًا مقارنةً ببقية رجال الأعمال الذين يشكلون معًا 2.5%.

أخيرًا لفتت نظري هذه القضية وهي موت عائلة من ست أفراد (أم وأب وأطفال)، وبعد البحث وجدت أن الأب موظف في احدى مجموعة أعمال لمختار، أعتقد بأنه عثر على ما يدين مختار بسبب منصبه الذي يخوله قراءة كل المعلومات المالية.

نور: كيف قتلوا؟

مجد: حادث سيارة على سفح الجبل، الجدير بالذكر أن الطريق الذي وقع به الحادث لا توجد به آلات مراقبه، وهناك علامات في الهيكل تشير إلى أن سيارة اصطدمت بهم، وبعد تحليل الضربة توصلوا إلى لون ونوع السيارة، وبعد يومين وجدوا أنها غريقة في النهر، ولم يعثروا على السائق لأن السيارة سرقت وكالة لتأجير السيارة، وجميع الموظفين لديهم حجة غياب في وقت الحادث. الجدير بالذكر أن هذا ما حدث أيضًا مع عائلة رجل الأعمال الذين ماتوا غرقًا.

نور: هل تلك الوكالة ضمن مجموعة مختار؟

مجد: لا. على كلٍ هذا كل ما جمعته، ألا أستحق بعض الثناء؟

نور: أحسنت.

لا أصدق مكعب الثلج تلك، لقد قمت بعمل جبار ثم تقول: "أحسنت"، لقد فحصت كل القضايا بدقه، قضايا الاختفاء والاختطاف والنصب والأزمات و... إلخ، وأغلبها لم يذكر فيها اسم مختار صريحًا.

أشعر بالإحباط.

نور: ربما نحتاج للتحقيق في أمر العائلات التي أبيدت أكثر.

مجد: رشوة أو أي دليل كرسائل تهديد من مختار أو حتى معلومات تدينه في أي شيء ستكون دافعًا قويًا للتحقيق في حجة غياب مختار وأعوانه واستئناف التحقيق، هل تفكرين في العثور على الدليل؟

نور: لن يقتلهم قبل التخلص من الدليل.

مجد: كيف تعرفين؟

نور: لم تقتل زوجة الشرطي المحقق -الذي مات في العام الخامس- لأنها تمتلك دليلًا.

مجد: إذن نحن أيضًا نعتبر دليل، لكني لا أفهم لما أجَّل قتلنا؟

نور: نقطة ضعفه هي سمعته التي يؤثر عليها الرأي العام.

مجد: إن قتلنا فسيثير موتنا بلبلة قد تضغط على السلطات لإعادة فتح القضية.

قال وجهها: تمامًا.

في الصباح، توجهت للورشة، كنت أسير ونسيم الصباح يختلط بأنفاسي، تقول أمي إن النمش الذي على وجهي والذي ورثته منها أهدته الشمس لها لأنها كانت تبتسم كل صباح مهما كانت الظروف التي مرت بها!

لاحقًا في الورشة، وصلت شاحنة صغيرة يتسرب الهواء من أحد إطاراتها، طلب مني رامي أن أملئ إطارات تلك الشاحنة بالهواء، أخبرني أن أنتبه للنقش على الإطار لأن الهواء الذي في الورشة يملأ التي لا نقش لها!

توجهت نحو الشاحنة وإذا بي أرى نور هي التي تقودها، تعجبَت لرؤيتي لذا وعدتها بشرح لاحقًا.

تظاهرت بعدم معرفتي بها وقلت: يا آنســـة إطارات ســـيارتك لها نقش، والهواء الذي نوفره للسيارات التي بلا نقش. (قلت بصوت مسموع)

همست نور: مجد... كل السيارة لها نقش على إطاراتها.

مجد: ما قصدك؟

نور: من أخبرك بذلك؟

مجد: ذلك الرجل هناك "رامي".

نور: تثق به؟

مجد: لا، سأملئها لك وأتصرف معه لاحقًا.

نور: كن حذرًا.

مجد: لا تقلقي.

لم يكن رامي قريبًا مني ليرى أو يسمع.

فور أن ذهبت نور قال رامي لأبي يحيى: مجد لم يملأ إطار سيارة الزبونة بالهواء.

لذا أخبرت أبا يحيى بما قال رامي، راح يصرخ ويقول: السيارات التي لا نقش لها إما سيارة سباق لن تزورنا في ورشتنا، أو أنها عجلات انمحى نقشها من كثرة الاستخدام.

مجد: لكنني ملأتهم لها بالفعل.

فعلت هذا لأنني أردت أن أرى لأين يريد أن يصل رامي في مسرحيته.

رأيت في عينَيّ رامي الشرر يتقاذف وهو يكز أسنانه، ثم قال: ماذا لو كنت تكذب؟

لم أرد، الرد على السفيه مذلة! انتظرت أبا يحيى يحسم أمره وأشار بسبابته نحوي وهو يقول (لا تحسب أنني سأغض النظر عن كذاب).

ثم فتح التسجيل الذي صورته آلة المراقبة ورأى الحق.

ثم نهض من كرسيه وقال موجهًا كلامه لرامي: مجد لم يكذب.

ومشى بعدها بخطى ثقيلة واضعًا يديه خلف ظهره من خيبة أمله.

اقتربت من رامي وهمست في أذنه: المغفل من يستغفلني!

مع أن نور هي التي أنقذت موقفي ولكن هذا لا يعني أن أسمح له بالتمادي.

في المنزل رويت لنور ما حدث، ضـحكت من موقف رامي الذي نسـي أهم تفصـيل وهو آلة المراقبة.

نور: لمَاذا لمْ تخبرني بأمر عملك؟

مجد: اليوم الأول كان اختبارًا وكنت سـأطلعك على النتيجة أيًا كانت بعد أن يقرر أبو يحيى، اليوم الثاني وافق أبو يحيى، أردت إخبارك لكن كنا مشغولين ونسيت إخبارك، واكتشفت الأمر اليوم بنفسك، فكما تعلمين أنا "شاب" وفِّق في إيجاد عمل.

نور: هل كان ذلك قولي.

مجد: نعم، شعرت بالإهانة لذا قررت فعل شيء.

نور: كنت أقصد أن تغسل ملابسك.

مجد: ماذا؟

بالفعل ملابسي المتسخة مكومة ولم أغسلها ورائحتها تملأ غرفتي!

نور: لا داعي لعملك، أنا أجني ما يكفي.

مجد: أنت تجنين القليل، بالكاد يكفي كلانا، كما أنني أريد أن اكتسـب بعض الخبرة في الحياة، فكما تعلمين لن تنتهي حياتنا بعد القضاء على مختار، علينا أن نتعلم كيف نعيش!

نور: إن كنت مرتاحًا هناك فلا بأس.

مجد: نعم مرتاح وأجني أكثر مما تجنين أيضًا.

نور: كن حذرًا من رامي.

مجد: لا داعي للتوصية، تعلم درسه فعلًا.

ثم أشاحت بوجهها القائل: أتمنى ذلك فعلًا.

لم أخبرها بأمر الشجار حتى لا تقلق.

مرت أيامنا بين العمل والمنزل، أطهو أحيانًا وأشـاكس نور غالبًا، بالطبع صـرت أغسـل ملابسـي ولا أتركها تتراكم، استمر الحال هكذا حتى أسبوعين تقريبًا، لم يكن رامي يضـايقني لكنه أيضًا لم يرحب بي بعد.

عادت نور مرةً ومعها منشـــور لشـــركة أمنية تفتح أبوابها للمتدربين الجدد، وعندما ســـألتها أشارت إلى اسم الشركة.

مجد: أليست هذه تابعة لمجموعة مختار؟

نور: بلى.

مجد: ما بال هذا المنشور؟

نور: أريدك أن تتسلل لهناك، تقدم للامتحان وكن أحد المتدربين.

مجد: قد يكشف أمري فور وصول اسمي إلى مختار؟

نور: لا تقلق، اسمك مجد ابن مازن مَأنَس.

مجد: مَأنَس؟

نور: المعلمة مَي غيرت ألقابنا إلى مَأنَس.

مجد: هل رأته اسمًا يجمع أول حرف من اسم كل واحد منا.

نور: أتوقع ذلك.

مجد: إذا ماهي شروط القبول؟

قال وجهها: انظر للمنشور.

أمسكته وبدأت أقرأ، علي اجتياز الفحص البدني والعقلي، بالإضافة لمقابلة قصيرة.

بدايةً أجريت الفحص البدني والعقلي، لم أعاني أي أمراض مزمنة أو ندوب أو ضعف بصر، وصحتي العقلية جيدة، وبهذا أكون اجتزت الفحوصات.

أما بالنسبة للياقة البدنية فكنت أعتمد على نور في تدريبي، كانت تطلب من الركض لمسافات طويلة ثم تقول: قلبك ينبض بسرعة! أو تسكب فوقي دلو ماء وتضعني أمام المروحة بملابسي المبللة حتى تجف وتكرر الأمر. في البداية أصـــبت بالزكام وارتفعت حرارتي، لكن لا حقًا صرت أركض لمسافات طويله دون أن أتعب أو يتسارع نبض قلبي، كما أنني لم أعد أمرض من الجلوس أمام المروحة وأنا مبلل، كانت تطلب مني القفز وفي كل مرة تطلب ارتفاعًا أعلى، تجعلني أرفع الأوزان وفي كل مرة تطلب أوزانًا أثقل، وبالطبع كانت تصـــب تركيزها في تدريبي على الفنون القتالية لأنها تعلمني كيف أحافظ على توازني، لم تتقن نور كل تلك الأشياء، لكنها علمتني إياها، وقد ساعدني ذلك كثيرًا في اجتياز اختبار اللياقة البدنية الذي كان

قبل نهاية شهر أبريل، طلب مني فيه أن أجري بأوزان مربوطة في ساقي لمسافة طويلة، ثم أعبر بركة ماء -والأوزان في قدمي- سيرًا حيث أن الماء كان يغمر ركبتي، وبفضل الله نجحت!

سيكون التدريب لمدة ستة أشهر في معسكر في منطقة بعيدة نوعًا ما عن المدينة، سنكون معزولين عن العالم تمامًا، وستصادر الهواتف إلى حين خروجنا، يمكننا إرسال رسالة ورقيه واحدة كل أسبوع أو استلامها فقط!

ودعت رامي وأبا يحيى، كانا مصدومين!

أبو يحيى: (ستتركنا بهذه السرعة بعد أن أكثرت الإلحاح علي؟) قال جملته ثم دعا لي بالتوفيق، حتى رامي تمنى لي التوفيق، (لقد كنت لئيمًا معك، لكنك كنت رجلًا يا صديقي، بالتوفيق) شكرته على قوله بعد أن شعرت بصدقه، أخبراني أنهم سيرحبون بي متى عدت إليهم!

في المنزل -قبل شروق الشمس- ناديت على نور: نور... لقد وصلت الحافلة سأذهب.

نور: انتبه...

مجد: حفظتهم، انتبه لنفسك ولا تتورط في المشاكل، لا تخبر أحدًا بهويتك وهدفك، لا تثق بأحد، اعتني بنفسك. لقد حفظتهم! لا تقلقي سأكون بخير، لا ترهقي نفسك، تناولي طعامك ونامي جيدًا لا تنسي ذلك، لا أريد أن أراك عجوزًا عندما أعود، سأرسل لك الرسائل، لا تنسي الرد عليها.

كنت أتكلم وأنا أربط حذائي لذا لم أنتبه لوجهها، كانت تحمل بين يديها حقيبة صغيرة فيها بعض المال والأدوية وأشياء تظن أنني قد أحتاجها، أما وجهها فكان يقول (أنا جادة، كن حذرًا) لكن لسانها قال: أنت أهل لهذا!

إنه التناقض الذي يميز نور، قلقه لكنها واثقة!

ركبت الحافلة وهي تراقبني من الشرفة، أخرجت رأسي من النافذة، تأكدت أنها تراني فسارعت وسحبت عيني ومددت لساني بوجهٍ ساخر فابتسمت، ربما تقول الآن في نفسها (يا لك من سخيف!).

لم نلبث أن التقينا حتى افترقنا، برأيي هذا هو السخف بعينه!

في المعسكر البعيد استقبلنا المدربون، المكان أشبه بقاعدة عسكرية، كان الجميع ذوي بنية جسدية ضخمة، وعيون حاذقة!

ابتلعت ريقي عندما اقترب أحدهم ليصافحني، لست قصيرًا، لكنهم عمالقة!

جعلونا نشكل صفًا -أنا والمتدربين الجدد أمثالي- وضعنا أيدينا خلف ظهرنا مع رؤوس مرفوعة بوضعية تسمى "استرح" وعلى الجنبين بوضعية تسمى "استعد"، ثم بدأوا سرد القوانين.

كان المدرب المشرف على مجموعتي يتمشى أمام صفنا وهو يمسك عصًا بطول نصف متر تقريبًا، ثم قال: (هي أنت تقدم خطوة، وأنت أيَضًا ياذا النمش، تقدم خطوة للأمام).

ذا النمش! أعطوني رقمًا ولي اسم يعرفونه حق المعرفة، كيف انتهى المطاف بـ(ذا النمش).

امتثلنا لأمره، اقترب مني فجأة وضربني بالعصا على بطني بقوة، وكذلك فعل مع الآخر.

لم تأثر بي ضربته لكنها فعلت مع الآخر الذي انكمش من ألمه وعاد للخلف.

حينها قال المدرب أبقوا أنفسكم متأهبين، حتى في وضعية استرح، شدو عضلاتكم مثل ذي النمش الهزيل هنا، إن أرخيتم دفاعكم فسيؤول بكم الحال كالمنكمش المتألم الضخم هنا!

لماذا عاد إلى ذي النمش مرة أخرى، لكنه أضاف هذه المرة كلمة الهزيل، هناك عبرة من اختيارنا، إنه حاذق!

لا أنكر أن تدريب نور نفعني، فقد كانت تباغتني بلكمة مفاجأة في أي وقت، وتطلب مني التصدي لها، علمتني أيضًا كيف أتلقى الضرب بأقل أضرار ممكنه، ربما يجب علي شكرها لاحقًا!

كان استقبلًا فريدًا من نوعه، زحفنا في الطين وجرينا تحت الشمس لوقت طويل، قفزنا سبحنا وتحولنا لأهداف كرة قدم نتلقى ضرباتها دون أن نتألم أو نتزحزح، ومن يفشل يعاقب بتمارين تحمل مكثفة!

كان معسكر تعذيب وليس تدريب! وعندما حان وقت الطعام أخيرًا كان الطعام عبارة صحن صغير به خليط من خضار وأرز ولحم، له منظر يسد الشهية، لكن المدرب صرخ (أنهوا طعامكم خلال دقيقة واحدة)، تناولته بسرعة لدرجة أنني لا أعرف كيف يبدوا مذاقه!

أما وقت النوم فكان في أكياس نوم على أرض رملية تحت سقف السماء وسط حشرات طائرة وزاحفة!

حلت الرحمة علينا صباح اليوم التالي، قال المدرب أن يومنا الأول كان اختبارًا ليتعرف علينا ويرى قوتنا وقدرتنا على التحمل، وقد رأى ضعف الكثيرين، منهم من انسحب ومنهم من أخذت العزيمة فيهم مأخذها وسيستمرون في التدريب معنا، قال إنه فخور بنا وشجعنا، والأهم أن هناك غرفًا لنا مجهزة بأسرة ومكيفات، بالمقابل صودرت حقائبنا بما فيها، كما وزعوا لنا زيًا موحدًا.

كان يشبه الزي العسكري لحد كبير، بدا رائعًا، أتمنى لو بإمكان نور والبقية رؤيته.

مر الأسبوع بسرعة والكثير من التدريبات، لم أحتك بأحدٍ صراحةً، لكني أردت اختبار قانون نور الأول (لا تثق بأحد)، لذا في إحدى المرات اقتربت من أحد المتدربين وقد كان متعجرفًا مغرورًا، وبصراحة أردت تحطيم غروره.

مجد: أريد سؤالك عن شيء إن لم تمانع (قلت له ذلك بهمس)

نظر لي باستصغار وقال: ماذا؟

مجد: ما هي أفضل طريقة لإخفاء ندب؟

قال متعجبًا: ندب؟ -علمًا ان من يمتلك ندبًا لا يتم قبوله في المعسكر-

مجد: نعم ندب كبير.

قال: لا أعلم صراحة.

مجد: هل تنفع أدوات التجميل؟ (قلت ذلك وأنا أتحسس كتفي الأيسر)

قال: تلك التي تخص الفتيات؟ أعتقد أنها تنفع.

مجد: لكنني أخشى أن تزول بالماء.

قال: هناك أنواع تقاوم الماء.

ثم نظر لي وقال: هل سبق وأن تعرضت لحادث أو خضت شجارًا؟

مجد: لا لا، ما الذي جعلك تفكر هكذا؟

(يبدوا أنه أكل الطعم)

قال: اسمع سأحفظ سر -قالها وهو ينظر لكتفي- لكن ذلك مقابل القليل من المال فقط.

أجبته ببلاهة: عن أي سر تتحدث؟ كان مجرد سؤال.

قال بخبث: كما تشاء، عرضت عليك خدمةً لكنك رفضت.

ثم انصرف.

كنت أعلم أنني سأدفع ثمن فعلتي تلك، لكنني لم أقدر الأمر تقديرًا صحيحًا.

في اليوم التالي قال المدرب أننا سنواجه تدريب تحمل، صرخ باسمي فتقدمت خطوةً عن الصف، ثم طلب مني أن أخلع قميصي، استنكرت الأمر لكني لم أقل شيئًا، وعندها جحظني بعينيه فامتثلت لأمره. بعدها التف حولي وهو يتفحص جسدي بنظراته، ثم قال: (انزل في الماء) ففعلت، حينها وقعت عيني على وجه ذلك المتعجرف، وكان بالكاد يكتم ضحكته الساخرة، عرفة حينها أنه وشى بي.

قلت في نفسي: تريد أن تحرجني إذًا؟ لك ذلك!

المدرب: استرح تحت الماء لعشرين ثانية.

بركة السباحة هذه بعمق ثلاث أمتار، لذا سيكون على حبس نَفَسِي لعشرين ثانية وتحمل متر من الماء فوق رأسي، لكني -والحمد لله- فعلتها.

وعندما خرجت التف المدرب حولي كالسابق، لكنه لم يعثر على شيء، ثم طلب مني تجفيف نفسي ورمى لي منشفه، وعاود النظر، لكنه لم يجد شيئًا. الآن أنا متأكد من أن ذلك الوغد وشى بي، وبعد أن انتهى طلب مني أخيرًا ارتداء قميصي والعودة للصف.

كنت أنظر لذلك المتعجرف وقد علت وجهه علامات تعجب كثيرة.

في وقت لاحق تم تفتيش الأمتعة التي سبق أن فتشوها وصادروها ولم يبقوا منها شيئًا، كما فتشو الغرف وصبوا تركيزهم على أمتعتي وكل شيء يخصني.

لكنهم بالطبع لم يعثروا على شيء، وذلك الواشي ذي الوجه المحتقن كان يصر على المدربين بإعادة التفتيش مؤكدًا أنهم سيجدون أدوات تجميل.

وكآخر إجراء فحصني طبيب المعسكر ولم يجد شيئًا، لأنه لا يوجد شيء!

لاحقًا عندما ذهبنا لغرفنا مررت به وهمست له: إذًا ما رأيك أن نخبر الجميع أنك واشٍ كذاب، هذه خدمة مني، وهي مجانية تمامًا!

لكني لم أفعل لأن الجميع عرف بالأمر فعلًا، وأنا لست نذلًا.

المهم أنه تعلم درسه.

بعد فتره من إقامتي في هذا المعسكر وصلتني رسالة من نور، فتحت الظرف فإذا به صورة لها عند الشرفة.

ولكن لم هم حولها؟

خلف الأضواء:

جفَّفت ورد جوري أحمر، ثم أخرجت لب السيقان وإعادة حشوها بهدية ملفوفة بعناية، وزنتها بالجرام وبدقة.

وضعتهم في مزهرية في صندوق مغلف، لتتموضع هذه المزهرية فيما بعد فوق طاولة في يخت تأرجحه الأمواج.

أسفل الزهرية نَقَشَت رسالة لطيفة ظنها الراعي رقم طراز الزهرية:

27 10 27 8 - 24 5 20 20 26 - 22 5 4 4 - 24 6 25 16 26.

ولحسن حظها لم يدرك المسكين فحوى رسالتها اللطيفة!

أدرجة في هديتها بطاقة رماها الراعي المسكين بإهمال، مع أنها كانت تحوي هوية المرسل.

كتبت فيها: 25 وتعني (ن)!

سعد

"إن لم تعثر على دليل، اصنع واحدًا"

10/يونيو

كان يومًا صحوًا.

كنت قد جمعتُ ملابسي من فوق حبل الغسيل، ثم طويتها ورتبتها في خزانتي.

عند المقارنة بيني وبين مجد فأنا شديد الترتيب على عكسه، فقد كان فوضويًا جدًا.

وعند سؤاله عن فوضويته كان يجيب: (لماذا قد أرتبهم، إن كنت سأستخدمهم مرة أخرى!)

على الرغم من فوضـــويته، فهو يحب ترتيب هندامه كثيرا، ولم يكن يهمل ملابســـه، فلم يكن يلبس شيئا مجعدًا.

لديه شـخصـية قوية، وكان ذو شـعبية بين الإخوة هنا في دار الإيواء. على عكسـي، فقد كنت انطوائيا وبشخصية ضعيفة مُقَارَنَةً به.

أسمع كثيرا جملة (لم تأخذ من اسمك إلا حروفه)، ربما لأني أكره الخلطة بباقي الإخوة، وأكره أن يحشر أحدهم أنفه في شؤوني، فلا أعطي وجهي أحدًا.

حسنا، هذا من الماضي على أي حال.

أتساءل كيف هو حالة خارج دار الإيواء إلى، لم نسمع عنه شيئا بعد خروجه، لا هو ولا نور.

لقد اشتقت إليهم حقا!

سأتخرج أنا وسعاد من هنا قريبا، لكن أمل ستكون قبلنا.

أشعر بالضيق الشديد عندما أفكر بالمستقبل المجهول، لدرجة أنني أقوم أحيانًا بضرب رأسي بقبضةِ يدي.[1]

ستتخرج أمل في أكتوبر، ثم أنا وسعاد في نوفمبر، هذه الفكرة تسبب لي القلق دائمًا!

وأحيانا كانت تلحظ هذا أمل وسـعاد بعض الكدمات على جبهتي، وتبدآن بالسـؤال عن السـبب، حينها أغير الموضوع، وأتهرب من الإجابة.

1-الميول لتدمير الذات: هي سلوكيات يقوم بها الشخص لإيذاء نفسه جسدياً أو نفسياً، غالباً ما تكون هذه السلوكيات متكررة، وتهدف إلى التعبير عن شعور قوي مثل الألم أو الغضب أو الحزن.

قد يكون أحد أعراض كثير من الاضـــطرابات النفســـية، مثل: الاكتئاب، اضـــطراب القلق، وغيرها من الأمراض.

بعد الغداء طلبتني المعلمة مي لمكتبها، وأخبرتني أن هناك من يرغب أن يكون وصـــيًا علي. قابلةُ الفكرة بالرفض فورًا. ربما في الماضـــي كان حلمنا أنا وإخوتي أن نعيش في بيت واحد مع من يرعانا، لكن الآن حتى لو كان ذلك الشـخص يريد أن يكون وصـيًا عليَّ وعلى سـعاد وأمل، فإن نور ومجد قد تخرجا، ولا نعلم شيئا عنهم.

قالت المعلمة مَي بحزم: (لست هنا لآخذ رأيك).

واتبعت جملتها بـ (انصرف الآن)

-ولكن يا آنسة مَي...

-انصرف.

قالتها بصرامة.

نهضت من مكاني وغادرت بغضب. استلقيت على سريري، وانكمشت على نفسي واضعًا رأسي بين ذراعي. شعرت أن هناك قيود حولي، قيودٌ تقيدني بإحكام شديد يستحيل فكها!

عندما اجتمعت بسعاد وأمل قررت أن ألتزم الصمت، وكنت عازم على تخليص نفسي من هذه الوصـاية. لكن سـعاد بدأت بالبكاء فجأة، فتبادر إلى ذهني أنها عرفت بشـأن طلب الوصـاية. لكنها صـرخت فجأة (أحدهم قدم طلبًا ليكون الوصـي عليَّ وعلى أمل أيضـا، وسـيأتي غدا لأخذنا). نظرت إلى أمل مستفسراً، فأومأت برأسها مُؤَكِّدَةً قول سعاد.

سعد: أخبرتني المعلمة مَي أن هناك من قدم طلبًا ليكون الوصي عليَّ أيضا وسيأتي غدًا.

رفعتا ناظرهما نحوي، فأكدتُ كلامي.

بدأنا نتسـاءل عن هوية ذلك الشـخص، فأخبرتني أمل أنها سـألت المعلمة مَي عن هوية ذلك الشـخص، لكنها أبت إخبارها، حتى بعد الإلحاح. بالإضـافة إلى أننا لا نعلم إن كانت المعلمة مَي تتحدث عن شخص واحد يريد الوصاية علينا، أم أنهم أكثر من ذلك.

انقضت ساعات ذلك اليوم بثقل، لكن سريعًا!

توصلت إلى حل واحد، وهو أن نسئ الأدب مع الوصي فيعدل عن هذه الفكرة.

وبالفعل أخبرت أمل وســـعاد بهذه الخطة ســـرًا عن علم المعلمة مَي، ووافقتا على التنفيذ، لذا أفسدت هندامي تمامًا؛ حتى أنني وسخت نفسي بطين الحديقة، وبعثرت شعري أيضا، وعزمت على إساءة التصرف، وكان حال أمل وسعاد يشابه حالي.

استدعتنا المعلمة مَي عن طريق مكبرات الصوت. وقفنا خارج باب مكتب المعلمة مَي ننتظر أن تنادينا للداخل. وعندما ســـمعنا نداءها فتحنا الباب بقوة، وكأننا نقتحم المكان، وما إن رأتنا المعلمة مَي حتى شهقت من الصدمة.

معها حق.. فقد كانت أشكلنا مثير للاشمئزاز نوعًا ما!

كانت تجلس المعلمة مَي خلف المكتب المواجه للباب، ومقابلها كانت هناك ســـيدة تجلس بفخر على الكرسي، وحين استدارت بكرسيها لتنظر نحونا انفجرت من الضحك. ذهلتُ!

(نور) قالت سعاد.

نور: ما بالكم يا رفاق، تبدون مثيرين للشفقة!

نظرت إلى وجهها، إنها نور حقًا.

اندفعت كلٌ من أمل وسعاد تعانقانها، لكنها دفعتهما عنها قائلة: انتظرا قليلًا، ملابسكما متسخة جدًا، لكنهما لم تأبها لقولها.

نظرت إليَّ المعلمة مَي، وقالت: ألا تشتاق لنور؟ لما لا تنضم لهن؟

أشحت بوجهي عنها ووجهت سؤالي لنور...

-لماذا أنتِ هنا؟

نور: أنهيت أوراق طلب الوصاية عليكم، لذا ستذهبون معي للمنزل، أليس هذا رائعًا؟

سعد: تقولين إنَّك من قدم طلب الوصاية علينا.

نور: نعم.

سعد: كيف ذلك؟

نور: قانونيًا أستطيع.

قالتها بتمهل وثقة

سعد: كيف؟

نور: أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، بينما أنتم سبعة عشر.1

سعد: هل تدركين ما تقولين؟

صرختُ بها

كنت مذهولا بما يحدث، كانت نور من قدم طلب الوصاية.

نور: لنذهب، سأشرح لكم كل شيء بالمنزل.

سعاد: انتظري، لقد غادر مجد منذ مدة، ولا نعلم أين هو.

ابتسمت نور بحنان، وقالت: إنه في المنزل.

شعرت وكأن ضبابًا كثيفًا حول رأسي قد انقشع.

لا أفهم لماذا نور هنا؟ ولماذا تقدمت للحصــول على طلب للوصــاية؟ ولماذا لم يحضــر مجد معها؟

كنت سعيدا للقائها، ولمعرفة أن مجد بخير.

على الرغم من كل الغموض الذي يحيط بنور!

كانت عينيها تحمل همًا.

همًا ثقيلا!

ودعنا المعلمة مَي، وغادرنا مع نور بالسيارة.

-سيارة جميلة.

(قالت سعاد بعد رؤية السيارة)

1-في بعض الدول يمكن لشخص يبلغ من العمر18عاما أن يقوم بتبني شخص عمره 17عامًا.

بالتأكيد إذا كان الوضع يستدعي هذا الإجراء فقط، بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار سلوك الطرف ذي 18 عامًا وقدرته على تحمل مسؤولية الطرف الثاني ذي 17 عامًا.

-شكرًا.

(ردت نور)

سعد: جيد أنك اشتريتها!

نور: هذا ما ظنه مجد أيضًا.

أمل: لم أفهم!

نور: لقد استأجرتها كي أصحبكم إلى المنزل.

أمل: هل صحبت مجد أيضًا؟

سعاد: هل تملكين الوصاية على مجد أيضًا؟

نور: كلا، صحبته فقط.

- بعيدًا عن السيارة، لقد اشتقت للمنزل.

(قلت بتنهد)

أمل: كم نحتاج كي نصل؟

نور: ثلاث ساعات تقريبا.

سعاد: لم كل هذا الوقت؟

(تساءلت عن ذلك أيضًا)

نور: سنذهب للمقاطعة الرابعة.

سعاد: لكن أليس منزلنا في المقاطعة الأولى؟

أمل: حسبت هذا أيضا!

نور: انتقلنا أنا ومجد إلى المقاطعة الرابعة لبعض الأسباب.

سعد: ما هي؟

نور: عندما كنا في دار الإيواء تمت سرق وغد المنزل والأموال والممتلكات كلها!

كانت تلك المرة الأولى التي تنعت بها نور أحدًا بالوغد! أدركنا أن الأمر جاد، لذا ســـكتنا عن السؤال. أغلب الظن أنها ستعاود إخبارنا بالأمر.

سعد: سوف آخذ غفوة، أيقظوني عندما نصل.

أمل: عن أي غفوة تتكلم، إنها المرة الأولى لنا خارج دار الإيواء.

سعاد: أتفق معك، أفضل أن أرى العالم على أخذ غفوة.

على الطريق استمرت سعاد في سؤال نور عن كل شيء تراه، ومن ثم تبدي إعجابها، وهي تقول (واو، رائع، مذهل ... الخ). وإذا كان هناك ما يثير فضولها، وكان خلفه قصة ما؛ تقول بعد أن تشرح لها نور: (هكذا إذا، لهذا هو هكذا).

دخلنا المنطقة السكنية، وبعدها دخلنا لحي رث نوعًا ما.

وإذا نور تركن السيارة أمام منزلٍ متهالك تقريبًا.

- وصلنا، أهلا بكم في المنزل.

(هذا ما قالته نور)

أمل: هل هذا منزلنا.

نور: بلى، إنه منزلنا.

كنا في حالة ذهول جماعية، يبدو أن هذا منزلنا!

صعدنا الدرج، وصلنا للشقة، أدخلت نور المفتاح في القفل، وأدارتهُ، ثم دفعة الباب مُشِيرَتًا لنا بيديها للدخول.

حينها بدأ الباب يصدر صريرا مزعجًا، هذا الباب يمكن أن يفيدنا كنظام أمني، ما إن يدخل أحد حتى يعطينا تنبيهًا!

لم نجد مجد، وعندما سألنا نور قالت: لقد التحق بمعسكر لتدريب الحرَّاس الشخصيين.

سعد: لماذا يريد أن يكون حراسًا شخصيًا؟

(قلت متسائلًا).

نور: لينتقم من الذي سرق المنزل.

(هكذا كان جواب نور).

ثم أكملت حديثها: خذوا جولة في المنزل ريثما أعد الطعام.

أمل: هل غرفتنا ذات الثلاث أسرة؟ (سألتها أمل فأجابت نور بالإثبات)

سعد: غرفتي أنا ومجد ذات السريرين، أليس كذلك؟ (سألتها)

نور: بلى.

سعاد: شرفة جميلة.

أمسكت السور ومالت بجسدها قليلًا خارجه، ثم أخذت نفسًا عميقًا، وهي تغلق عينيها.

بدت راضية عن الهواء وعن الإطلالة.

سعد: إطلالة مميزة. (بادرتها القول)

سعاد: بالفعل، أيضًا هذه الشجرة كبيرة جدًا!

سعد: يبدو أنها أطول من المبنى.

نور: إنها أفضل ما في هذه الشقة.

سعاد: لنلتقط صورة معها.

أخرجت سعاد الكاميرا، ثم ثبتتها على بعد مترين من مكان جلوسنا في الشرفة، وقالت: سنلتقط صورة نرسلها لمجد.

نور: فكرة جيدة.

ثم أخبرتنا أن مجد سيحصل على إجازة قريبًا، وأن التدريب في الأصل يستغرق ست أشهر!

سعاد: لا بد أنه متحمس للقائنا.

بدا لي أنها تفتقده جدًا.

نور: لم أخبره بعد أنني استطعت إحضاركم، سيفاجئ بالتأكيد.

تجمعنا لالتقاط الصورة، نور وأمل جلستا على الكراسي، وسعاد على الطاولة.

ضـــبط الكاميرا على العد التنازلي، ورجعت أقف خلف الطاولة. ابتســـمنا، عددنا لثلاثة، ثم التُقطت الصورة.

بدت الصورة جميلة، النجوم من فوقنا، وخلفنا الشجرة، ونحن مجتمعون!

طَبعةُ الصورة ووضعتها في مغلف، ثم كتبنا رسالة لمجد ووضعناها مع الصورة كي نرسلهم له غدًا بالبريد.

سألتُ نور: لماذا لا يمكننا التواصل هاتفيا مع مجد، أليس أفضل من إرسال رسالة بالبريد؟

نور: نظامهم صـــارم جدًا، مبني على عزل المتدربين عن العالم الخارجي كي يركزوا في التدريب، وبذلك يحققون نتائج أسرع.

أمل: لا أفهم، أليس من المفترض أن تنفعهم أجهزتهم الذكية سواء في الاتصال وغيره؟ أليست التقنية ووسـائل التواصـل الاجتماعي جزء لا يتجزأ من حياة الفرد؟ أليسـت تخدم جميع فئات المجتمع بما فيهم الأفراد والجماعات، ألم يخبرونا بهذا في الدار؟

نور: بلى، مع ذلك إنها أدوات اسـتهداف وتشـتيت من الدرجة الأولى، هذا بالنسـبة لوسـائل التواصل الاجتماعي، للعولمة[1] فوائد وأضرار على حد سواء.

سعاد: كيف ذلك؟

نور: لنقل إنها سلاح ذو حدين.

أمل: لطاما أثار الحاسـب الذي في دار الإيواء فضـولي، أتمنى لو أنني أعرف كل شـيء عن عالم الحواسيب، لكن الحاسب الذي في دار الإيواء محدود القدرة والوصول جدًا، لذا معرفتي سطحية للغاية.

نور: لك ذلك، لكن للتذكير فقط، الشبكة والحاسب سلاح ذو حدين.

ثم تابعت قولها: (تعلمي كيف تستخدمينه لصالحك).

أمل: تعنين أنه يمكننا الحصول على واحد؟

قالتها بعينين حالمتين، وهي تنتظر منها ما تريد سماعه بشدة.

نور: بالتأكيد، لنذهب غدًا لنشتري واحدًا.

صرخت أمل وهي تقفز بسعادة (رائع، حلمي سيتحقق أخيرًا).

نور: سعد وسعاد لمَ لا تشاركون أمل، من الجيد أن تتعلما الحاسب.

سعد: انسي الأمر، صندوق البراغي ذاك لا يثير اهتمامي.

1- العولمة: عملية عالمية فيها تنتقل البضائع، الأموال، السكان، المعلومات والأفكار، بسرعة من دولة الى دولة، تتلاشى فيه تأثير المسافات، الحدود الجغرافية والسياسية.

نور: ما الذي يثير اهتمامك إذًا؟

سعد: لا فكرة لدي الآن. (قلتها بضجر)

نور: ماذا عنك؟ (وجهت سؤالها لسعاد)

ســـعاد: لا أعلم، كل ما أفكر به الآن أنني جائعة. (قالتها بدلال ممســـكةً ذراع نور التي تقلب الطعام)

ابتسمت نور وقالت: لقد جهز الطعام تقريبًا، جهزي الطاولة.

سعاد: أتذوق قليلا؟

نور: قولي آه.

سعاد: آه (فتحت فمها تتذوق اللقمة التي تطعمها إياها نور)

سعد: يا إلهي، عقل هذه الطفلة لن يكبر أبدًا.

سعاد: ما الذي يزعجك أنت، ثم إن لدي إخوة رائعين يعتنون بي، لست بحاجة لعقلٍ كبير.

ثم نظرت لنور وتابعت قولها: أليس كذلك يا نور؟

حينها قالت نور بسخرية: بالفعل، لماذا أنت منزعج!

سعد: هكذا إذن، هيا ساعديني في ترتيب الطاولة إذًا.

ثم قلت بصوت هامس (أيتها المدللة)

لكنها صرخت (نور إنه ينعتني بالمدللة!)

نور: ما المشكلة؟ إن كنتي مدللة سأكون أنا من يدللك إذًا.

ثم نظرتا بوجه ساخر وكأنهما انتصرتا.

أمل: لم نتناول طعامك منذ وقت طويل. قالتها وهي تستنشق رائحة الطعام من القدر.

سعد: بالفعل لقد اشتقت لطهوك.

نور: أوه حقا.

أمل: هيَّا الطعام جاهز.

سعاد: يا سلام!

لم ألبث وقتًا حتى رأيت قطع البصــل تتراكم في وعائي قادمة من وعاء ســعاد، وقطع الدجاج تطير من حسائي إلى حساء سعاد.

سعد: ألن تغيري هذه العادة؟

سعاد: كل البصل، إنه مفيد جدًا للمناعة.

ثم أشارت إليَّ تأمرني بإكمال طعامي، وتقول: إنه لذيذ جدًا.

سعد: أنتِ! توقفي عن انتقاء الطعام! (قلت صارخًا)

أمل: وطعامي أيضًا، لقد صار مليئًا بالبصل!

نور: لا بأس هناك ما يكفي للجميع.

ثم نهضت وأحضرت القدر ووضعته أمامنا.

بعد الأكل تشاركنا التنظيف.

ثم أخذت حمامًا منعشًا، ريثما تنهي أخواتي ترتيب الحقائب.

ثم قرأنا الرسائل التي أرسلها مجد على مدار الأسابيع الماضية، كان غالبًا ما يشكو من قسوة المدربين وكثرة التدريب، بالإضافة إلى المتدربين الذين لا يُطاقون!

في إحدى الرســائل كتب أنه أراد أن يختبر إلى أي مدى يمكنه الوثوق بالناس، فقرر إيهام أحد المتدربين (وقد كان متعجرفًا لا يُطاق) أنه يمتلك ندبًا في ظهره من جهة الكتف، وذلك عن طريق تحســســـه لكتفه خلال حديثه مع ذلك المتعجرف، الذي شــك بدوره أن مجد يســتخدم مستحضرات تجميل لتغطية ندبه!

أذاع ذلك المتعجرف الخبر بين المتدربين والمدربين سرًا عن مجد.

قال مجد إن من شروط القبول بالمعسكر أن يكون المتقدم خاليًا من الإصابات والندوب.

بسبب وشاية ذلك المغرور تعرض مجد لكثير من التفتيش والاستجواب، لكن في نهاية المطاف لَقن ذلك المغرور درسًا عندما تبين له أنه افترا على مجد، وذاعت سمعته بين البقية بأنه واشي كذاب!

حينها اكتسب مجد شعبية بين المتدربين، بينما اضطر ذلك المتعجرف آسفًا أن يترك المعسكر مما رآه من استصغار في أعين البقية، سواء متدربين أو مدربين.

أكد في النهاية أنه لم يكذب على ذلك المتعجرف، كل ما فعله هو أنه ســـأل ذلك المتعجرف: (كيف يمكن إخفاء ندب؟) وهو يتحسس كتفه.

لو كذب لن يكتسب شعبية، وسيكون كاذباً فعَّالًا للمشكلات.

أعجب أمل وسعاد ما قرآه، وكأنهما تستمعان لقصة ما.

أتساءل كيف حاله مع كل هذا التدريب!

في صـــباح اليوم التالي ذهبنا إلى ســـوق الأجهزة المســـتعملة، كانت أمل تقفز بين الأجهزة بحماس، تسأل عن ذاك وذاك، ولما هذا أفضل من هذا؟

أعجبتها فكرة الحاســوب المحمول، إنه أصـــغر وأخف من المكتبي، ولا يحتاج إلى الكثير من القطع. لكنها رأت أن الأجهزة المكتبية أعلى قدرة من المحمولة.

كانت متحمسة جدًا. كان ذلك واضحًا.

خصوصًا أنها عندما يسألها البائع: في ماذا تحتاجين إليه؟

كانت تجيب: في كل شيء.

ثم يعاود سؤاله: للعب أم الدراسة أم العمل.

فتجيب بحماس مرة أخرى: في كل شيء.

وعندما سألته إن كان باستطاعتها الحصول على حاسب محمول بقوة واحدٍ مكتبي تعجب قليلًا، لكنه أعطها أقوى حاسب محمول على حد قوله.

-لقد اســتخدمه أحد المخترقين، اســتطاع اختراق كل الأجهزة تقريبًا من هذا الجهاز، وقد رماه هذا في السجن. (هكذا كان يقنعها)

لكن نور قاطعته بتوجس: أعطني واحدًا من نفس النوع لكن غير هذا.

حينها قال البائع: حسنًا لكما ذلك.

حملته أمل بين ذراعيها بفرح شديد، وهي تعد ما ستفعله على هذا الحاسب.

في الطريق مررنا بمكتب البريد وأرسـنا رسـالة مجد بالفاكس لأنه أسـرع. كنا نريد أن تصـله الرسالة قبل الإجازة.

عدنا قبيل العصـر، أمضـينا نهارًا بطوله في سـوق الأجهزة المسـتعملة. اسـترحنا قليلًا، كنت أشعر بالعطش والجوع. ذهبت إلى غرفتي كي أستريح، شغلت مروحة السقف، لذا أصبح الجو مقبولا بعض الشيء.

نظرت إلى المروحة وإذا بها تدور، وتتأرجح وكأنها ستقع.

لذا أطفأتها وهرعت كي أخبر نور، لكنها ببساطة قالت إن هذا طبيعي.

عدت لغرفتي وشغلت المروحة مرة أخرى، لكن الجو لم يتحسن كثيرًا.

لذا ذهبت إلى خزانتي، وأخذت قميصًـا قطنيًا قديمًا عندي، ثم بللته بالماء البارد، وعصـرته، وألبسته لأحد أجنحة المروحة، ثم أعدت تشغيلها.

حينها تحسن الجو قليلًا.

جاءت نور فيما بعد لتسـألني ماذا أريد أن أتناول اليوم؟ لكنها شـعرت بجو الغرفة، وقد أعجبها لذا نادت أمل وسعاد، وجلسنا نناقش ماذا سنأكل اليوم تحت المروحة.

أمل: أود تناول البيتزا، كان هناك مطعم بيتزا عندما عدنا بالحافلة.

سعاد: أنا أيضًا أريد البيتزا.

نور: حسم الأمر سنأكل البيتزا في المطعم اليوم.

ما إن قالتها حتى تعالت صرخات انتصارنا، وقد كنت متحمسًا جدًا.

نور: لم يبقَ الكثير من الوقت، لنذهب.

وصـلنا المطعم وبدأت نور تلقي علينا التعليمات أو آداب الأماكن العامة (لا تفعلوا هذا، افعلوا هذا، لا تأكلوا هكذا... إلخ)

لكننا اسـتمتعنا في نهاية الأمر، كانت الشـوارع مزدحمة للغاية، وكان على نور الوصـول إلى المقهى في أسرع وقت لأن مناوبتها ستبدأ.

ركبنا الحافلة، وفوقي كان يوجد فتحة صـغيرة يخرج منها هواء بارد، تمنيت لو أمتلك مثله في المنزل.

على ذكر الأمر، فقد كان الجو في المطعم باردًا مع أن المكان مكتظ.

أعتقد أنهم يمتلكون مثل هذه الفتحات هنا لكن أكبر.

مرت الحافلة أمام المحطة قرب مقهى نور أولًا.

أخبرتنا أن نتصـل بها إذا احتجنا شـيئًا، وحذرتنا من الخروج من المنزل ثم نزلت من الحافلة، وتابعنا نحن طريقنا للمنزل.

لمحة حينها وجهًا مألوفًا، إنه مختار صــديق أبي إذا لم أكن مخطئًا. بدا ثريًا جدًا! له خال كبيرٌ قرب عينه، لا بدَّ، وأنه هو.

سألت نور عندما عادت للمنزل عنه.

أكدت لي أنه هو لكنها قالت (إنه الوغد الذي دمر حياتنا)

وقالت إنه لا يجوز أن يعلم من نحن، ولا كيف خرجنا من دار الإيواء.

سعاد: ألا يعلم من أنت؟

نور: لا.

بعدها بدأت نور تروي لنا ما حدث.

استطعت تلخيص الأمر في عقلي إلى عدة نقاط:

1) الحادث الذي زهقت فيه أرواح أهلنا كان مدبرًا، ويشتبه أن مختار من دبر هذه الحادثة.

2) كثير من الناس الذين وقفوا في وجه مختار لقو حتفهم.

3) أموال أهلنا تم الاستيلاء عليها من قبل مختار، ومن ضمنها بيت التل.

4) مجد الذي لم نعثر عليه في المنزل هو الآن في معسكر شركة أمنية تابع لمختار.

5) استطاعت نور الوصول إلى عائلات بعض ضحايا مختار.

6) حلل كل من نور ومجد القضايا التي كان مختار طرفاً رئيسي فيها.

7) تعمل نور في مقهى يرتاده مختار كثيرًا.

8) هناك رابط بين مختار والمعلمة مَي، ونور تشك أنهم ليسوا على نفس الجانب.

9) لا يمتلك مختار عائلة، ولهذا يصعب تهديده أو زعزعته.

10) يقوم مختار برشوة السياسيين ورجال الأعمال أو تهديدهم بهدف جعلهم في صفة.

11) غيرت المعلمة مَي ألقابنا، وجمعتنا في ميتم واحد محبطةً بذلك خطط مختار.

12) كانت ماريا هي من أخبرت نور عن الحادثة عبر رسالة تركتها لها مع المعلمة مَي.

13) مختار وضـع خطةً تجعلنا نتخرج من مياتم عديدة جميعها تخرج الطلاب في شـهر يوليو ليقوم بعد ذلك بقتلنا.

14) لم يرســل مختار أحدًا ليكون وصــيًا علينا ثم يقتلنا أو يقتلنا فورًا مع أهلنا كي لا يُحدِثَ ضجة إعلامية، بهذا لن تثبت تهمة قتل آبائنا عليه.

15) وحَّدت المعلمة مي ألقابنا تحت لقب جديد كي تحمينا.

16) اضـطرت نور أن تمتلك الوصـاية علينا كي تسـتطيع إخراجنا قبل الوقت الذي سـينفذ به مختار خطته.

انهارت كل من أمل وســعاد، فتك بي خبر أن أهلنا قتلوا، ولم يكن حادثًا! أكدت نور أنها هي ومجد عازمين على الانتقام منه. أطلعتنا أيضًا على أهم القضايا والتي كان لها ضحايا.

-ذلك الوحش، الموت قليلٌ في حقه. (هذا ما قالته أمل فوافقنا جميعًا)

نور: انتقامنا لن يكون سهلًا، يجب أن نكون أقوى منه.

سعد: أريد أن أجعله يتمنى الموت ولا يجده.

أمل: أريد أن يتألم نفس الألم الذي تألمنا.

سعاد: سأجعله يشرب من نفس الكأس الذي سقانا منه.

في اليوم التالي اسـتيقظت مبكرًا، وبدأت أقرأ كل القضـايا التي حللها كلٌ من مجد ونور، وأقرأ تحليلهما.

لكني كنت بحاجة لمرجع موثوق في القانون، كانت أمل تســاعدني بالبحث في المواقع عن بعض القوانين.

وبينما كنا نبحث سألَت سعاد إن كان باستطاعة أحدٍ معرفة هويتنا عن طريق اختراق الحاسوب والتجسس.

لا بدَّ وأنها قرأت ذلك في كتاب ما!

أكدت لها أمل أنه يمكن حدوث ذلك فعلًا، لكنها قامت بتثبيت نظام أمني يصَـــعِّب اختراق هذا الحاسوب، مع أنه لا يزال تحت التطوير لكنه مفيد بعض الشيء.

هذه الفتاة (أمل) لديها عزم قوي، لن تترك الأمر حتى تنجزه.

سعد: أحتاج الذهاب إلى المكتبة، أريد شراء بعض المراجع القانونية الموثوقة.

سعاد: سأذهب معك.

أمل: تريدين شراء بعض الروايات أليس كذلك؟

سعاد: ليس أي روايات، إنما روايات الرعب والقتال، سأتعلم كيف أمزق ذلك الوغد.

كانت تتحدث وهي تلكم وتركل في الهواء.

عندما ذهبنا كانت سعاد مذهولة من كمية الكتب.

الرفوف بحجم مبنى من ثلاثة طوابق، وتمتد بمساحة نصف ملعب كرة قدم تقريبًا!

اشـــتريت مرجعين للقوانين، بينما اشـــترت أمل كتابًا في علم الاجتماع، قائلةً إننا كنا معزولين عن العالم، وتنقصنا الكثير من المعرفة عنه.

ردت عليها سعاد: الروايات تساعدك على فهم المجتمع والعالم كله أيضًا.

سعد: وتضيع الوقت أيضا.

سعاد: أصمت، إنها تساعدني على الإبداع.

سعد: في ماذا تحتاجين الإبداع؟ ها؟

سعاد: أصمت، أنت تثير غضبي.

حينها وجدنا أنفسنا نجر خارج المكتبة من قبل رجال الأمن، بسبب ارتفاع أصواتنا.

لحسن الحظ كانت نور بعيدة عنا لذا لم يطردوها، واستطاعت شراء كتب ثلاثتنا.

-في المرة المقبل ستكونون ضمن القائمة السوداء للمكتبة. (قالت نور وهي تسلمنا الكتب)

مرت الأيام وجاءت الإجازة، يفترض أن يصــل مجد قبل الفجر؛ لذا ذهبنا لاســتقبال مجد من محطة الحافلات.

نزل من الحافلة كثيرٌ من الرجال المخيفين. كنا نمعن النظر بحثًا عن مجد.

فجأة صرخت سعاد (مجد)!

ثم قالت لنا وهي تشير بيدها (رأيته إنه هناك).

لوحنا له وصرخنا باسمه.

نزل من الحافلة بتباهٍ، وهو يضع النظارات الشمسية، يمشي بتكلف، ويمهد شعره.

(كيف حالكم يا رفاق) صرخ فينا من بعيد.

كان هناك شيء يقفز داخلي بحماس. كنا نقفز ونلوح له بحرارة.

ما إن وصل إلينا حتى قالت نور بكل برود: لماذا تضع النظارات الشمسية، الشمس لم تشرق بعد؟

سعاد: ما باللهِ، دعها يا مجد إنها تبدو جميلة عليك.

مجد: نعم، من المهم أن أظهر وسيمًا، أليس كذلك؟

نور: وسيم وليس مبتذلًا.

مجد: دعوكم من مكعب الثلج هذه.

ثم صرخ: سعد كيف حالك؟ ماذا؟ هل ازداد طولك يا رجل!

قال بسخرية على الرغم من اني افوقه طولا!

ثم ضربني على كتفي حتى كدت أطير من قوة ضربته.

مجد: آسف، اعتدت فعل ذلك مع زملائي.

سعد: كيف يمكنك ضربهم هكذا؟

مجد: نحيي بعضنا بهذه الطريقة.

نظرت لأمل حينها فوجدتها تبكي.

هذا رد فعلٍ غير متوقع منها!

شــعر مجد ببعض الارتباك فقال: لماذا أنت متأثرة جدًا، لا تقولي إنك اشــتقت إليَّ! إهدائي، ما بالك!

(شرير) قالت أمل، وهي تضرب مجد، وكررت (شرير، شرير).

سعد: ما هذه الشتيمة إنها طفولية جدًا.

أمل: أصمت أنت.

في المنزل أخذ يروي لنا مجد قصـــص التدريب، وفي كل مرة يذكر تدريب جديدًا تقول أمل وسعاد: هذا ظلم، إنهم يعذبونكم.

سعد: لكنهم يعلمونكم كيف تستخدمون أجسادكم فقط، لا أرى أنك تعلم كيف تستخدم عقلك.

مجد: أفضل منك يا دودة الدراسة، على الأقل لن أتعب من حمل جالون الماء للطابق الأول.

سعد: من قال إنني أتعب.

مجد: لم أقل إنه أنت، ولكن بالتفكير في الأمر أعتقد أنك كذلك.

ثم وقف أمامي يستعرض عضلاته، أنظر، أنظر، أترى؟ يمكنني حمل أربعة جوالين من الماء.

سعد: لا يمكنك.

مجد: تريد التحدي؟

سعد: فليكن.

ذهبنا للمطبخ ووضعت أربعة جوالين من الماء أمامه، وقلت له: احملها هيا.

رفع جالونين فوق ذراعيه، وقال: أترى؟

سعد: أرى اثنين فقط

مجد: كيف سأحمل أربعًا؟ لا أمتلك سوى يدين؟

سعد: تتحداني أن أفعل؟

مجد: مستحيل.

استعرت الشريط الذي كانت أمل تضعه على رأسها وللفته حول عنق الجوالين الأربع، بحيث يتشكل تقاطع بين كل جالونين.

كررت الأمر، ثم أمسكت بالشريط الذي يتقاطع وسط الجوالين الأربع، ورفعتهم بإصبعين.

ثم قلت له: أترى؟ أربعة جوالين بإصبعين.

مجد: لكنك استخدمت الشريط، أيضا لا يمكنك حمله على الدرج بهذه الطريقة.

سـعد كان التحدي حمل أربعة جوالين، لم تذكر المدة أو المسـافة، أكرر تعلم كيف تسـتخدم عقلك.

ثم توجهت أخرج من المطبخ، لكن قدمي انزلقت ببقعة ماء على الأرض فسقطت على رأسي.

حينها قال مجد ساخرًا: أن تتعلم كيف تستخدم جسدك يعني أن تتعلم كيف تتوازن كي لا تقع، وإن حدث ووقعت تتعلم أن تقع بحيث لا تؤذي نفسك، أو رأسك الذي استخدمته للتو في حمل أربعة جوالين!

سعد: ألا يمكنك استخدام أخلاقك لمساعدتي.

مجد: آسف أخبرني أحدهم أنني لا أجيد استخدام عقلي.

نور: أنتما الاثنان كفى عن ذلك حالًا.

حينها فقط مد يده ليساعدني، وسألني إن كنت بخير.

سعاد: أريد الخروج للتمشي قليلًا.

مجد: لنخرج إذا، سأكون مرشدكم.

سعاد: هيا.

صرخَت بقوة، لا أعلم لماذا تستمر في الصراخ، لكنها سعيدة!

سعد: إلى أين ستأخذنا؟

مجد: للتجوال.

سعد: أنت لا تعلم أين ستأخذنا صحيح؟

مجد: ما رأيكم بالحديقة المركزية؟

سعاد: هيا.

صرخت مرة أخرى.

ذهبنا بالحافلة، وصلنا، تمشينا، أكلنا الحلوى، شاهدنا عروض بعض الفرق الجوالة، التقطنا الصور، تسابقنا، ضحكنا، تجولنا، ثم انتصفت الشمس السماء فعدنا أدراجنا.

هذا موجز ما فعلناه.

مضت الأيام.

كنا نقضيها بين مشاكسة بعضنا، الشجار، الأكل، التنزه... إلخ.

إلى أن غادرنا مجد.

مجد: ما بالكم؟ ليس وكأنني لن أعود أبدًا.

نور: ألا تتمنون له التوفيق؟

سعاد: لم نلبث أن التقينا حتى غادرتنا.

أمل: هذا ليس عدلًا.

مجد: من أين تحضـرون هذه الجمل، أغادركم لإني أريد أن أصـبح أفضـل وأقوى، هذا عادل جدًا.

تعالت أصوات البكاء في المكان.

سعد: فقط لا تنسى أن تستخدم عقلك. (قلت ذلك لأكسر الجو الباكي الذي صنعتاه أمل وسعاد).

مجد: فقط اصمت أنت.

كان ذلك قبيل حضور الحافلة بقليل.

ركب الحافلة، لوح لنا ولوحنا له، بهذا يكون قد غادر مجد.

لسبب ما أثَّر فيّ قوله، يريد أن يصبح أقوى، إذا كنا سنثأر علينا أن نكون أقوى!

لكن نحن مجرد حفنة من الشباب معدومي القوة.

إذا فكرت بالأمر على محمل الجد فإن كل ما اســتطعت فعله هو العثور على بعض الثغرات القانونية التي من خلالها استطاع مختار الهروب من جرائمه.

ودائمًا تكون هناك حجة حاضرة في كل القضايا بالإضافة لغيرها طبعًا (نقصان الأدلة).

أتعجب من قدرة مختار على تدمير الأدلة دائمًا!

لو أن هناك دليل لم يســتطع تدميره ســيكون دليلًا على تدميره بقية الأدلة. أخبرت نور بهذا لاحقًا فقالت إنَّ هناك بالفعل أدلة لم يستطع مختار تدميرها.

سعد: لماذا لم يُقَاضَ بها إذًا؟

نور: رشى القاضي، أي دليل يصل للقاضي سيدمر.

سعد: لذا من الحكمة الإبقاء على الأدلة حتى الوقت المناسب.

نور: أنت تفهم اللعبة الآن.

سعد: أين هي تلك الأدلة.

نور: في أمان.

سعد: أريد أن أعرف ما هيتها.

نور: ستعرف في الوقت المناسب.

سعد: يستفزني عبث مختار على الرغم من صرامة كل تلك القوانين.

نور: إذا كن أنت من يوقف هذا العبث.

سعد: أنا؟

نور: نثق بك.

قالتها وهي تربت على كتفي، ثم انصرفت.

إنها تعني ذلك حقًا!

نور تختصر الحديث، إذا أطالت بكلامها ستقول: أنا أثق بأنك تستطيع ذلك، ونحن جميعا نعتمد عليك، أرى فيك الرجل الذي سيوقف عبث ذلك الوغد!

(أكرهك أيها الوغد، أعدك أنني سأصب جل كرهي عليك. سيأتي ذلك اليوم قريبًا، هاهاها)

كانت سعاد من قال ذلك، وأتبعته بضحكه شريرة، يبدو أنها سمعت حديثنا وأخذت تسخر مني.

سعد: اغربي عن وجهي.

يا إلهي، قَطَعت سلسلة أفكاري تمامًا.

أمل: مهلًا لحظة، قرأت ذلك قبل قليل.

سعد: ما الذي قرأته؟

أمل: أهمية تحويل المرء مشـــاعره لقوة، مثلًا: إذا كنت تحب فعل شـــيء معين ســـتعمل على إنجازه بكل ما أوتيت من قوة وقد تنســـى راحتك حتى، مشـــاعر الكره التي نكنها لمختار -على سبيل المثال- ستجعلنا نرى كل أخطاءه، وعندما نثأر منه سنختار أبشع وأكثر الطرق إيلامًا. إذا صِـــغتَ الموضـــوع من وجهة نظري فنحن عبارة عن محول، مثلما يتم تحويل الطاقة الحركية مثلًا إلى كهرباء، نحن نحول مشاعرنا إلى طاقة وقوة! وعلى النقيض فقد تكون سببًا في إضعافنا وتثبيط همتنا؛ لذا من الضروري مراقبة مشاعرنا واستغلالها جيدًا.

سعد: هذا منطقي، نوعًا ما!

في 7/يوليو

الساعة 11:00 صباحًا تقريبًا.

عدت للمنزل بعد أن كنت في الدكان أشتري بعض الوجبات الخفيفة.

نور في العمل، وأمل في غرفتها، وسعاد خرجت منذ الصباح لتمشي.

وبينما أنا أستغرب عدم عودتها سمعت صوت المفتاح، دخلت سعاد وقد كانت تتنفس بقوة، ووجهها شاحب جدًا!

دخلت بسرعة وأقفلت الباب وراءها، ثم دفعت الكرسي خلف الباب.

جلست على الأريكة شاردة الذهن، تشد قبضتها، كانت تمسك بالأريكة وجسدها يرجف قليلًا، وتنظر حولها بتوجس.

ناديت عليها -أكثر من مرة- لكنها لم تجب.

لوَّحت أمام وجهها (ما خطبك؟) لكنها ظلت شاردة الذهن.

فجأة بدأ أحدهم يضرب الباب بقوة ويقول (نحن الشرطة، افتحي الباب).

نظرتُ نحو الباب بدهشة، أمسكت سعاد بملابسي توسلت ألا أفتح الباب.

سألتها: ما الخطب؟

قالت: (قتلت أحدهم)

ارتعش جسدي، من رأسي حتى أخمص قدمي، وتصلبت مكاني.

كادت الشرطة تكسر الباب من قوة الضرب.

أخذنا سعاد إلى الغرفة وأقفلنا الباب عليها.

كسرت الشرطة الباب ودخلت.

أبرز الشرطي بطاقته لأمل وقال: دَخَلَتْ إلى هنا قاتله، سلموها بهدوء.

أمل: لم يدخل أحد.

الشرطي: سأقرر هذا بنفسي.

أدخل رجاله وفتشوا المكان.

أمرنا الشرطي أن نفتح الغرفة المقفلة؛ فرفضنا.

حاول إقناعنا وقال إن فتحنا الباب طوعًا لن يبلغ عن تسترنا عن مجرمة.

صرخت أمل في وجهه: يستحيل على سعاد أن تكون قاتلة.

حينها دخلت نور للمنزل وكانت متعجبة من عناصر الشرطة في كل مكان.

رفعت صوتها بثقة: ما الذي يحدث هنا.

الشرطي: من أنت؟

نور: هذا منزلي.

الشـــرطي: هناك قاتلة فرت إلى منزلك، وهاذان الاثنان هنا أقفلا الغرفة عليها، وهذا يعرقل عمل رجال الشرطة، هل تدركين ماذا يعني عرقلة عمل رجال الشرطة؟

أمل: يريدون أخذ سعاد.

نظرت لنا نور بتوجس.

بلعت ريقها ثم اسـتجمعت قواها وقالت للشـرطي: إذا كان الأمر كذلك فأحضـر مذكرة تفتيش أولًا.

ضحك الشرطي ساخرًا: أمتلك مذكرة اعتقال، تسمح لي باعتقال كل من يحاول حماية المجرم أيضًا!

نور: أين هي؟

رفعها الشرطي لها.

انخطف لون وجهها.

سارت نحوي تجر أقدامها جرًا.

سألتني: أين المفتاح؟

حينها أحكمت قبضتي عليه وأرجعت يدي خلف ظهري.

قالت بوهن: أعطني المفتاح.

رفضت.

ثم صرخت بقوة في وجهي: إن لم نسلمهم سعاد الآن سيلقى القبض علينا جميعًا.

لكني رفضت.

قالت ببطء كلمة كلمة، وهي تطرق على الطاولة قربها مع كل كلمة (إذا أمسكوا بنا لن نستطيع مساعدة سعاد).

حينها فقط سلمتُها المفتاح بتردد.

اقتربت نور من الباب لفتحه لكن المفتاح سقط من يدها من أثر الموقف.

أخذ الشرطي المفتاح وأخرج سعاد من الغرفة مكبلًا يديها.

وقال لنور: إن ما فعلته حكيم للغاية.

وعندما همت الشرطة بالخروج قالت نور إنها ستذهب معهم.

لكن الشرطي رفض.

حينها قالت: سأذهب بصفتي وليةُ أمرها.

تعجب الشرطي وطلب منها إثبات ذلك، فسارعت بإخراج ما يثبت ذلك من أوراق.

حينها فقط وافق الشرطي -على مضض-.

ذهبنا جميعًا معهم:

أخذوا سعاد لغرفة غير التي أخذونا لها.

أخبرنا الشرطي أن سعاد دفعت امرأة عجوز، فسقطت ميتة. وإلى أن يحدد الطبيب الشرعي سبب الوفاة ستبقى سعاد موقوفة.

في الغرفة المجاورة كنا نسمع صوت امرأةٍ تبكي وتتوعد بقتل سعاد لأن الضحية حماتها. طلبت نور من الشرطي أن تقابل سعاد. لكنه قال إنه من الأفضل انتظار تقرير الطبيب الشرعي.

بينما كانت أمل تبكي، استمرت نور في فرك أصابعها تارة، ومسح وجهها تارة أو وضع رأسها بين قبضتيها وهي تنظر إلى الفراغ.

شعرت بأنني عاجز تمامًا، كمجرم حكم عليه بالإعدام ظلمًا، يقف أمام المشنقة وينتظر تنفيذ الحكم!

مر الوقت ثقيلًا بطيئًا ونحن في غرفة الانتظار.

وأخيرًا جاء الضابط ومعه الخبر اليقين، أو بالأصح الخبر الذي شل أذهاننا. (سيدي، سبب الوفاة هو اصطدام رأس الضحية بزاوية الطاولة).

سألنا عن علاقتنا بسعاد (أخبرته نور أننا كنا في نفس دار الإيواء وعندما تخرجت نور من دار الإيواء قررت أن تكون الوصية علينا).

نظر الشرطي لنا بدونية، هامسًا بينه وبين نفسه: يا للاستهتار، مجرد حفنة من المراهقين.

تظهرنا بعدم السماع، ليس مهمًا أن يعرف، وليس هذا هو وقت قص القصص.

وعندما سأل الشرطيُّ نور عن سبب فعلها هذا، أجابته بأن هذا لن يفيد في التحقيق وطلبت منه التركيز في عمله.

أسكتته كما لو أنه ذبابة!

لملم الشرطي ماء وجهه وقال: إذًا لنروي لكم القصة، أو تريدون أن ترويها لكم سعاد.

نور بحزم: أنت ترويها.

ظننتها ستطلب رؤية سعاد أولًا!

الشرطي: حسنًا لك ذلك.

(في الساعة الثامنة والنصف صباحًا قابلة السيدة هيام الآنسة سعاد في الحديقة، بينما كانت الآنسة هيام تُمشي قطتها هربت منها وساعدتها الآنسة سعاد في إعادتها.

ولكي تشكر السيدة هيام الآنسة سعاد دعتها إلى شرب القهوة في أحد المقاهي حول الحديقة.

أثناء حديثهما أخبرت السيدة هيام الآنسة سعاد أنها من عائلة ثرية -نوعًا ما- وأنها كانت تبحث في الآونة الأخيرة عن شخص يساعدها في أعمال المنزل والعناية بطفلها -تحديدًا-.

لذا عرضت على الآنسة سعاد خدمتها ووافقت فسرَّ ذلك السيدة.

بعد ذلك ذهبتا معًا لمنزل السيدة هيام وهناك وبينما كانت الآنسة سعاد في ضيافتها دخلت والدة زوج السيدة هيام، السيدة مريم. كما وصلنا فإن السيدة مريم مصابة بالخرف، لذا دخلت الغرفة التي كانت تجلس فيها الآنسة سعاد وبدأت مهاجمتها ظنًا منها أنها لص أو ما شابه. دفعتها الآنسة سعاد دِفاعًا عن نفسها فاصطدم رأسها بالطاولة وماتت. وضعنا احتمال أن تكون ماتت بسبب مرض ما من الأمراض التي تصيب كبار السن، لكن نتيجة الطب الشرعي نفت ذلك).

عم الصمت لبعض الوقت.

سألتُ الشرطي عن عقوبة سعاد فأجاب: سيتم تحديدها من قبل القاضي.

سعد: ماذا تفترض؟

الشرطي: لستم في حالة تسمح لكم بسماع افتراضات، أنصحكم بتعيين محامٍ، هذا كل ما تستطيعون فعله.

نور: أريد رؤية سعاد.

الشرطي: تفضلي معي رجاءً.

سعد: نحن أيضًا قادمان.

الشرطي: بالتأكيد، تفضلا.

دخلنا عند سعاد وتركنا الشرطي وحدنا.

لكني متأكد أن هذه الغرفة مراقبة -خصوصًا- من ذلك الحائط الزجاجي.

هرعنا نحو سعاد نسألها عن الذي جرى معها.

كانت في حالة يرثى لها.

سألتها أمل باكية: هل أنت بخير؟

لكن سعاد طأطأت رأسها ولم تجب.

نور أيضًا لم ترفع عيناها أبدًا.

قلت لها: لقد كان قتلًا عن غير قصـد، ودفاعًا عن النفس أيضًـا، كما أنك تحت السـن القانوني ولن تتم مقاضاتك بقسوة بالغة.

حينها رفعت رأسها وهي تجبر نفسها على الابتسام، وقالت: آسفة سببت لكم المشاكل.

نور: ما هذا الهراء الذي تقولينه.

ثم دنت منها وأمسكت يدها وقالت: أعدك سنبذل جهدنا، ولن نسمح أن يصيبك مكروه.

سـعد: أجل، أعدك، فقط لا تسـتسـلمي، لا تحاولي تبرير موقفك للشـرطة وانتظري أوامر المحامي.

سعاد: لكني فعلت، كانوا متعاونين جدًا. أستحق عقوبتي، لقد قتلت شخصًا وحرمت عائلته منه.

سعد: اهدئي لا تفكري هكذا، كان دفاعًا عن النفس.

رفعت رأسـها وهي تحبس الدموع في عينيها، ثم ابتسـمت وقالت: لا تقلقوا علي، فقط اعتنوا بأنفسكم جيدًا وانسوا أمري.

حينها وقفت أمل وقالت على مضض: سنذهب إذًا.

أومأت سعاد رأسها وودعتنا.

ثم سمعتها تجهش بالبكاء فور خروجنا من الغرفة وإغلاق الباب.

هممت بالعودة لها لكن أمل أوقفتني وقالت: أتركها، كانت تكابر أمامنا.

وقبل خروجنا من المركز أوصـت نور الشـرطي بالاعتناء بسـعاد جيدًا وأعطته رقم هاتفها الخاص للاتصال بها في حال جد جديد.

تظاهر الشـرطي بتسـجيل رقم نور، وذلك لأننا عندما دخلنا مركز الشـرطة أعطيناهم كامل معلوماتنا وأرقامنا وعنوان المنزل أيضًـا! لكن يبدوا أن نور كانت قلقة جدًا ونسيت هذا، أدرك الشرطي الأمر؛ لذا لم يقل شيئًا.

أول ما فعلناه بعد خروجنا من مركز الشرطة هو أننا أوقفنا سيارة أجرة وسألنا السائق إن كان يعرف عنوان محام ممتاز. فأخذنا إلى أحدهم، بناءً على توصيته.

وصـلنا قبل أذان المغرب بقليل، لذا اعتذر عن مقابلتنا إلى الغد وأعطانا موعدًا في السـاعة الثامنة صباحًا قبل أن يعلم ما الذي جئنا به حتى.

عدنا للمنزل محملين بالهم والتعب.

لم يكلم أحدنا الآخر لساعات.

وبعد مدةٍ طويلة نهضت نور وصبت ثلاثة أكواب من الحليب وجاءت به إلينا.

ثم جلست وقالت: لن نخبر مجد بالأمر إلى أن نعرف مصير سعاد ونجد الحل.

أمل: لن يحكموا عليها بالإعدام أليس كذلك؟

سعد: على الأغلب لا.

ثم لم أستطع تمالك نفسي وصرخت (لكني لا أحتمل ترك سعاد تدخل السجن).

أمل: لا أعلم ما الذي دفعها للذهاب مع تلك السيدة، لم تقل يومًا أنها بحاجةً للمال أو أي شيء آخر.

نور: فكرت في ذلك أيضًا.

وقفت أهم بالذهاب لغرفتي، وقلت: سأذهب للبحث عن طريقة نخرجها بها من هذا المأزق.

لكن نور أوقفتني وطلبت مني شرب كوب الحليب.

سعد: لا شهية لدي.

أمل: قالت لك اشربه!

سعد: سعاد قد تدخل السجن، أنا قلق ولا رغبة لدي في الأكل أو الشرب.

أمل: وهل تظن أن شهيتنا مفتوحة، لكن إن لم نكن بكامل قوانا فلن نستطيع مساعدة سعاد قيد أنملة، أتفهم!

نور: اهدآ، خذ كوب الحليب لغرفتك واشربه متى شئت.

ففعلت ذلك على مضض.

أعلم أن نور قالت لي ذلك لأنها تعلم أنني لن أتراجع عن كلمتي أمامهن، حتى لو كانت غبية!

في الليل لم أستطع النوم وأنا أفكر، لذا خرجت من غرفتي. اقتربت من الصالة، وقبل أن أشعل الضوء لمحت ظل أحدٍ يصلي. (إنها نور، منذ أكثر من ساعة وهي تصلي وتدعي) هذا ما قالته أمل. لذا توضأت وذهبت أصلي في غرفتي أنا الآخر.

عندما أدعوا الله، أعلم أنه يســمعني ويســتجيب لدعائي. أعلم أيضًــا أنه خبأ لنا الخير في كل أمورنا حتى المصـــائب منها! ثقتي بالله تجعلني متأكدًا أنه ســيفرج همنا. أعلم أنه مهما فعلنا سننجح فقط بتوفيق من الله.

في الصباح ذهبنا لمكتب المحامي، وأخبرناه قصتنا.

وكما قلت سابقًا، سعاد لن يحكم عليها بالإعدام ولكن قد تسجن أو تدفع دية المرأة.

قال أيضــا إنه يحتاج لبعض المعلومات، مثل الحالة الصــحية للضــحية، ويحتاج إلى معرفة تفاصيل الحادثة بدقة وإن كان هناك شهود.

عمل المحامي معنا بتفانٍ، لكن ما صعب الأمر علينا هي رسومه المرتفعة.

زرنا سعاد في المركز كل يوم.

وبعد إحدى الزيارات، بعد حادثة سعاد بثلاثة أيام -تحديدًا- في 10/يوليو

كنا خارجين من المركز مثقلين بالهم، نطأطئ رؤوسنا ونسير نجرجر أقدامنا جرًا.

كانت محطة الحافلة تبعد ثلاث دقائق عن مركز التوقيف.

ثلاث دقائق كانت أكثر من كافية لتغير حياتنا!

كنت أسير ويبدوا أنني كنت في المقدمة وخلفي نور وبيننا متر ونصف تقريبًا، وهناك على بعد خمسة أمتار كانت أمل تمشي شاردة الذهن.

سـمعت صـوت بوق سـيارة يُضـرَب بشـده، وعندما التفت لأرى خلفي اصـطدمت السـيارة المسرعة بأمل التي كانت تقطع الشارع.

وخلال ثوان كان الطريق مصبوغًا باللون الأحمر تمامًا.

أمل تنتصف الطريق بلا حراك، والسيارة تدوس نصف جسدها السفليّ.

استغرق مني الأمر بعض الوقت كي أدرك الأمر.

كانت نور تصرخ وهي تمسك بأمل.

أظنها تقول (أطلب الإسعاف).

لماذا عساها تقول هذا؟

لم أدرك الامر إلا بعد مضي الوقت، حينها سقطت فاقدًا الوعي تاركًا العالم خلف سوادِ عيني.

ثم -رويدا رويدًا- بدأت أرى الأشياء حولي وأنا أفيق.

شعرت بشيء يخترق ساعدي.

إنها إبرة مغذٍ على ما يبدو.

أنا في المستشفى.

نور تجلس على الكرسي الذي قرب السرير، وتضم ركبتيها لرأسها.

تبدو نائمة.

لا أعلم لماذا أنا هنا؟

رأسي يؤلمني جدًا.

ناديت على نور -مرتين- بصوتي الضعيف.

(نور، نور).

حينها رفعت رأسها وقالت: أفقتَ أخيرًا!

سعد: لماذا أنا هنا؟

نور: فقدت وعيك بعد رؤية أمل.

قالت ذلك وهي تضغط زرًا قرب سريري لتطلب الطبيب.

سعد: ما بال أمل؟

نور: إنها في العمليات الآن.

سعد: ولماذا هي هناك؟ قلت بتعجب!

نور: ما بك؟ اصطدمت سيارةٌ بأمل. ألا تذكر؟

سعد: ما الذي تقولينه؟

نور: فقدت وعيك بعد رؤيتها.

ثم سألتني: أيعقل أنك فقدت ذاكرتك؟

سعد: لا أذكر شيئا مما تقولين.

كان وجه نور يقول (يا إلهي، لا يعقل ذلك)

ثم جاء الطبيب وأخبرته نور بسرعة أنني لا أذكر الحادث.

بدأ الطبيب يسألني إن كنت أذكر كيف فقدت وعيي، وما آخر شيء أذكره؟

قلت له: فقدت الوعي عندما خرجنا من مركز الشرطة.

تنهدت نور: جيد أنك تذكر ذلك.

سعد: لكن لماذا كنا هناك؟

قالت نور بدهشة: ذهبنا لزيارة سعاد!

سعد: لم هي هناك؟

حينها وقفت نور تنظر لي بذهن شارد وهي تمسك رأسها.

لا أفهم لماذا سعاد في مركز الشرطة؟ ولماذا أمل في غرفة العمليات؟ هل حقا اصطدمت بها سيارة؟

يا إلهي رأسي يؤلمني بشدة؟

حينها قال الطبيب لنور إن دماغي حذف الذكريات التي تزعجني بسبب صدمتي من الموقف[1].

وجهت نور لي سؤالها بحدة: أين والداك؟

أجبتها: قتلوا في حادث سير!

نور: أين؟

سعد: أسفل التل.

نور: من معهم؟

سعد: توقفي أذكر هذا تمامًا.

نور: أين مجد؟

أجبتها بتململ: في المعسكر.

نور: أين سعاد؟

1.الصدمات النفسية قد تؤدي إلى فقدان الذاكرة المرتبطة بالحدث المؤلم، بينما تبقى الذكريات الأخرى سليمة.

حينها بدا لي أنني أرى سعاد تصرخ وتقول (لا تفتح الباب).

لكن هذا مشوش للغاية، لماذا أذكر أنها تصرخ؟

أخبرت نور والطبيب بهذا.

قال الطبيب إن فقداني للذاكرة مؤقت وألا أقلق.

بعد خروج الطبيب قالت بلهفة وهي تحبس دمعتها: حمدًا لله أنكَ بخير.

ثم قالت: سأخرج لأطمئن على أمل.

وأغلقت الباب خلفها.

حاولت أن أتذكر لماذا كانت سعاد في مركز الشرطة؟ وأين هي الآن؟

كل ما أذكره هو صوتها وهي تصرخ (لا تفتح الباب).

لكن هناك مشاهد تروح وتأتي بشكل مشوش جدًا لدرجة أنني لا أتعرف على ما أشاهد.

دخلت نور...

سعد: ما الأخبار؟

نور: لا زالت في العمليات.

قالتها بتنهد.

في كينونتي دعوت الله أن تخرج أمل سالمة، وأن يشفيها. دعوته أيضا أن يرد ذاكرتي. لسبب ما لا أشـــعر أن إخوتي بخير. رجوت الله من كل قلبي أن ييســـر أمرنا ويوفقنا وفرج همنا وكربنا.

شعرت بالعجز لمدة لكني أعلم أن الله سيمدني بالقوة وأنه سيبسط الطريق أمامي ويُعينني على عبوره.

سألتُ نور: لماذا كنا في مركز الشرطة؟ وأين سعاد الآن؟

نور: لا أريد إخبارك، إن تذكرت كان بها، وإن لم تفعل فلن أخبرك.

سعد: لكن...

(قاطعتني ورفعت صوتها قليلًا)

نور: كلمة أخرى سأتركك هنا لوحدك وأخرج.

سعد: كلام يثير الاستياء.

تجاهلتني.

مضى الوقت، حاولت التذكر لكن بلا فائدة، ونور ترفض إخباري.

بعدها رن هاتف نور.

بدا لي أنها تتحدث مع الممرضة.

ثم قالت: أمل خرجت من العملية.

سعد: حقًا!

نور: سأذهب لتفقدها.

سعد: خذيني معك.

نور: لاحقًا.

قالتها وهي تخرج من الغرفة مسرعة.

بعد عدة دقائق جاءت نور ومعها الممرضات يجرُّون سرير أمل وهي فاقدة للوعي. شكرتهم نور وأخبروها أن الطبيب سيأتي بعد قليل ليشرح لنا حالة أمل.

سعد: حمدًا لله أنها بخير.

نور: نعم، حمدًا لله.

ثم سجدة سجود شكرًا لله.

الحمد والفضل لك يا رب.

سألت نور بعدها: هل أخبرك الطبيب بشيء؟

نور: لا، خرج دون أن يقول كلمة؛ أخبرتني الممرضة أنه سيأتي إلينا لاحقًا.

تحدثت وهي ترتب سرير أمل مبتسمة.

نور: أشعر أنني أمتلك الكون، حمدًا لله أنكم بخير.

ثم قالت: أقنعت الممرضات بالقوة.

سعد: بماذا؟

نور: بجعلكم في غرفة واحدة.

بعدها جاء الطبيب، أو بالأصح جاء الأطباء.

وقفوا جميعهم وكانوا ما يقاربون سـبعة أو ثمانية أطباء؛ وقفوا مطأطئ رؤوسـهم، وكل واحد منهم جمع قبضتيه أمامه، وكأنهم يقومون بعزاءنا.

خفت، وخافت نور.

ثم قال أحدهم، حاولنا قدر المستطاع لكن هذا هو قدرها.

قالت نور بتوجس: لم أفهم.

الطبيب: أصيبت المريضة في النصف السفلي من جسدها إصابة بالغة.

أشارت له نور بإكمال الحديث.

الطبيب: لن تستطيع المشي مرة أخرى، إنه شلل في القدمين.

انهارت نور، هوت على الأرض بعد أن كانت واقفة.

سارعت الممرضات بحملها إلى الكرسي.

لحسن الحظ لم تفقد الوعي.

نظرت نور للطبيب تتوسل إليه: ألا يوجد حل؟ ربما عملية ما أو شيء من هذا القبيل!

قال الطبيب: حاولنا وناقشنا الأمر، لكن لا أمل إلا إن أراد الله أمرًا.

رددت نور وهي تنظر لأمل بحسرة وعجز: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت المرة الأولى التي تبكي فيها نور. كانت تحبس دموعها أحينًا لكنها لا تبكي! عندما رأيتها بهذه الحالة شـعرت أن عامودنا الفقري قد انهار. نظرت لأمل، فوجدت دمعتها تتسـلل على خدها وهي تتظاهر أنها لا تزال فاقدة للوعي.

سعد: أمل استيقظت.

حينها أجهشت أمل هي الأخرى بالبكاء.

بقينا في المستشفى برفقة أمل لأسبوع.

على الرغم من أن الطبيب سـمح لي بالخروج؛ لكني لم أسـتعد ذاكرتي حتى الآن، ولكن سأستعيدها قريبًا بإذن الله.

لم نرسل رسالة لمجد هذا الأسبوع. لكنه فعل، أرسل رسالة يطمئننا على نفسه ويعاتبنا لعدم إرسالنا رسالة له.

اشــترينا كرســيًا متحركًا لأمل. عندما جلســت عليه أول مرة كانت عينا نور حزنيه، لكن أمل نظرت لها وقالت: اسمي أمل لذا هناك أمل بإذن الله.

وابتسمت نور بعد قولها ذاك.

حينها جاءتني ذكرى ســعاد في مركز التوقيف وهي تقول إنها بخير وتبتســم وعندما خرجنا أجهشت البكاء.

لا أعلم لما كلهن يفعلن ذلك. يخفين ألمهن رغم شدته!

لحظة واحدة، أنا أتذكر!

حينها نظرت لهن وصحت فيه بسعادة.

(أنا أذكر، لقد عادت ذاكرتي).

كانت سعادتنا لا توصف حينها.

أمل: هل أخبرتم سعاد ومجد؟

نور: سعاد فقط، أما مجد فليس بعد.

سعد: لقد عانيت قليلًا وأنا أتظاهر بالتذكر أمام سعاد.

أمل: لا تخفوا الأمر عن مجد، سيغضب كثيرا.

ثم تابعت قولها: بالمناسبة أين وصل المحامي في قضيت سعاد؟

سعد: ستتم محاكمتها بعد عدت أيام، قد يستطيع تخفيف العقوبة إلى سنتين فقط حسب قوله.

أمل: الحمد لله على كل حال.

فيما بعد أخبرنا مجد بالأمر في رسالة، أخبرناه بكل شيء.

ذاكرتي، أمل، سعاد...

أخبرناه بموعد محاكمة ســعاد وتطورات القضــية. رســالتنا كانت قاســية عليه، لكنه جاء في موعد المحاكمة. هو الآخر كان منهارًا.

(يحكم عليها بالسجن لمدة سنتين)

أصدر القاضي قراره.

صرخت سعاد بقهر... أخذوها... لم نستطع فعل شيء، شعرنا بالعجز. كانت أسوأ أيام حياتنا.

في المنزل جلسنا نحن الأربعة بعد محاكمة سعاد.

ثم صرخ مجد في وجهي: ألم تستطع الاعتناء بهن قليلًا؟

سعد: وما عساي أفعل؟

نور: شجاركم لن يفيد.

مجد: سعاد دخلت السجن ولم تستطع حتى معرفة السبب الذي دفعها للذاهب مع تلك السيدة. أمل أصـــيبت بالحادث ومع ذلك لم تنقذها بل فقدت وعيك. هل تعلم أنك لو لم تفعل لربما وصلت أمل إلى المشفى في وقت أبكر، لربما استطاعت المشي الآن!

حينها أسكتته أمل: ما حدث قضاء وقدر، لا أنا ولا أنت ولا سعد كان يستطيع فعل شيء.

هدء قليلًا.

أمل: ما قلته الآن يا مجد إنكار لإيمانك بالقدر، جميعنا نشـعر بالانهيار لكن نعلم أن هناك خير في مكان ما.

مجد: آسف لم أنتبه لكلامي.

قالها وتركنا.

سيغادر غدًا على أي حال.

لقد تطوع في مهمة جلب المعدات لمعسـكر التدريب مع أحدهم، لكن ذلك الشـخص سـمح له بالقدوم إلينا عندما شرح له مجد وضعه.

في الليل أصـــبت بالأرق، كان رأســـي أثقل من أن تتحمل المخدة حمله. ضـــعت في متاهات التفكير إلى أن بدأت أسمع صوت السيارات خارج المنزل، على الرغم من أن الصوت دائمًا هكذا، لكن صوت أفكاري طغى على الصوت الذي يأتي من أذناي!

والآن بما أنني سمعت الصوت من أذناي فهذا يعني أن عقلي تعب من التفكير وسيسمح لي بالنوم أخيرًا.

استيقظت مبكرًا قليلًا اليوم. مجد ليس في سريره، ربما استيقظ هو الآخر.

في طريقي إلى الحمام شـــممت رائحة تبغ قوية أكثر من العادة. لا أعلم كم دخن ذلك العجوز حارس المبنى، لكن يبدوا أنه دخن كثيرًا.

عندما خرجت لم أجد مجد.

ترك رسالة على الطاولة فحواها أنه مضطرٌ للذهاب. قال أنه سيمر على سعاد في السجن قبل مغادرته.

وبعد أسبوع ذهبنا نحن الثلاثة لزيارة سعاد في السجن. لم يكن أمامنا الكثير من الوقت للتحدث معها، والزيارات المسموحة قليلة جدًا.

أول من نظرت إليه ســعاد كانت أمل، وســألتها عن حالها. كانت أول مرة ترى فيها أمل بعد الحادث. صحيح أننا أخبرنها لكنها لم ترها.

سعاد: كيف حالك الآن؟

أمل: أفضل منك.

ضحكنا من هذا الرد.

من مواهب سعاد ومجد أنهم يستطيعون إضحاكنا كيف ما كانت الظروف، وتكمن موهبة أمل في احتواء المواقف.

سعد: لماذا ذهبت مع السيدة إلى منزلها ذلك اليوم؟

سعاد: كنت أنتظر سؤالكم هذا، لا أعلم لماذا أجَّلتموه إلى الآن؟

أمل: قولي.

سعاد: لا شيء أبدًا، كل ما في الأمر أنني كنت أراكي تذهبين كل يوم للعمل ثم تعودين مرهقه، سعد يحلل القضايا بكل شغف، أنظر إليه وأرى في وجهه ملامح محامٍ سيدافع عن الحق بقوة حتى بعد انتهاء قضية مختار، مجد أيضًا، تطور وتعلم كثيرًا بعد التحاقه بالمعسكر، أمل تحب حاسوبها جدًا حتى إنَّها أوشكت على صناعة لغة برمجة خاصة بها، بينما أنا كنت ألهوا هنا وهناك، حسنتي الوحيدة أنني كنت أنظف المنزل أحيانًا! لذا عندما أخبرتني السيدة هيام عن حاجتها لمساعِدة، وجدتها فرصة جيدة كي أثبت نفسي أنا الأخرى وقد أجني بعض المال أيضًا، على الأقل لن أكون عبأً عليكم.

نور: لم نرك يومًا عبئا علينا.

أمل: كنت كالشمس في المنزل، قدمتي لنا الدعم والتشجيع باستمرار، حتى أنني تمنيتك قربي بعد إصابتي بالحادث، متأكدة أنك ستجدين شيئًا جميلًا في إصابتي، ثم ستخبرينني به لتردي لي حيويتي.

سعد: إن كنت سأعيش فسأعيش لأجلكم، عداكم لا يوجد سبب آخر للعيش.

أغرقت عينا سعاد بالدموع.

سعد: عيناك جميلتين، ولا يسمح لأصحاب العيون الجميلة أن يبكوا.

حينها تحسن مزاجها قليلًا.

بعدها أخرجت نور حقيبة الكتب التي اشترتها لسعاد، وقالت: مررنا بالمكتبة في طريقنا يمكنك قراءتهم، وعندما تنتهي من قراءتهم أطلبي المزيد.

مسحت دموعها وابتسمت قائلة: على قلبي أحلى من العسل.

تحدثنا وضحكنا إلى أن سمعنا السجانة تصرخ فينا: وقت الزيارة انتهى.

طلبنا من سعاد أن تعتني بنفسها جيدًا وانصرفنا.

مرت الأيام.

تبقى ما يقارب شهر على انتهاء معسكر التدريب. اعتادت أمل نوعًا ما على كرسيها. نذهب لزيارة سعاد بين الفينة والأخرى حسب ما يسمح لنا السجن.

مرت أيامنا بهدوء. إلى أن أخبرتنا نور أنها مضطرة للسفر إلى مقاطعة أخرى، بسبب العمل وقد لا نستطيع التواصل معها.

سعد: كم ستبقين هناك؟

نور: ما يقارب الشهر.

أمل: شهر! سيعود مجد في تلك الأثناء.

نور: أعلم لكن ليس باليد حيلة.

ودعناها صباح اليوم التالي على مضض. لا أعلم لماذا أشعر أنها تخفي أمرًا ما عنا. سافرت بعينين مثقلتين بالخوف، وطلبت منا أن نعتني بأنفسنا.

نظراتها كانت تقول: قد لا أراكم مرة أخرى.

تملكني الخوف لكني ودعتها وتمنيت لها التوفيق. راقبنا الحافلة وهي تغادر، لوحت لنا نور عبر النافذة فلوحنا لها.

في طريق العودة سألتني أمل إن كنت شعرت بشيء غريب في نور. فأجبتها بالإثبات.

سعد: هل تعرفين شيئًا؟

أمل: لا أبدًا.

كنا في حافلة العودة، عندما نزلنا الدرج ســـاعدتني نور على إنزال أمل. لكن الآن أنا وحدي، وقد تسقط أمل إن حاولت سحبها بالكرسي لأعلى.

عندما وصـــلنا للمنزل كنا نريد النزول من الحافلة، لم أنتبه للأمر إلا الآن، هناك مكان فارغ داخل حافلة النقل الجماعي مخصـــص للكراســـي المتحركة، وبعد نزول جميع الركاب، يقوم سائق الحافلة بقلب الدرجات فتصير لوحًا مائلًا يصل إلى الأرض، يساعد في نزول وطلوع الكراسي.

إن صنعت شيئًا يجعل الدرج مائلًا سيكون ذلك أقل خطورة على أمل.

تركت أمل أسفل الدرج وأخبرتها أن تنتظرني قليلًا. ثم صعدت للمنزل، وبدأت أبحث عن أي شيء يخدمني في هذا الشأن.

وجدتها... لوح الخشب الموضوع تحت المفرش في السرير قد يفي بالغرض. إنه أقصر من الدرج لكن يمكنني التكفل ببقية الدرجات عندما نصل للأعلى.

حملته ووضعته على الدرج حتى غطاه إلا أربع درجات. ثم ثبته أسفل الدرج كي لا ينزلق.

ولدواعِ السلامة وقفت فوقه وقفزت في كل مكان، نجح الاختبار!

أمسكت كرسي أمل وطلبت منها التمسك جيدًا، ثم صعدنا الدرج وأنا أسير للخلف، وعندما وصلنا للدرجات العالية المكشوفة خافت أمل قليلًا لكننا تابعنا ونجحنا في نهاية الأمر.

تابعت جر نفسها إلى باب الشقة وهي سعيدة باختراعي هذا. بينما ذهبت أنا لأنظف الفوضى التي تسببت بها على الدرج!

في المساء ذهبت إلى أحد المتاجر لشراء بعض الأدوات. سأصنع لأمل كرسيًا يصعد الدرج ويعبر الشارع. سأضيف له صافرة وأضواء أيضًا.

سهرت طوال الليل أصنع الكرسي. وعندما انتهيت جربته، صعدت به الدرج ونزلته أتأكد من ثباته وأمانه، أصبح جاهزًا للاستخدام.

مرت عدت ساعات لكني لم أشعر بالوقت. في الحقيقة أريد فعل أي شيء يمكنه تخفيف أثر فقدان أمل لقدميها.

أمل عزيزة النفس وحساسة جدًا، عندما نريد الخروج تتظاهر بالتوعك أو الإرهاق كي لا تزعجنا بحملها إلى أسفل الدرج. أو تبقى في السرير لساعات حتى لو كانت مستيقظة كي لا تطلب من أحد جلب الكرسي إليها. لكن نور أدركت الأمر لذا صارت تتركه قرب سرير أمل قبل أن تنام.

استيقظت أمل أخيرًا، كدت أنهي إعداد الإفطار، سآخذها لنتمشى قليلًا بعد الأكل.

أمل: أشتم رائحة طيبة، هل تعد شيئا؟

سعد: نعم، تعالي لتأكلي، هناك ما أود إخبارك به بعد الأكل.

أمل: حمستني؛ ما الأمر؟

سعد: مفاجأة!

بعد أن فرغت من الأكل سألتني عن المفاجأة بحماس. ذهبتُ لغرفتي وجلبتُ لها كرسيها الجديد.

سعد: تفضلي.

أمل: ما هذا؟

سعد: كرسي أمل المطور. أنظري، ركَّبت هنا عجلات تساعدك على صعود ونزول الدرج بأمان عبر تحريك الذراع هنا. أيضًا إذا أدرتي المفتاح هنا سيزداد طول الكرسي خمسة وعشرين سنتيمتر، ديريه بالاتجاه الأخر وسينزل إلى طوله الطبيعي، أديره أكثر وسينزل أكثر. أيضًا اخترت لك هذا الكرسي الخشبي الأنيق، أنظري إليه، له وسادات عند الظهر وعلى مساند الذراعين. وصنعت لك وسادة عند القدمين.

أمل: أليست هذه الوسادة الصغيرة التي نضعها على الأريكة.

سعد: نعم، لقد أعدت خياطتها، ركبتُ لكِ أيضا مصابيح أمامية وخلفية وصافرة. عدلت على العجلات كي لا تجرحي يديك وأنت تديرينها. الآن ما رأيك؟

أمل: رائع، لا تخبرني أنك قضيت الليل بطوله تعدل عليه؟

سعد: من يهتم لمثل هذا الأمر، استعدي سنذهب في نزهه لتجربي الكرسي.

أمل: حاضر.

ساعدتها في الجلوس على كرسيها الجديد. ثم ذهبت إلى غرفتها لتجهز نفسها.

لاحقًا سأعدل على الكرسي، سأضيف له بطارية وشاحن للهاتف، سأضع في ظهر الكرسي صندوق لتحمل به حاجاتها. طبعًا سأُبقي على كرسيها القديم لأنه أصغر حجمًا من الذي صنعته، وربما تحتاج إليه.

خرجت بعدها أمل من الغرفة سعيدة، وهي تقول: استطعت أن ألتقط ملابسي من العلاقة بسهولة بعد رفعي للكرسي.

سعد: جيد، لم يذهب تعبي سدى.

تذكرت أمرا آخر يجب علي تعديله، سأضع لها ذراعين تتمددان كي تستند إليهما عندما تغير الكرسي أو تجلس على السرير.

نزلت على الدرج بأمان، مع أن ذلك استغرق وقتًا طويلًا بعض الشيء. ذهبنا إلى الحديقة، وكانت الشمس قد أشرقت. اليوم عطلة لهذا يوجد الكثير من الأطفال.

أمل: شكرًا لك على كل شيء.

سعد: لا تشكريني، اكتشفت أمرًا، إن لم أصبح محاميًا كما تراني سعاد فسأكون نجارًا ربما.

مر الوقت ولم تصلنا أخبار من نور. مجد سيعود قريبًا، سعاد في السجن، وأمل أغلب وقتها في غرفتها.

أخبرنا مجد في إحدى رسائله أن نور أعلمته بسفرها لكنها لم تخبره بوضوح، طلب منا أيضًا إعادة توجيه الرسائل إلى سعاد لأنه وعدها بذلك.

قاطع أفكاري صوت الكأس عندما وقع من يدي وانكسر، وعندما هممت بجمعه جرحت يدي.

لقد كنا خمسة، نأكل ونشرب وننام سويًا، لماذا يحدث ذلك؟ لماذا يحدث كل هذا؟ لمَ كل واحد منا بعيد عن الآخر! لم أصبحوا فجأة وحدهم!

خلف الأضواء:

حوار بين الكلب والراعي.

الكلب: لم أعثر على الخرفان.

الراعي: هناك من تدخل وعبث بكل هذه المسرحية.

الكلب: هل تشك بأحد؟

الراعي: أشك بواحدة، لكنها خلف القضبان! صحيح... ماذا عن البريد الذي طلبت منك التحقق منه؟

الكلب: كان ذلك منذ وقت طويل، لم أعثر على شيء حتى الآن.

الكلب مرةً أخرى بعد صمت: هل يعقل أنك أخطأت بموعد خروج الخرفان يا سيدي؟

الراعي: حتى لو أخطأت، لن تختفي آثارهم من المكان، سيبقى هناك آثار لحوافرهم على الأقل!

سعاد

"لا تثق بأحد"

١١/يونيو هو تاريخ خروجنا من دار الإيواء برفقة نور.

بالنسبة لي نور هي الحائط الآمن الذي يمكنني إسناد ظهري عليه بأمان. صحيح أنها غامضة لكننا نحب غموضها لأنه يجعلنا نثق بها.

أنا الأصغر بين إخوتي. صحيح أن الفارق بيني وبينهم أيام ولكنني الأصغر. أقف بينهم مثل الأميرةٍ لا يسمحون لشيء بأذيتي.

أخرجت رأسي من نافذة السيارة. كنا على الطريق السريع، ونور تقود بسرعة، لذا كان وجهي يقاوم الهواء بصعوبة. لكن هذا ممتع!

بينما كنت أستمتع بالهواء المنعش وضوء الشمس، ومنظر الطبيعة، قرر سعد أن ينام.

حتى هو يشعر بالأمان بحضور نور!

منذ أن خرجت نور من الدار وبعدها مجد بدأت تتدهور حالته. كنا نلاحظ أنا وأمل الكدمات التي على وجهه، لقد كان يسببها لنفسه لأنه كثير القلق.

في إحدى المرات كنت أربط شعري، فطلبت منه أن يمسك رباط شعري بينما أقوم بجمعه.

ارتدى الرباط بيده وبدأ يشده ويتركه، ويلسع بذلك الفعل نفسه!

أمل ملمة، وتحب قراءة الكتب من شتى أنواعها. أخبرتني ذات مرة أنه من المحتمل أن سعد قلق جدًا، لهذا يستمر بإيذاء نفسه ليفرغ قلقه.

مشكلته أنه لا يشارك مشاعره، حتى عندما يغضب أو يحزن يختلي بنفسه ويرفض التحدث مع أحد، لكن مؤخرا بدأ يؤذي نفسه.

مجد أفضل منه في هذا الشأن، عندما يغضب يقوم بالجري في الساحة حتى يشتد عليه تعبه. هو الآخر لا يشارك مشاعره مع أحد.

أمل مستمعة جيدة، وحكيمة أيضًا، ونحن دائمًا ما نستشيرها في كل شيء. إنها هادئة جدًا، لكن من الخارج فقط!

أعتقد أن الأفكار التي تقبع داخل جمجمتها لا تهدأ أبدًا، وتتحرك أسرع من العاصفة. كشجرة عتيقة كثيرة العطاء، لكنها رأت الدنيا بطقوسها الأربع! لديها مشكلة تغيظني جدًا، ما إن أطلب منها أمرًا حتى تنفذه حتى لو كان ذلك على حساب راحتها أو صحتها، ودائمًا ما تفضل غيرها على نفسها.

لا أعلم لماذا، ولكن هل يعقل أنها لا تحب نفسها؟ إنها تصيبني بالجنون، حنونة جدًا لدرجة تظلم بها نفسها!

جميعنا لدينا همومنا، لكن همي الأول الأخير أن أبقى قرب إخوتي مدى الحياة. لن أســمح لهم بالتفرق أو كره بعضهم، عزمت على هذا الأمر ونقطة انتهى.

وصلنا إلى المنزل أخيرًا، لكننا لم نجد مجد!

تفاجأنا لأن نور لم تخبرنا بالسيارة.

تقول أمل: إن نور لم تخبرنا بعدم وجود مجد لأنك كنت تثرثرين طوال الطريق وتســألين عن كل شيء.

سعاد: لم أكن أثرثر، كنت أتعلم، العلم نور والجهل ظلام.

لاحقًا عرفنا أين مجد، وقصتنا مع مختار وكيف قضى على حياتنا من أجل اشباع شجعه الذي لن يشبع.

إنه حثالة، نعم حثالة كبير، وكبير جدًا أيضًا!

أعلم أنه سينال عقابه في الآخرة. لكن هذا لا يمنع أن يعاقب في الدنيا أيضًا، وعلى أيدينا!

7/يوليو

اليوم تاريخ مميز جدًا، تكرر الرقم 7 مرتان (7/7).

سأعتبره يوم حظي.

ارتديت حذائي الرياضي الجديد الذي اشترته لي نور. خطتي لليوم هي كالتالي: سأهرول في الحديقة، ثم أذهب إلى الســوق لشــراء وجبات خفيفة وبعض مكونات غداء اليوم، بالإضــافة لبعض المنظفات؛ لأن علبة صابون الصحون فرغت وعلبة منظف الحمامات شبه فارغة.

بعدها أعود للمنزل وآخذ حمامًا منعشًا، ولاحقًا سأطبخ لإخوتي قبل عودة نور من عملها.

هذه خطة الصباح، وسأجد وقتًا للقراءة بعد العصر.

تذكرت، يجب أن أشتري في طريقي عصير برتقال منعش أشربة وأنا أقرأ. أمل تفضل القهوة عندما تقرأ، لكني أفضــل العصــير عندما أقرأ لأنني أريد شــيئًا ينعش دواخلي، كما ينتعش دماغي بالقراءة.

في أثناء خروجي كان سعد يكنس المطبخ بعد الإفطار، سألني أين سأذهب فأخبرته (كالعادة).

فرد علي: اعتني بنفسك.

كان الجو شبه غائم، والنسيم لطيف نوعًا ما، الجو مثالي للهرولة.

هرولت لنصف ساعة تقريبًا، ثم جلست على أحد الكراسي أشرب القليل من الماء. من بعيد كانت هناك امرأة تلاعب قطتها بلطافة، لكن القطة هربت منها فجأة. أظنها رأت فأرًا أو صرصارًا، أيًا يكن!

تابعت الهرولة ثم فجأة مرت القطة أمامي بسرعة متجهة نحو طريق السيارات. بطريقة ما استطعت الإمساك بها قبل عبورها للشارع، أصبت في كوعي، حتى حركة المرور اضطربت قليلًا بسبب القطة.

اعتذرت من صاحب السيارة الذي بدء يصرخ ويتفوه ببعض السباب!

صاحبة القطة: شكرًا لك.

سعاد: لا شكر على واجب.

صاحبة القطة: هل أصبت بأذى؟

سعاد: لا بأس، خدش صغير.

صاحبة القطة: اسمحي لي أن أدعوك لشرب القهوة، سأنظف جرحك حينها.

سعاد: لا تزعجي نفسك، أنا بخير.

صاحبة القطة: أنا مصرة، أرجوك لا تحرجيني.

وافقت بعد إلحاحها الطويل. حتى أنا لست لحوحة مثلها!

ثم سألتني وهي تنظف جرحي: بالمناسبة، لم تخبريني باسمك.

(سعاد)أجبتها.

صاحبة القطة: اسمك فؤولٌ جدًا، اسمي هيام، وهذه ميمي.

سعاد: اسمك مميز!

هيام: شكرًا لك.

ما إن انتهت السيدة من تنظيف الجرح حتى هممت بالرحيل. القاعدة الثانية التي علمتنا إياه نور كانت: (لا تخالطوا الغرباء).

هيام: أين هممت بالرحيل هكذا؟ لم نطلب شيئًا بعد.

ســـعاد: لا بأس، قمتي بتنظيف جرحي وهذا أكثر من كاف، كما أنه يتوجب علي الذهاب الآن للسوق.

هيام: أي سوق؟

هذه المرأة بدأت تحشر أنفها فيما لا يعنيها.

سعاد: السوق المركزي.

هيام: اسمحي لي بمرافقتك.

عجيب أمر هذه المرأة، التقت بي منذ عشر دقائق وتريد الآن مرفقتي للسوق!

القاعدة الأولى التي علمتنا إياها نور (لا تثقوا بأحد!)

اعتذرت منها وهممت بالرحيل للمرة الثانية، لكنها أوقفتني وقالت: ســـأمر بالحضـــانة قرب السوق المركزي لاصطحاب ابني.

سعاد: رافقتك السلامة.

هيام: لا تكوني منغلقة جدًا، أخبريني هل كنتي في ميتم من قبل؟

ما بالها؟ لقد بدأت تخيفني.

هيام: من ســلوكك يبدو أنك كنتي منعزلة عن العالم، هذا يعني أنك ربما درســتِ في مدرســة داخلية، أو أنك كنتي خارج البلاد، لكنك تفتقرين لأساسيات التواصل مع البشر وهذا عادةً نجده في المدارس الداخلية تحديدا دور الإيواء.

سعاد: بما أنك استطعت معرفة ذلك ألا يمكنك معرفة أنني لا أريد البقاء معك لوقت أطول؟

قلتها بصرامة.

لاحظت أنها كانت تراقبني منذ أيام، يا إلهي... بدأ جسدي يرتعش منها.

وصلت السوق بأمان، لكنها ظهرت أمامي مرة أخرى هناك.

هيام: ألا ترين أن الصدف جمعتنا مرة أخرى.

سعاد: ألم تذهبي لاصطحاب ابنك؟

هيام: سأذهب بعد التسوق.

سعاد: هكذا إذًا!

هيام: لا تشتري من هذه العلامة التجارية، إنها سيئة.

سعاد: إنها تروق لي.

هيام: مصرة؟

سعاد: سيدتي أرجوك اتركيني وشأني.

هيام: أتمنى لو كانت مساعدتي السابقة بمثل حزمك، لقد دمرت حياتها بسبب ترددها المبالغ فيه.

سعاد: أتمنى أن تجدي واحدة تناسبك.

هيام: هلا فعلتي رجاءً.

سعاد: ألست لا أجيد أساسيات التواصل مع البشر؟ (قلتها باستهزاء).

هيام: كنت أمزح لأرى رد فعلك فقط.

تمزح وأصابتني في النخاع، كيف إن كنتي جادة؟

هيام: ستفيدينني، أنت الأنسب بالتأكيد.

سعاد: أسفه ولكنني لست قشارة بطاطا، في الواقع أنا إنسان، حتى الإنسان الذي يفتقر لأساسيات التواصل مع البشر لن يقبل بعرضك هذا.

هيام: إنها فائدة متبادلة، تكونين مساعدتي، وأنا سأدفع لك أجرًا سخياً.

سعاد: أغربي عن وجهي.

هيام: يا آنسة سعاد من الجيد لفتاة في عمرك أن تعتمد على نفسها ولا تكون عبئًا على الآخرين، خاصة أنك يتيمة ولا يوجد من تعتمدين عليه. أليس ذلك صحيحًا؟

كانت تقترب مني شيئًا فشيئًا، حتى بدت كالشيطانة.

هيام: ماذا خائفة؟ كما توقعت الأطفال من المدار الإيواء يتم جبناء ويخافون من الناس!

سعاد: لقد تخطيتِ حدودكِ، أولًا أنا لست بلا أهل أو قادمة من دار الإيواء، أنا أعيش مع عائلتي، ثانيًا لا يحق لك نعت الأطفال من دار الإيواء بالجبناء، يكفي أنهم استطاعوا مواصلة العيش بلا أهل أو سند، برأي هذا بحد ذاته قوة، وأنت لا تملكين نصف قوتهم!

هيام: إذن أنت من النوع المدلل الذي يعتمد على غيرة، هل أصبت؟

هذه المرأة شيطانة بحق!

سعاد: لا يعنيك.

هيام: أثبتي ذلك لعائلتك، أنا أقدم لك فرصة. سأعطيكِ مبلغًا من خمس خانات.

سعاد: سأذهب معك لكن ليس لأجل المال، بل لأثبت لك أنني لست مدللة.

في الحقيقة أغراني موضوع الخمس خانات، يمكنني مساعدة نور في مصروف المنزل.

سأذهب لأرى نوع المساعدة التي تحتاجها، ثم سأفاجئها برمي مالها في وجهها ورفض عرضها في بيتها، سألقنها درسًا!

بدايةً عرضت علي ركوب سيارتها الخاصة - وقد كانت فارهة- لكني رفضت. ركبتُ الحافلة لذا ركبتها معي، لكنها تركت قطتها في السيارة قائلتًا إن سائقها الخاص سيأتي لاحقًا لأخذ السيارة، لأن القطط ممنوعة في الحافلات!

وصلنا لمنزلها، هذا قصر وليس منزل! لم أرى شيئا بهذا الإبداع من قبل!

أدخلتني لغرفة استقبال الضيوف في الطابق الثاني. كانت الغرفة بحجم منزلنا كاملًا بغرفتيه ومطبخه والحمام.

قدمت لي العصير وأخذت تحدثني عن المطلوب مني. سأنتظر انتهاءها من الكلام وأرفض طلبها رفضًا قاطعًا.

المال يأتي بعد الكرامة!

لا أصدق نفسي لقد قطعت كل هذه المسافة كي أحرجها فقط! أنا مخيفة... قليلًا فقط.

غادرت السيدة هيام الغرفة بعد أن رن هاتفها.

فجأة دخلت امرأة عجوز، تمسك مقود طوق كلب، الغريب هو أن الطوق أُلبس لوسادة سوداء كبيرة مخملية. ربما حسبت الوسادة كلبًا؟

بدأت تنعتني باللصة وتصرخ في وجهي! من الواضح أنها مصابة بالخرف.

سعاد: سيدتي، لقد حضرت مع السيدة هيام.

لكنها نعتتني حينها بالكاذبة، وتابعت الصراخ (لصه، أنت لصه).

ثم وثبت فوقي-حرفيًا- وكانت تخنق عنقي حتى بدأت أواجه صعوبة بالتنفس. كانت السيدة تصرخ وتنادي: هيام أمسكت اللصة، تعالي يا هيام.

بئسًا، أين تلك الهيام؟ لو جاءت قد تنقذني.

استجمعت قواي أخيرًا ودفعتها عني، ثم أخذت أسعل.

حينها دخلت هيام تلك وبدأت تصرخ: خالتي هل أنت بخير؟ خالتي أجيبِ!

استطعت استعادة نظري أخيرًا بعد أن تشوش بسبب نقص الأكسجين. رأيت السيدة العجوز أمامي وتلك المرأة تمسكها وتنادي عليها.

فهمت أن السيدة العجوز ليست بخير، فسارعت بالاتصال بالإسعاف. لم أعرف كيف أتصرف، هذه المرأة فقدت الوعي بعد أن دفعتها!

ثم صرخت السيدة هيام في وجهي: (ألم أحضرك إلى هنا لأُنَفِّعك، لماذا قتلتها)، وبدأت تبكي!

سعاد: ستصل الإسعاف قريبًا، وسينقذونها بإذن الله.

هيام: أنت قتلتها أيتها المجرمة!

وصلت الإسعاف، وحملوا العجوز على النقالة.

ذهبنا معها في سيارة الإسعاف.

حاول الطبيب انعاشها لكنها لم تفق، حتى بالصدمات الكهربائية لم تفق. أشارت هيام بسبابتها نحوي وهي تحتضن ابنها: هذه هي التي قتلت جدتك!

حينها صرخ الطفل بقوة، نفس الصرخة التي صرختها عندما تدحرجت السيارة بأمي وأبي!

هل أنا حقًا قتلتها؟

ماذا أفعل الآن؟

يا إلهي، أركضي! (هكذا كان الأمر من دماغي).

ركضت بسرعة غير عادية، حاول بعض عناصر الشرطة اللحاق بي، لكني استعطت الركوب في سيارة أجرة بسرعة ثم اتجهت للمنزل.

نزلت بسرعة لدرجة أنني أعطيت السائق كامل محفظتي! بدأت أسمع صافرات سيارات الشرطة. وعندما وصلت المنزل، أغلقت الباب خلفي بلا وعي.

دهش سعد عند رؤيتي، فحاول سؤالي هو وأمل عن الذي حصل، لكني لم أستطع الرد. كان كل ما استحضره دماغي هو صوت الطفل الباكي.

عند سماعي صوت الشرطة خلف الباب طلبت منهم عدم فتحه، فخبآني في الغرفة وأقفلا الباب علي.

كنت أسمع صوت الشرطيّ يكلمهم خارج الغرفة، ثم سمعت صوت نور.

نور يمكنها التصرف، ستخبرهم أنني لم أتعمد قتلها، سيتركونني بعد أن تكلمهم نور.

لكنها... لكنها سلمت لهم المفتاح!

نظرت لها والشرطة تقيد يدي... نظرتُ لها أعاتبها، لكنها كانت تمسك دمعتها بالكاد. أخبرتني عيناها الباكيتان أنها ستنقذني، أخبرتني أن أثق بها. ولقد كانت أكثر لحظة أشعر فيها بالعجز!

في مركز الشرطة كنت أبكي وحدي.

أبكي وأبكي، وما نفعني بكائي، هم أيضًا يبكون.

صـــوت ذلك الطفل يتردد في رأســـي، هل يعقل أنني قتلته؟ نعم ربما قتلته عندما قتلت جدته؟ كانت المرة الأولى التي أبكي فيها بلا دموع.

هناك بكاء بلا دموع كبكائي، وهناك دموع بلا بكاء، مثل دموع هيام!

وضـعوني في غرفة باللون الرمادي الغامق، سـقفها قصـير لدرجة أنني أشـعر أنه فوق عينيّ تمامًا.

دخل اثنين من عناصـر الشـرطة، كانتا امرأتين. احداهن بدا أنها هنا لتراقب وتسـجل حركاتي فقط.

قالت الشرطية الأخرى: سعاد أنت لا تزالين في السابعة عشرة، لديك مستقبل أمامك، أنتِ في بداية الحياة فقط، لذا صارحينا بكل شيء.

كانت نظراتها تستحقرني بشدة.

سعاد: أولًا لا تنظري لي بدونية هكذا، ثانيًا لا أنوي إخفاء شيء فأنا لم أفعل شيئًا خاطئًا.

الشرطية: قتلتي شخصًا وتقولين إنك لم ترتكبِ خطأ!

قالت جملتها وهي تضرب الطاولة أمامها بقوة.

سعاد: هي من هاجمني أولًا، أنظري إلى رقبتي وكتفي ستجدين الكثير من الجروح التي سببتها لي.

حينها نهضـــت الشـــرطية واتجهت نحوي وأخذت تفحص جروح رقبتي وكتفي من تحت القميص.

ثم اتخذت قرارًا حكيمًا!

الشرطية: أنت من سبب هذه الجروح لنفسك.

ســـعاد: يا أنت، أليس من الحكمة مقارنة جرحي ببقايا جلدي تحت أظافر الضـــحية وحينها تقريرين إن كنت أنا من فعل ذلك أم لا؟

صرخت في وجهي كالجاهلة: هذا عملنا وأنا من يقوم بالتحقيق هنا، كنت أستجوبك لا أكثر.

أسررت في نفسي حينها: (لا يبرر موقفه الا مخطأ).

سعاد: أيضًا من الواضح أن تلك العجوز مصابة بالخرف، كانت تنعتني باللصة فور رؤيتها لي، ثم وثبت وفقي وطوقت عنقي بيديها وأخذت تخنقني؛ رأيت أثار أصـــبعها حول عنقي قبل قليل، أليس كذلك؟

الشـــرطية: بلى فعلت، ولكن ماذا لو كنت أنت من خنق نفســـه بعد أن هربتِ لتبرري فعلتك الشنيعة؟ تعلمين لا يمكنني إيجاد جلد تحت أظافر الضحية تدل على خنقها لكي.

أجبتها باستهزاء: أنا متأكدة أنك تعرفين أن لكل إنسان بصمة يتفرد بها، يفترض أن تعثري على بصمات أصابعها على عنقي.

الشرطية: ماذا لو مسحت بسبب ملابسك أو تعرقك؟

ســعاد: لا تقلقي عزيزتي الشــرطية، كنت أضــع واقي شــمس ومرطب وعطر على رقبتي، ســتطابقون بقاياهم من رقبتي بالتي على يدي العجوز. وإن لم تجدوهم على الأقل ســتجدون عَرقي على يديها.

حينها لحسن الحظ دخل الشرطي الذي ألقى القبض عليّ، وقد بدا عاقلًا أكثر منها. أدخل معه فريق لفحص الخدوش على رقبتي وضبطها كأدلة. ثم جلس بوقار، وقال: أخبريني بكل شيء يا ابنتي ولا تخافي، اتفقنا.

هنا بدأت أشعر أنني أستطيع الوثوق بالشرطة.

سعاد: التقيت السيدة هيام في الحديقة عندما أنقذت قطتها.

أسـكتني وطلب من فريق التحليل الجنائي البحث عن بقايا من فراء القطة علق علي، ثم أشـار لي بإكمال حديثي.

سعاد: عندما أمسكت القطة سقطتُ وجرحت كوعي، لذا طَلَبَتْ مني السيدة هيام أن أسمح لها بتنظيفه. وكلَ ما هممت بالرحيل بعدها كانت تطلب من البقاء معها بشـكل مزعج، إما لشـرب القهوة أو اصطحاب ابنها أو التسوق وهكذا. ثم بدأت تخبرني بماضـيَّ وكأنها دجالة وتعايرني به، على الرغم من أنني لم أخبرها إلا بإسمي، لكني لم أثبت أو أنكر أي شيء.

الشرطي: أي ماضٍ؟

سعاد: مات والدي وأنا صغيرة، فنشأت في دار إيواء، لكني خرجت منذ وقت قريب.

الشـــرطية: هل يعقل أنك فعلت ذلك لأنك كنت تغارين من الطفل، أردتِ تدمير عائلته لأن عائلتك تدمرت.

رمقتها الشرطية التي تكتب بنظرة استغباء كما فعل الشرطي أيضا.

أما أنا فلم أرد عليها.

سعاد: لكني لم أخبرها، توقَعَتْ ذلك لوحدها.

الشرطي: وبعد ذلك.

سعاد: استطعت التملص منها أخيرًا، وذهبت للسوق، لكنها ظهرت مرة أخرى في وجهي.

بدأت تثرثر إلى أن انتهى الأمر بعرضـها علي أن أكون مسـاعدتها، قائلة أنها سـتعطيني مبلغًا من خمس خانات.

الشرطي: ألم تذكر لك رقمًا محددًا؟

سعاد: لا فقط خمس خانات.

ثم أشار لي بمتابعة الحديث.

سـعاد: حاوَلَت اقناعي كثيرًا ولكني كنت أرفض، كانت امرأة غريبة تعرفت عليها منذ عشـر دقائق والآن ستأخذني معها للمنزل، لم أجد ذلك منطقيًا فواصلت رفضي لعرضها.

كنت أكلم الشرطي بسرعة كي لا تقاطعني تلك الجاهلة.

سـعاد: لكنها بدأت تسـتصـغرن وتقول بأني عبء على أسـرتي التي أعيش فيها الآن، وأن الفرصـة التي قدمتها لي سـتجعلني أثبت نفسـي، والكثير من الكلمات المهينة الأخرى، وافقت على الذهاب معها كي أرفض عرضها في منزلها، وألقنها درسًا.

الشرطية: بأن تقتلي أم زوجها صحيح؟

سـعاد: كلا، لم أعلم أصـلًا بوجود عجوز تعيش معها، كل ما أعرفه أنها تعيش مع ابنها وهي غنية.

الشرطي: ما هو الدرس الذي ستلقنينه لها إذًا؟

سعاد: أحرجها في منزلها وأرفض عرضها وأقول لها أنني لست بحاجة لكرمها بعد أن تتوهم أنني موافقة على عرضها وأنني سأقبل منها حسنة، فلتخسأ.

الشرطي: تابعي، ماذا حدث بعد ذلك؟

سعاد: دخلنا المنزل وأدخلتني غرفة الضيافة في الطاق الثاني، قدمت لي العصير وخرجت من الغرفة، أظن أنها أرادت إجراء مكالمة.

الشرطي: إذًا كنتي لوحدك في غرفة الضيافة مرتين، الأولى عندما ذهبت لتحضر لك العصير والثانية عندما راودها اتصال.

سعاد: لا فقط مرة واحدة عندما خرجت لإجراء مكالمة، الخادمة هي من أحضرت العصير.

الشرطي: من رأيتِ أيضًا؟

سعاد: فقط السيدة والخادمة، ثم جاءت العجوز عندما كنت وحدي، وثبت فوقي امسكتني بقوة لدرجة أنها خدشتني بأظافيرها. وعندما أخبرتها أنني قدمت مع السيدة هيام وأنني لست لصه راحت تخنقني بيديها، كنت أختنق لذلك دفعتها عني، وحدث ما حدث.

الشرطي: هنا لا وجود لحدث ما حدث يوجد موقف عليك إخبارنا به.

سعاد: لا أعلم بالضبط كنت أسعل وأحاول استعادة رؤيتي، لكني رأيت السيدة هيام تمسك بالعجوز وتحاول افاقتها، ثم بدأت تنعتني بالقاتلة أثناء طلبي للإسعاف.

رأيت علامات التعجب على وجه الشرطي.

سعاد: حاولت تهدئتها وأنا أخبرها أن الإسعاف سيكونون هنا قريبًا وسينقذونها، لكنها أصرت على أني قتلتها.

الشرطي: ربما تحسست نبضها فلم تشعر به.

ســـعاد: لكن عادةً يقوم الأطباء بإنعاش المريض حتى بعد توقف قلبه، وقد يعود القلب للنبض بعد الإنعاش، أيضًا إن كنت مكانها سيكون آخر ما أفكر به هو الموت، خاصة إذا كان الشخص عزيزًا علي!

الشرطي: نحن لا نعلم لماذا قررت السيدة هيام أن الضحية ماتت، لكن لا يمكنك وضع نفسك مكان شخص آخر؛ فأنت لست هو ولم تمري بموقفه.

سعاد: آسفه.

الشرطي: تابعي.

سعاد: ذهبنا في سيارة الإسعاف، ثم وصلنا للمستشفى. وعندما قرر الطبيب أن الضحية توفيت، أصبت بالذعر لذلك هربت من المستشفى، أوقفت سيارة أجرة أوصلتني للمنزل. البقية تعرفها أنت.

الشرطي: هل كان هناك أحد في الغرفة عندما هاجمتك العجوز؟

سعاد: لا.

هكذا انتهى حديثنا، وخرجوا جميعًا بعدها.

عاد ذلك الشعور-العجز- يفتك فيّ.

وبعد وقت طويل دخل الشـــرطي وقال إن الطبيب أكد أن ســـبب الموت، وهو ارتطام رأس الضحية بطرف الطاولة بسبب دفعي لها، وهذا ينفي الأمل الذي كان بإمكانه إخراجي بالبراءة.

قابلت إخوتي فيما بعد، وكانوا في حالة يرثى لها. طمأنني ســـعد بقوله إنها قضـــية دفاع عن النفس. ثم خرجوا على مضض لأنني طلبت منهم ذلك.

أريد أن أبكي لوحدي، لا أريد جعلهم يبكون معي، في النهاية أنا من تســـبب بذلك لنفســـه ولا ذنب لهم.

بعد ذلك أخذني شرطي لسجن مؤقت ريثما ينتهي التحقيق.

المكان مخيف هنا، يوجد مجرمات من مختلف التهم، وكنت الأصغر بينهم.

حاولن التنمر علي لكنني قلت لهم بابتســـامة خبيثة: ما رأيكن أن أجعل إحداكن تنام الليلة في ثلاجة الأموات قرب التي قتلتها قبل قليل؟

حينها انفضضن عني، ولم تجرأ إحداهن على الاقتراب مني. لكن هذا تصرف شنيع، علي أن لا أكرره!

كان إخوتي يترددون عليَّ يوميًا وأحيانًا يكون برفقتهم المحامي. أخبروني أن المحاكمة ستكون بعد عدة أيام.

أشعر بالخوف، لكني أستحق ذلك؛ أنا من قتلها، وعلي تحمل العواقب.

كنت ساذجة وغبية عندما ذهبت مع تلك الشيطانة إلى منزلها، لقد استفزتني لجعلي أذهب معها، ومن سذاجتي لم أنتبه للأمر إلَّا الآن!

وبينما أنا أفكر دخلت امرأة للزنزانة، اقتربت مجموعة من السجينات منها وبدأن يتنمرن عليها كما فعلن معي.

فما كان مني إلا أن صرخت فيهن، وأمرتهن بالابتعاد عنها. حينها انقلبت كل واحدة على نفسها من الخجل، ثم اعتذرن مني!

سعاد: اعتذرن لها وليس لي؟ (قلت بغضب)

شكرتني تلك المرأة لاحقًا.

لكني لا أفهم، هنا أنا صاحبة الخطيئة الأكبر، لما يصغون إلي ويهابونني! أليس من المفترض أن يستصغرون لأنني قتلت أحدًا؟ أليست الأفضل هنا هي صاحبة الذنب الأصغر؟

لا أفهم هذا، لكن المهم أنني في مأمن منهن.

اقتربت مني المرأة ذاتها- التي شكرتني قبل قليل- وسألتني لماذا أنا هنا؟

سعاد: قتلت احداهن.

المرأة: كيف حدث ذلك؟

رمقتها وقلت لها: لا شأن لك.

ثم راودني الفضول حول شأنها فسألتها: لماذا أنت هنا.

المرأة: سربت أسئلة الامتحان للطلاب.

سعاد: تستحقين ذلك إذًا.

المرأة: كنت أريدهم أن ينجحوا!

سعاد: سينجحون للسنة التالية، ثم يفشلون في بقية حياتهم، أنت معلمة، فعلتك تلك ستخرج جيلًا اتكاليًا غشاشًا.

المرأة: أدركت ذلك للتو، بعد أن قبضت الشرطة علي.

سعاد: لنتوقف هنا لا أريد مواصلة الحديث.

لحسن الحظ عادة المرأة أدراجها.

حسبتني سأعاني معها مثل هيام.

في الليل لم أستطع النوم، كان الناموس والذباب في كل مكان، الرائحة نتنة للغاية أيضًا.

لكن الحارسة كانت تروح وتجي طوال الليل تصرخ في كل واحدةٍ ترفع رأسها، النوم إجبار هنا!

في اليوم الرابع جاءت نور فقط، وعندما سألتها عن أمل وسعد قالت أنهما متعبان لذا تركتها يرتاحان في المنزل.

سعاد: أنت تكذبن.

نور: لقد تركتاهما نائمين.

سعاد: أنت تكذبين.

نور: المهم الآن، كيف حالك؟

سعاد: ليس سيئًا، لكنه ليس جيدًا أيضًا.

نور: الحمد لله.

سعاد: لماذا تسألينني عن حالي؟ هل تخفين أمرًا؟

نور: في الواقع نحن لم نخبر مجد بعد، لذا أنا متوترة قليلًا.

سعاد: تكذبين مرة أخرى، أعلم أنكم لم تخبروا مجد حتى الآن، هذا ليس جديدًا، لن تكوني متوترةً من أجل شيء كهذا! صارحيني هل أنا بخير؟

ثم خطرت لي الفكرة التي كنت خائفة منها.

سعاد: هل سيحكمون علي بالإعدام؟

نور: لا تقلقي، لن يفعلوا، أغلب الظن أنهم سيسجنونك ثلاث سنوات كأقصى حد، شهرين كأدنى حد.

سعاد: الآن تقولين الحقيقة.

لا أعلم ما خطبها اليوم بدت غريبة جدًا!

أنهت الزيارة. ثم جاء بعدها المحامي وصار يسألني عن أدق التفاصيل.

كنت قد رويت له ما جرى سابقًا، والآن يسألني أسئلة دقيقة أكثر.

ما نوع العصير الذي شربتموه؟ هل كان من نفس النوع؟ ما شكل الأكواب؟ كيف عرفتي أن تلك الفتاة خادمه؟ هل كانت ترتدي لبسأ عاديًا أو ملابس خاصة بالعمل؟ أين كان مكان جلوسك على الأريكة؟ هل كانت الأريكة تقابل الباب أم تحاذيه؟...إلخ.

كان يسأل أسئلةً غريبة، وتفاصيل دقيقة جدًا.

في اليوم الخامس جاءت نور فقط.

لكنها بادرت القول قبل أن أسألها.

قالت: سعد وأمل في المستشفى.

سعاد: لماذا؟ هل هم بخير؟

كان وجهها شاحبًا مثقلًا بالهم، وصوتها غليظ ثقيل.

نور: لقد اصطدمت سيارة بأمل.

سألتها بقلق: كيف حالها الآن؟

هزت رأسها بـ (لا)

سعاد: ماذا تقصدين؟

نور: عندما رآها سعد فقد وعيه ونقلتهما بمساعدة المارة إلى المستشفى.

سعاد: ما الذي تقولينه.

نور: أفاق سعد، لكنه فقد من ذاكرته حادث أمل وحادثك فقط، مع أنه طلب مني عدم إخبارك. أما أمل...

نزلت على خدها دمعه ثقيلة، بدت وكأنها تحترق.

سعاد: قولي، ما بها أمل؟

صرخت بها.

كانت تطأطئ رأسها وتجمع قبضتيها، ولأول مرة كانت دموعها تقطر من عينيها.

(سألتك بالله ما بال أمل) قلتها بأعلى صوتي.

نور: أصيبت بشلل في قدميها.

لم أصدق. ما هذا الذي تفوهت به نور؟

سألتها بعدها: وماذا عن سعد؟

نور: فقدانه للذاكرة مؤقت.

بعدها جلسنا في صمت...

صمتٌ قاتلٌ، وعجزٌ يفتك بنا.

قبل موعد المحاكمة سألني المحامي مرات عدة إن كنت نسيت أخباره بشيء ما، ولكني أخبرته بكل شيء بالفعل. مع هذا أشعر أن هناك أمرًا ما ناقصًا، لكن لا أعلم ما هو!

في المحكمة أجلســوني على مقعد كتب عليه (المدعى عليه) داخل زنزانة، والســيدة هيام في جهة أخرى وأمامها لافته كتب عليها (المدعي).

عينا تلك المرأة تنضح بالشرر.

القاضي يستمع لأقوال الطرفين، المحامي الخاص بي يدافع عني، والمحام الخاص بالسيدة هيام يتهمني.

دليل من هنا ودليل من هناك.

وحكمَ القاضي.

(سنتين في السجن).

رفعت ناظري نحو إخوتي، كانوا في حالة يرثى لها. أعينهم لا تنظر لشــيء. كانت تلك المرة الأولى التي أراهم بها هكذا.

كانت السجَّانة تسحبني، بينما كنت أقاومها، أريد إلقاء نظرة أخرى عليهم. لم يحن وقت افتراقنا بعد!

لاحقًا أجلستني شرطية في شاحنة مليئة بنساء مصفدات الأيدي. وصلنا للسجن وقد كان كبيرًا، لم أجرء على رفع عيني أو النظر في أي شيء. السجَّانات يصرخن ويشتمن الجميع. الأنظمة الأمنية هنا متطورة. دخلنا من بوابة صغيرة، على كل واحدة أن تنظر في آلة التصوير المثبتة في أعلى الباب. أعتقد أنها تسجل وجوهنا ليراقبوا تحركاتنا فيما بعد. آلات التصوير في كل مكان. قاموا بالتفتيش الجسدي لنا جميعًا، عثر على مخدرات وأسلحة وأموال وغيرها من الممنوعات. كان يتوجب علينا تسليم كل ما نملك في الحاجز السابق، والتي لم تفعل تعرضت لتوبيخٍ شديد.

أردت الاحتفاظ بهاتفي، لكنني لم أجرء على ذلك.

سألت السجانة التي سلمتها أشيائي عن طرق التواصل بيننا وبين عائلتنا. استفزني جوابها حتى أنني تمنيت شتمها لكنني منعت نفسي من ذلك في اللحظة الأخيرة. قالت (صدقيني لن ترغب عائلتك بالتواصل معك أيتها الحثالة، أراهن أنهم استغنوا عنك)، سأحاول ضبط أعصابي، يبدوا أنني سأواجه الكثير من أمثالها.

ثم أنا لست حثالة، ولكن ظروفي حكمت علي برؤية وجهها الذي يشبه الـ... لا أعلم ما الذي يشبهه، رأيت الكثير من الأشياء القبيحة في حياتي لكن وجهها كان الأشد قبحًا. يبدوا أنني سأشبه الأشياء التي لا تعجبني مستقبلًا بوجهها!

لست أعيب خلقة ربي -معاذ الله- ولكن نظراتها وأنفها المرفوع وتعبير وجهها الذي استحقرتني به هم القبيحين.

أعطوني فيما بعد لباسًا موحدًا، كُنا نبدو كطاقم التنظيف الذي كان يزورنا في دار الإيواء. كان هناك علامة على أكمام كل واحدة تصنف جريمتها، بالإضافة لاسمها. كانت العلامة من معدن، وكانت ثقيلة، أعتقد أن هناك شريحة إلكترونية داخلها؛ خصوصًا أن الكم واسع، ولكن عند العلامة يوجد رباط مطاطي؛ لذا كانت العلامة تلاصق جلد عضدي! ربما تفيدهم في تحديد مواقعنا وقياس العلامات الحيوية لنا!

التالي هو الزنزانة...

كانت أشبه بقن دجاج كبير. غرفة طويله، في نهايتها نافذة كبيرة يدخل منها الهواء وضوء الشمس. هناك سبع أسرة على كل جانب، كل سرير بطابقين، بمجموع ثمانية وعشرين سرير. هناك خزانة كبيرة عند بابا الزنزانة، مقسمة إلى ثمانية وعشرين درجًا تقريبًا، وكان السقف مرتفعًا كثيرًا.

أعطوني صابونًا ومعجون أسنان وفرشاة أسنان، ومشط وربطة شعر واحدة. وهناك من تملك مستحضرات للعناية بالبشرة، إذا أردتُ الحصول عليهم علي شرائهم، وسعرهم هنا ضعف سعر السوق خمس مرات!

يوجد وجبات خفيفة هنا، ولكن علي شراءها أيضًا، وسعرها أضعاف السوق! يمكننا شراء أشياء من خارج السجن لكن يجب أن توافق شروط السجن، بالإضافة لكونها ليست متوفرة في السجن أيضًا.

دخلت مع مجموعة من السجينات الجدد اللواتي كن في الحافلة معي.

بالتأكيد هناك أكثر من زنزانة كهذه.

تم توزيعنا بحيث لا تدخل إحداهن مع شـــريكتها في نفس الزنزانة، ولا تتكرر نفس التهمة كثيرًا.

رأيت زنزانة خاصة باللواتي حكم عليهن بالإعدام، كان لباسهم أسود، بدا مخيفًا! لا يختلطون مع البقية، أشكالهم مخيفة، ولا أحد يرغب بالاختلاط معهم.

هناك من حكم عليها بالمؤبد، هؤلاء يوزعون في بقية الزنزانات، المحكوم عليهن بالإعدام فقط هم من يتم فصلهن عنا.

كان سريري قريب من النافذة، وكنت في الطابق الأعلى. تحتي كانت تنام سيدة عجوز.

على كل الأحوال لا أنوي الاحتكاك بأحد هنا.

كان الوقت قبيل الظهيرة لذا أمسكت بالكتيب الذي أعطونا إياه عند تسليمنا الملابس الموحدة وبقية الأغراض. كتب فيه مواعيد الأكل والاستيقاظ والنوم والاستحمام! ذكر فيه أنهم سيمنحوننا ساعتان يوميًا نخرج إلى تلك الساحة التي أراها من النافذة، والغطاء النباتي لا بأس به هنا.

ذكر أيضا أننا سنقوم ببعض الأعمال، كالخياطة والبستنة وغيرها داخل السجن.

ذكرت بعض البنود التي تحال من تتجاوزها الى الســـجن الانفرادي وهناك عدد ثلاث مرات وبعدها لن تســـتطيع المحكوم عليها بتخفيف العقوبة ذكر أيضـــا أن عدد الزيارات تختلف من سجينة لأخرى حسب جريمة كل واحدة منهم، وتتراوح عدد الزيارات من صفر الى أربعة في الشهر، ولا يمكن ادخار الزيارات للشهر القادم، فضلًا عن أن وقت الزيارة خمسة عشر دقيقة، وقد ينقص في حال حدوث تجاوزات من السجينة أو زائريها.

يحتوي الكتيب على الكثير من البنود والقوانين التي يمكنني بها حماية نفسي!

دخلت السجَّانة تصرخ بنا وتأمرنا بالتوجه الى قاعة الأكل علمًا بأن الطعام من طبخ السجينات، والمكونات جميعها من داخل السجن كالخضار والدجاج والماشية!

حتى الكهرباء يتم إنتاجها من غاز الميثان الناتج عن الفضلات.

إنهم يطبقون الاكتفاء الذاتي داخل السجن بشكل مثير للإعجاب!

كان الطعام لليوم عبارة عن قطعت دجاج صـــغيرة بالمرق والقليل من الأرز وإن رغبت بالمزيد علي أن أدفع مبالغًا خيالية.

هذه الكمية كفيلة بإبقائي على قيد الحياة.

بعد الغداء أخذت السجَّانات كل سجينة إلى مكان عملها لكنهم لم يخبروني أين علي أن أذهب.

سألتني إحدى الشرطيات إن كان هذا أول يوم لي، فأجبتها بنعم.

حينها قالت: لتذهبي لتنظيف الحمامات.

حسبت الأمر سهلًا إلى أن رأيت الخمسين مرحاضًا وحمام الاستحمام الكبير. وكسبيل وقائي طلب منا ارتداء أقنعة وجه. وهي فكرة جيدة.

بعد نصف ساعة من العمل ومعي ما يقاب العشرين امرأة، صرخت السجَّانة بإسمي: (سعاد، زيارة).

غبطتني بقية السجينات، إخوتي أنتم رائعون حقًا، في الوقت المناسب تمامًا.

نظفنا الحمامات لنصـف سـاعة، ثم ربع سـاعة وأنا في طريقي لغرفة الزيارة، وربع سـاعة أخرى أثناء الزيارة، ثم ربع ساعة أخرى للعودة، هكذا تكون قد انتهت ساعة وربع من أصل ثلاث ساعات تنظيف.

لقد كان مجد فقط، سألته: أين البقية؟ فقال: كنت في طريقي إلى المعسكر فمررت بك!

سعاد: لدي أربع زيارات فقط وتأتي وحدك!

مجد: ماذا؟ ألا تشعرين بالسعادة؟

سعاد: أشعر برغبة في لكمك!

مجد: هل يسمحون لكم بإرسال الرسائل؟

سعاد: لا، يمكننا الاستلام فقط، هناك استثناءات لا كنها لا تشملني.

مجد: ماذا عن المكالمات؟

سعاد: لا أبدًا، كيف حال البقية؟

مجد: بخير.

سعاد: هل استعاد سعد ذاكرته؟

مجد: نعم، ألم نخبرك بهذا؟

سعاد: بلا، ولكنني نسيت.

مجد: لا بأس.

بعدها، وعندما سرحت قليلاً قال ليخرجني من سرحاني: ملابس السجن لا تليق بك!

سعاد: وكأنني طلبت رأيك.

مجد: حسنًا أعلم أن هذا صعب لكن عليك كسب الأمر لصالحك.

سعاد: ماذا تقصد؟

مجد: هنا يوجد جميع أنواع المجرمين، إن استطعتِ معرفة قصة كل واحدة منهن فستتعرفين على قذارة المجتمع وهذا سيجعلك أقوى عندما تخرجين.

سعاد: هراء، من يريد أن يصاحب مجرمات.

مجد: خذي بعين الاعتبار أنك مجرمة أيضًا في نظر القانون، لمعلوماتك هناك الكثير ممن حبسوا ظلمًا. لا تنظري لي هكذا، يا سعاد إن التجارب خبرة، والخبرة قوة!

سعاد: لكني قاتلة، هل ترى هذه العلامة على كمي، ما إن ترها إحداهن حتى تنفر مني.

مجد: أخبريني، كم امرأة في الزنزانة معك؟

سعاد: ثمانية وعشرين.

مجد: سأترك لك المال، اشتري لهن وجبة، حينها لن يخاف منك أحد، وإن فَعَلت إحداهن فستظهر من تدافع عنك.

سعاد: وربما يبدؤون التنمر علي وطلب المزيد من المال.

مجد: موقفك يحدد ذلك.

سعاد: ماذا إن لم تساعدني إحداهن؟

مجد: تقربي من السجَّانات أيضًا.

سعاد: ستعد رشوة.

مجد: قولي لهن صباح الخير، مساء الخير، ابتسمِ لهن، اعتذرِ عن إزعاجك لهن عندما تطلبين منهن شيئًا. تُجيدين ذلك لا أحتاج تعليمك، هنا إما سيكرهونك وإما يحبونك، لا وجود لشعور رمادي.

سعاد: كيف تعرف كل هذا؟

مجد: حياتي لا تختلف كثيرًا عن السجن، حتى إنَّهم يعاملوننا بقسوة ويستمتعون بإهانتنا.

سعاد: لكن لن يطلب منك أحد تنظيف الحمامات.

مجد: لا تذكري الأمر، لدي ذكريات سيئة عن تنظيف الحمامات، ربما يطلبون منك تنظيف الحمامات، لكن لن يجبروك على الزحف في الطين!

ضحكتُ حينها وقلت: يا للهول.

مجد: تذكري أن تخرجي الرابحة دائمًا من أي موقف توجهينهُ، على الأقل عليك أن تربحي كيف يجب أن تتعاملي مع موقفٍ مشابهٍ في المستقبل.

هززت رأسي كنايةً عن الفهم.

مجد: هنا لن يجبرك أحد على تطوير نفسك في مجال لا تحبينه، استغلِ هذه الفرصة، واخرجي من السجن رابحه.

سعاد بمكر: فهمت.

مجد: سأعلمك الآن بعض حركات الدفاع عن النفس.

ثم بدأ مجد يريني كيف أقوم ببعض الضربات المفيد تعلمها.

ثم عندما انتهى الوقت شجعني وودعني، ثم طلب مني أن أبقى بخير.

قالت السجَّانة لي وهي تأخذني إلى الحمامات شيئًا رفع من معنوياتي كثيرًا!

قالت لي: (كان أخوك على حق في كل شيء، لقد ترك لك المال وكتابين ستتسلمينها لاحقًا).

إن الكتب تأخذ المرء لعالم حر، حتى لو كان مكبلًا بالأصفاد في السجن!

شكرًا لك يا مجد.

أخذتني السجانة إلى الحمامات لأستأنف عملي، كانوا على وشك الانتهاء تقريبًا.

خطر ببالي أن أطبق ما قاله مجد لي. بدأت بابتسامة، شعرت أني مكرهه على فعل ذلك. حسنًا أعلم أن الحياة هنا قاسية، لكن على الأقل لن أحولها لجحيم!

بدأت احداهن ترفع صوتها وهي تتحدث عن الكسل والعنصرية وحظ بعض الناس، أعلم أنها كانت تقصدني. سألتها إن كانت ترغب بترك مهامها لي بابتسامة صفراء وملامح تقول (أرجوك افعلي ذلك لأقتلك).

لكنها أجابت بـ "لا، شكرًا".

لفت ذلك نظر السجَّانات اللاتي كانوا يراقبننا لكنهم لم يتدخلوا.

كانت تلك أكثر الملامح تهديدًا أظهرتها في حياتي، حتى أنا أتعجب من قدرتي على إظهارها.

مجد معه حق، موقفي سيحدد كل شيء.

انتهى التنظيف أخيرًا، سيترتب علي تنظيف الحمامات بشكل دوري مرة كل شهر. كل سجينة تنظف الحمامات مرة كل شهر. هذا عادل ومقرف في ذات الوقت!

عدت للزنزانة بعد ذلك وكانت شبه فارغة، كانت تلك العجوز التي في السرير تحتي فقط، وثلاث غيرنا.

ناديت السجانة.

أخبرتها أن أخي أودع لي مالًا وسألتها عن إمكانية حصولي عليه.

-يمكنك استلامهم من مكتب الخدمة.

قالتها وولت مدبرة.

سحقًا، أريد الخروج من هنا بأي ثمن. المكان لا يطاق.

طوال اليوم كنت أحاول الترويح ومواساة نفسي، لكنني كاذبة. لن أستطيع الصمود في مكان كهذا!

أمسكت قضبان الزنزانة بقوة وأنا أبكي منهارة! لم تحملني ساقي بعدها، رحت أبكي وأنا أعطي ظهري للقضبان. انكمشت على نفسي كطفلٍ صغير رحل أبواه ولم يأخذاه معهما في الرحلة! كنت أحاول ألا يلاحظ بكائي أحد، لكن هيهات حتى انفجر صوت نحيبي.

جاءت تلك السجانة التي أدبرت عني قبل قليل تطلب مني الابتعاد عن القضبان لأن البقية سيدخلون.

لم أتمالك نفسي وصرخت في وجهها (أغربي أيتها الشنقاء)

حينها فتحت الباب بقوة مما أوقعني أرضًا.

دخلت تزمجر، ثم أمسكتني من ياقتي، رفعتني عن الأرض بقبضتها وهي تتمتم مكشره عن أنيابها (سأعرِّفك قَدْرَكِ) ورمتني تجاه القضبان.

حاولت سجَّانات أخرى وبعض السجينات التدخل في محاولة بائسة منهن في إبعادها عني. (حياتك بين يدي يا أنتِ) قالتها وهي توجه ركلاتها إلى بطني، حتى شعرت بأمعائي تتمزق.

خارت قواي من أثر الضرب لدرجة أنني لم أقوى على المقاومة أو فتح عنيني حتى، إلى أن همدت بلا حراك!

تدخلت إحداهن ولا أعلم من هي، قالت (لقد ماتت).

أظنها تقصدني بقولها!

حينها أمرت تلك الشنقاء بأخذي إلى عايدة السجن. وبعدها فقدت وعي تمامًا.

لا أعلم متى استيقظت.

لم أصدر صوتًا أو أتحرك حتى لا ألفت نظر إحداهن.

لربما إن اكتشفوا أنني ما زلت أتنفس سيقتلونني حقًا!

أردت أن أبقى لوحدي قليلًا بعيدًا عنهن، أردت حقًا أن أعود لإخوتي.

لا مكان للدموع هنا؛ لهذا السبب عندما فرت دمعتي على خدي سارعت بمسحها، وعدت لنفس وضعيتي وكأنني لم أستيقظ.

لكنها انتبهت لي.

كان هناك واحدة، لكنها كانت ترتدي رداءً أبيض طويل، رداء طبيب!

بدت ملامحها أكثر هدوء من البقية.

كانت تحتسي قهوتها وهي تراجع شيئًا ما على حاسوبها عندما انتبهت لي.

مدت رأسها من خلف شاشة حاسوبها وقالت (استيقظتِ أخيرًا؟)

تلقائيًا نهضـــت من ســـريري وأمســـكت الكأس الذي كان على الطاولة قربي، بالرغم من أنه بلاستيكي إلا أنني رفعته وكنت سأرميه في أي لحظة، شعرت بأنني سأكون بأمان وهو بيدي!

لكنها قالت بصوت مُطَمْئن: اهدئي، لن أوذيك.

لم أرد عليها وبقيت على وضـــعيتي. لكني أدركت أنها قد تتهمني بمحاولة التعدي عليها أثناء عملها؛ لذلك أنزلت الكأس بحذر لأنه كان ممتلئ وساخن بعض الشيء.

سعاد: أحذرك لا تقتربي مني.

جَلَستْ على كرسيها وقالت: "لا تقلقي، وعلى فكرة لقد حققتِ حلم كل السجينات عندما شتمتِ تلك الشنقاء. صحيح أنها أبرحتك ضربًا، وصحتك الآن ليست بأفضل حال، لكنهم أحالوها للتحقيق ولن تعود قريبًا، وربما لن تعود مطلقًا."

نظرت لي وهي تعلم أنني لا أطمئن لها.

ثم قالت: أنا شرطية طبيبة، لا أنكر أنني أضعف من بقية السجَّانات، يمكنك الإطاحة بي بلكمة واحدة.

ثم أكملت قولها: استرخي، إن بقيتي مشدودة هكذا لن تشفي قبل أسبوع.

لم أرد عليها حتى الآن. كانت تتكلم وتلح علي لأستجيب لها.

قالت لي: لدي خبر سيفرحك، أنت معفية من العمل لأربع أيام، وستبقين في العيادة لمدة يومين.

ابتسـمت لي بطريقة أشـعرتني بالأمان. (العيون لا تكذب) هذا ما كانت تقوله أمل. على الأقل أنا أثق بأمل لكنني لا أثق بهذه الشرطية أمامي.

بدت لي لحوحة مثل هيام، ســألتني إن كنت أشــعر بتوعك، واقتربت لتفحصــني وطلبت مني الاستلقاء.

حينها أدركت أنها وضـعت لي مغذٍ، وكانت تحاول تهدئتي كي لا أخلع الإبرة من ذراعي دون أن أدري.

لا أعلم لماذا، ولكني لم أشعر بها إلَّا الآن!

سألتني وكانت تضع سماعتها الطبية على بطني: هل تشعرين بألم؟

أجبتها بإيماءة من رأسي بنعم.

تنهدت وقالت: تتحسنين بشكل سريع نوعًا ما.

لم أعطها أي رد فعل.

الطبيبة: لقد فاتتك وجبتا طعام.

لكني لم أعطها أي رد فعل.

الطبيبة: لقد احتفظت بوجبة طعام لك سرًا، إن عرف بها أحد فسوف يخصم من راتبي.

سعاد: شكرًا.

وضعت الطعام بين يدي وقالت: هذه الوجبة ثقيلة على معدتك، لذا حضرت لك شيئًا خاصًا.

نهضت وأخرجت رأسها من الباب تنظر يمينًا ويسارًا، ثم اقفلته -الباب-.

سعاد: ماذا تفعلين؟

الطبيبة: لا يجب أن يعلم أحد بما سنفعله هنا، اتفقنا؟

ثم أخرجت كوبًا به حساء من خلف مكتبها وقدمته لي. لكنني امتنعت عنه.

الطبيبة: لا تقلقي لم أضع به شيئًا.

بالتفكير بالأمر لو أرادت فعل ذلك ستحقنني أو تعطيني كبسولة ما وتطلب مني شربها بحجة أنها دواء.

كنت جائعة جدًا، شربته على عجل كالمحرومة!

حسنًا أنا محرومة فعلا!

الطبيبة: بالهناء والشفاء.

سعاد: شكرًا لك.

شيئًا فشيئًا بدأت أطمئن لها.

حاولت اضحاكي بنكت سخيفة أو القيام بحركات مضحكة أمامي. أعلم أنها تريد إزالة التوتر عني لأنه سيزيد من حالة أمعائي سوءًا، لذا ارتحت لها أخيرًا.

اقتربت مني وقالت: أيتها الصـــغيرة الجميلة لا أعلم كيف انتهى بكِ المطاف هنا، ولكنك أنقى من قتل أحدهم.

سعاد: ولكني فعلت ذلك فعلًا، قلتها بيدي هاتين.

لاحظت الطبيبة أنني توترت مرة أخرى.

الطبيبة: لا أنكر أن الفضـــول راودني، لكن لا يحق لي ســـؤالك، بالطبع إن رغبتي بالحديث فسأنصت لك.

سعاد: ليس أمرًا سارًا لأتحدث به.

الطبيبة: هل تعلمين أمرًا، عادةً عندما تتحدث أحداهن عن نفسها تستفتح كلامها بـــ"أنا بريئة" لكنك تعترفين بالأمر.

ســـعاد: لأنه حدث فعًلا، لماذا أنكره وأنا أعلم جيدًا أنني فعلته، إنكاري لخطأي هو إنكاري لنفسي. -قلتها وأنا منفعلة قليلًا أنظر في وجهها- لذا أردفت قولي بالاعتذار.

الطبيبة: لا تشغلي بالك.

سعاد: على أي حال سينتهي الأمر بمجرد أن تنتهي محكوميتي هنا، بعدها سيكون كل شيء على ما يرام.

الطبيبة: ربما بالنسبة لي وللقانون والكون، لكن ليس لك.

سعاد: ما قصدك؟

قالت الطبيبة بتنهد: قصدي، قصدي أنه... حسنًا لنشبه الأمر بقطة صغيرة كانت تلهوا حرة، وفي يومٍ من الأيام احتجزت في مكان ضيق مظلم -قالتها وأشارت إلى رأسي- هل تعلمين ما الذي ستفعله القطة؟

سعاد: ماذا؟

الطبيبة: ستستمر بالمواء إلى أن تخرج.

سعاد: المعنى؟

تمتمت الطبيبة: أنا حقًا سيئة في ضرب الأمثلة.

ثم قالت: أرى في عينيك شعورك بالذنب، سيبقى هذا الشعور داخلك إلى أن تعترفي به، بالطبع هناك العديد من الطرق لتفعلي ذلك إحداها هي مشاركة مشاعرك مع أحد تثقين به.

سعاد: كيف أنت متأكدة هكذا بأنني أشعر بالندم؟

الطبيبة: العيون لا تكذب.

شعرت بالثقة نحوها عندما نطقت جملتها الأخيرة.

الطبيبة: حسنًا بما أنك سترافقينني يومين أرجوا أن نحظى بصحبةٍ طيبة.

ثم جلست على كرسيها وعادت بظهرهِ للخلف، وأنزلت قبعتها على وجهها.

سعاد: تنامين؟

الطبيبة: نعم.

سعاد: لماذا لا تذهبين إلى منزلك؟

الطبيبة: لا أستطيع لأن هناك من يحتاجني هنا.

سعاد: ألا توجد طبيبة غيرك؟

الطبيبة: بلى ولكنها في إجازة.

أتفهم أنها كانت تنتظر اســـتيقاظي، ولا نية لي بإيقاظها. لذا اســـتلقيت على ســـريري بهدوء وأطفأتُ مصباح الغرفة.

الطبيبة: بالمناسبة لم تسأليني عن الوقت. (قالتها وهي بنفس وضعيتها).

سعاد: لا أهتم.

الطبيبة: ماذا؟

سعاد: هنا لا قيمة للوقت، أريد فقط أن تمر مدة سجني سريعًا!

عدلت الطبيبة جلستها وقالت: صغيرتي لماذا أنت متشائمة هكذا؟

استدرت بجسدي نحو الحائط وأنا مستلقية بحيث تكون ورائي.

الطبيبة: هل يمكنك أن تضغطي لي الزر الذي فوقك رجاءً.

فعلت لها ذلك على مضض.

لم أدرك ذلك، ولكن تبين أن هذا الحائط عبارة عن زجاج بالكامل، الضـغط على الزر سـيجعل الزجاج شفافًا.

لا أعلم كيف أصف هذه التقنية ولكنها أذهلتني!

المذهل أكثر هو المنظر الذي خلف هذا الحائط الزجاجي.

الطبيبة: أنتِ في أعلى نقطة في السجن، من هنا يمكنك رؤية ما خلف سور السجن.

هنا أدركت أن الوقت مهم حتى في السجن.

كان المنظر يأسر القلب، يجعله ينبض بالحرية.

أشعة الشمس تشرق على مد البصر، شعرت أنها تشرق في قلبي.

لأول مرة في حياتي كنت أراقب الشمس وهي تشرق لحظة بلحظة.

انفتحت نافذة في الحائط الزجاجي، ودخلت منها أنفاس الصباح.

نعم، أنفاس الصباح تعني الحياة!

على الرغم من ذلك ابتسمت لنور الشمس بيأس، وتمنيت لها يومًا جميلًا كجمالها.

نور!

أنا أفتقدها حقًا.

أفتقد النور والأمل والمجد والسعد.

ضحكت ساخرةً في كينونتي، أسماؤنا فأولتٌ جدًا!

ابتسمت مرةً أخرى، هذه المرة أيضًا ابتسمت بيأس.

بقيت أراقب الشمس إلى أن اكتمل شروقها.

رأيتها وهي تشــرق في كل مكان، المروج الخضــراء، الجبال في الأفق، قطيع الأغنام، حقل الزهور، الطيور، الأشجار...الخ.

أشرقت في كل مكان، حتى قلبي!

إذا كانت الحمامة البيضاء ترمز للسلام، فالشمس ترمز للحرية.

شعرت بالانتعاش.

لكنه انتعاش يائس.

الطبيبة: قهوة؟

سعاد: من فضلك.

أحضرت فنجانين وجلست على سريري تشاهد الشروق معي.

لكني قاطعة انغماسها في هذا المشهد وقلت: أنت لست أضعف شرطية هنا، ربما يمكنك الإطاحة بفيل حتى.

الطبيبة: ماذا؟ كيف عرفت؟

سعاد: من مشيتك، لقد كنتي متأهبةً لأي شيء لكن في نفس الوقت مطمئنة، كما أنك لم تقفلي الباب، والحساء الذي قدمته لي من إعداد المطبخ.

ضحكت الطبيبة ثم قالت: يا لك من فتاة لم تمر أربع وعشرين ساعة على دخولك السجن ولكنك كشفتني.

سعاد: لم تفعلي أي شيء مخالف للقانون ليخصموا من راتبك أو تعاقبي، أنت فقط كنت تمثلين، صحيح؟

الطبيبة: صحيح، الآن أخبريني كيف عرفتي؟

سعاد: دخلت للسجن بتهمة القتل الخطأ، لذا لم تكوني متأكدةً إن كانت جريمتي ناتجة عن طيشي أو إهمالي، بدأتي بمسرحية صغيرة لتجعليني أثق بك، والآن أنت مطمئنة لي، لدرجة أنني أمسك كوبًا زجاجيًا به مشروب ساخن قربك، وأنت تشعرين بالأمان، أتوقع أنك كنتي خائفة مني بالبداية خصوصًا أنني تشاجرت مع تلك الشرطية التي يهابها الجميع.

الطبيبة: كنتِ ضحية لها، لا أنكر صحة كلامك، لكن كيف أنتِ متأكدةٌ أنني لم أقفل الباب؟

سعاد: لن تفعلي، لأنك لا تعلمين متى ستأتي مريضة إلى هنا، وإقفالك الباب قد يجعل إحداهن تفقد حياتها.

الطبيبة: هكذا إذًا.

سعاد: كما أنك تعرفين كل تفاصيل جريمتي، أليس كذلك؟

الطبيبة: بلى.

سعاد: توقعت ذلك عندما تظاهرتي أنك تريدين النوم، كنت تراقبينني من تحت القبعة بريب.

الطبيبة: إذا برأيك هل أنا شخص شرير أم طيب؟

سعاد: لم أقرر بعد، لكن العيون لا تكذب.

الطبيبة: مخيفة.

انتابتني رغبة بالضحك، لا أعلم ما الذي تنوي فعله لكنها تحاول كسب ثقتي لغرض ما، إنها مخيفة أكثر من هيام حتى.

بعدها رن هاتفها، وعندما أجابت انتفضت واتجهت نحو خزانة مليئة بالأدوية.

أعتقد أن هناك مريضة قادمة إلى هنا.

اتجهتُ نحو الباب وفتحتُه على مصراعيه.

الطبيبة: اجلسي، لا تفكري الهرب.

سعاد: أساعد فحسب.

وصلت شرطيتان تحملان امرأة على النقالة.

يبدو أنهم أعلموا الطبيبة مسبقًا بحالتها.

كان وجهها متورمًا جدًا وبالكاد تتنفس.

ابتعدت عنهم كي لا أعرقل عملهم.

أعتقد أنها مصابة بحساسية ما وهي في مرحلة حرجة.

لذا لزمت سريري.

راقبت الطبيبة وهي تحقنها، كما أنها قامة بالإنعاش القلبي لها.

قالت الطبيبة: تُحَوَّل إلى المستشفى حالًا.

ثم طلبت من إحداهن الاتصال بالمستشفى.

هناك سيارة إسعاف داخل سور السجن بالفعل، وهي جاهزة دائمًا.

هذه الغرفة عبارة عن مصعد ضخم، وهو ثابت جدًا وسريع.

خلال ثوان كنًا في الطابق الأرضي، في الكراج تحديدًا.

هذا مذهل.

ذهبت الطبيبة معهم وعندما تأكدت من كل شيء داخل السيارة جعلتهم ينطلقون.

ثم عادت للجلوس خلف مكتبها.

الطبيبة: ما رأيته الآن هو إنقاذ حالة انتحارية.

تقولها هكذا بلا مبالاة.

الطبيبة: سأشرح لك، هذه السجينة تعاني من حساسية من الدقيق، هنا لا نقدم لها المخبوزات أو أطعمة قد تسبب لها الحساسية. لكنها تستمر بسرقة الدقيق من المطبخ أو طعام الأخريات ثم تختلي بنفسها وتأكله.

سعاد: لماذا تفعل ذلك؟

الطبيبة: احترق منزلها ومات أطفالها الثلاث، اتهمها زوجها بافتعال الحريق، وبعد التحقيق عثر على أدلة تثبت ذلك، على الرغم من أن القاضي والمحقق متأكدون من براءتها إلا أن كل الأدلة تشير إليها، ولم يستطيعوا تبرأتها أبدًا. وفي كل مرة ننقذها من الموت تقول لنا أننا حرمناها من الذهاب لأطفالها.

سعاد: ألا يفترض أن يتم تقديم العلاج النفسي لها؟ هذه حالة انتحارية.

الطبيبة: للأسف لا، هنا وعلى الرغم من كل التطور الذي ترينه إلا أن القانون قبل الصحة النفسية، ولا يتم أخذها بعين الاعتبار إلا إذا كانت من الحالات المتقدمة.

سعاد: المسكينة.

الطبيبة: بالمناسبة لاحظت أنك لم تتدخلي بعملنا أثناء إنقاذها على نقيض الكثيرات هنا.

سعاد: لا أعلم كيف أساعدكم، لذا لن أعرقلكم.

الطبيبة: هكذا إذًا.

صعدنا للطابق الثامن مجددًا، وهناك تناولنا الإفطار.

بقيت برفقتها يومين، يمكن اعتبار هذه الغرفة هي واحة السجن. ربما أتظاهر بالمرض مستقبلًا لآتي إلى هنا وأشاهد هذا المنظر كل صباح.

عدت إلى الزنزانة بعد انقضاء اليومين، لكن السجانة طلبت مني جمع أغراضي التي في الخزانة، ثم صحبتني إلى زنزانة أخرى، ستكون تلك هي زنزانتي التي سأعيش فيها.

تغير الزنزانة كان عقابي لأنني تشاجرت مع الشرطية، كان يفترض ان أحصل على الحبس الانفرادي لكنهم اكتفوا بتغير الزنزانة فقط.

سريري في وسط الغرفة، لذا لن أتمتع بتلك الإطلالة.

في الظهيرة كانت تلك ثاني مرة أدخل بها قاعة الطعام. كانت كبيرة تجمع كل السَّجينات. والسجَّانات في كل مكان.

كل طاولة بها عشر كراس.

وقت الطعام عشر دقائق.

فوق كل طاولة وجبة طعام مع الرقم التسلسلي لصاحبته، كما تم ترتيب المقاعد عشوائيًا. إنها طريقة فعالة، بحيث لا يتكرر جلوس إحداهن قرب الأخرى، ويحد من جلوس أفراد العصابات والشركاء معًا.

على مقعدي كان هناك وعاء الحساء الخاص بي. إنه توصية من الطبيبة.

لقد مللت الحساء الذي يقدمونه هنا بالفعل، لكنه أفضل من الموت جوعًا.

جلست أمامي امرأة بدت أربعينية.

سألتني: هل أعجبك الطعام؟

سعاد: أجل.

المرأة: أنا من صنعه.

سعاد: إنه لذيذ، أشكرك.

قلتها بصدق، كان لذيذًا حقًا.

المرأة: يسعدني أنه أعجبك.

ثم سكتت قليلًا وتابعت قولها: إنها أول وجبت طعام لك معنا؟

سعاد: الثانية.

المرأة: أدعى لمى، اعتدت الطهو لعائلتي سابقًا.

ومدت يدها تصافحني، فصافحتها.

سعاد: اسمي سعاد.

بدت طيبة جدًا.

المرأة: أنت بعمر ابنتي تقريبًا، لماذا أنت هنا؟

سعاد: لا رغبة لي بالتحدث عن الأمر.

المرأة: بالتأكيد لا أجبرك.

سعاد: هل لي أن أسألك عن أمر؟

السيدة لمى: طبعًا تفضلي.

سعاد: أخبرني إخوتي أنهم تركوا لي مالًا وأشياء أخرى، كيف أحصل عليها؟

السيدة لمى: بعد قليل عندما نخرج إلى حرم السجن قابليني، سأنتظرك عند البوابة مباشرة.

وبالفعل عندما خرجنا إلى حرم السجن وجدتها تنتظرني كما أخبرتني.

ثم أخبرتني عن طريقة الحصول على أشيائي، وكيف أشتري الأشياء هنا.

السيدة لمى: أطلبي من الشرطية في المكتب أن تحصلي على بطاقتك الخاصة، يمكنك الدفع بها، لا يعطونك المال نقدًا هنا.

سعاد: ماذا إذا لم أحصل على المال من إخوتي في الخارج؟

السيدة لمى: عندما أعمل في المطبخ أحصل على نقاط، كل نقطه تساوي نصف عملة، لكنها تفيد على أي حال؛ بالمناسبة ماذا تعملين؟

سعاد: لم يتم إسناد أي مهمة لي بعد.

السيدة لمى: حسنًا ربما لأنك كنتي في غرفة التمريض.

سعاد: كيف عرفتي؟

السيدة لمى: لا أحد هنا لا يعرف بقصة السجينة الصغيرة التي أحالت شرطية إلى التحقيق وأنقذت الجميع منها ثم باتت في العيادة يومين.

سعاد: لن أعمل لأربع أيام.

السيدة لمى: أغبطك.

سعاد: لكنني سأتناول الحساء ثلاث مرات كل يوم طيلة الأربع أيام، تبقى يوم على أية حال.

بعدها ذهبت كما أخبرتني السيدة لمى واستلمت الكتابين الذي تركهما لي مجد، وحصلت على البطاقة.

أخبرتني الشرطية أنني لن أحصل على كتب مرة أخرى إذا استخدمتهم في ايذاء أحد.

لا أعلم كيف يمكن استعمال الكتب لإيذاء أحد لكن أعتقد أن الحاجة هي وسيلة الاختراع!

في يوم لاحق زارني بقية إخوتي.

أخبرتهم أنني أحصل على أربع زيارات في الشهر فقط.

إذا أنهوها في بداية الشهر لن أراهم حتى الشهر التالي.

توسلت لهم أن يزوروني بحكمة، وجميعهم معًا.

رأيت أمل على كرسيها لأول مرة.

كانت قوية!

قالت لي: "حياتي بائسة لكنني لن أحولها لجحيم."

نحن متشابهتان إلى حدٍ ما.

أنا حبسة في السجن وهي حبيسة في كرسيها.

لم أرد إخبارهم بسبب ذهابي مع السيدة هيام، أخبرتهم فقط أنني أردت مساعدتهم بجني المال وهذه كذبه، ذهبت لإحراجها.

في وقت العمل في يومي الخامس نادت الشرطية على أسماء السجينات حسب الأعمال.

وعندما انتهت سألتها عن العمل الذي أقوم به، قالت إن اسمي لم يرد، وقالت إنها ستراجع الأمر، وذهبت بعدها.

عادت لا حقًا وطلبت مني اللحاق بها. أخذتني إلى العيادة. وبعد إلقاء التحية أخبرتني الطبيبة أنني سأعمل ممرضة معها.

سعاد: أعترض.

الطبيبة: لماذا؟

سعاد: هذه مسؤولية كبيرة وأنا عديمة الخبرة، أعفيني رجاءً.

الطبيبة: هل تعلمين عدد الطبيبات والممرضات من السجينات هنا؟ لكن لا أستطيع الوثوق بهن.

سعاد: أعترض.

الطبيبة: أنا سأعلمك، في نهاية المطاف المرضى مسؤوليتي أيضًا، أقسمت بذلك فيما مضى.

حينها وافقت، فكَّرت أنني ربما أستطيع رؤية الشروق من هنا كل يوم.

وهكذا انتهى المطاف بي في العيادة، وقد أخبرت إخوتي بهذا.

في الزيارة التالية لهم.

حضر سعد وأمل فقط.

سعاد: أين البقية؟

سعد: نور سافرت ومجد في المعسكر.

سعاد: إلى أين؟

سعد: سافرت في عمل.

قاطعته أمل وقالت: دعكم من هذا الآن، لدينا أخبار عظيمة.

سعاد: ماذا؟

أمل: قضيتك يشتبه بأنها جريمة قتل.

كانت تتكلم بتفاؤل!

سعاد: رائع سيحكم الآن علي بالإعدام.

قال سعد بسخرية: الآنسة هيام قتلت المرأة العجوز، أنت كنتي سلاح الجريمة فقط.

اعتلت الصدمة وجهي.

أمل: الآن أريد سؤالك، هل كانت المرأة العجوز تمسك بطوق الكلب؟

سعاد: نعم.

صرخت أمل: ماذا؟ يفترض أنه لا.

سعاد: لكنها كانت تضع وسادة سوداء مخملية بدل الكلب، أظن أنها فعلت ذلك بسبب إصابتها بالخرف.

حينها ضرب سعد كفه بقبضته وصاح (نعم).

أمل: انتظري خبرَ خروجك على أحرَّ من الجمر.

سعاد: لا أفهم، ما الذي فتح القضية مرةً أخرى.

سعد: إنه زوج السيدة هيام، عاد من خارج البلاد حديثًا.

أمل: تفاجأ بخبر موت أمه، وعيَّن محققًا خاصًـــا، لاحظ أن الكلب الذي دربه لحراســـة أمه لا يقترب من زوجته وفي كثير من الأحيان يحاول إيذاءها.

ســـعد: لقد كان مقود الكلب مقيد بعضـــد المرأة العجوز لكنكم أزلتموه قبل نقلها في ســـيارة الإسعاف، صحيح؟

سعاد: نعم.

أمل: هذه المعلومة ستثبت براءتك.

سعاد: كيف ذلك؟ لم أفهم.

حينها صرخت السجَّانة (انتهى الوقت).

بئسًا.

لكن على كل حال هذه أخبار جيدة.

سعاد: سيدتي هل أن أسألك سؤالًا مزعجًا قليلًا.

الشرطية: ما الأمر؟

سعاد: إذا كنت بحاجة للتواصل مع المحامي، هل يمكن أن أحصل على عدد زيارات أكثر.

الشرطية: نعم طبعًا، لكن هذا يتوقف على سلوكك ورضى السجَّانات عنك.

سعاد: أشكرك.

الشرطية: على ماذا؟

سعاد: الرد على سؤالي.

تلك الشنقاء أصابتني بعقدة التواصل مع الشرطيات، لكن لا يبدوا أنهم بسوئها.

فيما بعد وصلتني رسائلٌ من مجد، قال إنه سيحصل على إجازة من التدريب، وسيأتي لزيارتي مع إخوتي حينها.

أمضيت سبعة عشر يومًا في السجن، ولقد بدأت أتعايش مع الوضع قليلًا.

28/أغسطس

الخريف قادم. المرج الأخضر الذي كنت أتأمله مال لونه للصفرة الآن.

حكم على السيدة هيام بالسجن لمدة خمس سنوات. أما أنا فقد قررت المحكمة تقصير حكمي من سنتين إلى ثلاث أشهر لإهمالي.

الحبكة كالتالي:

كان زوج السيدة هيام في ضائقة مالية هددته بخسارة شركته وأملاكه. قرر بيع بعض ممتلكاته الخاصة ومنها المنزل لينقذ نفسه، لكن زوجته كان لها رأي آخر. والدته كانت ثرية جدًا، لكنها وللأسف أصيبت بالخرف؛ لذا اشترى لها ابنها كلب حراسة مدرب حتى يحميها.

كان الكلبي ذكيًا.

أحيانًا كان يعيدها للمنزل إذا ضاعت، يهاجم اللصوص الذين أرادو استغلال مرضها ليسرقوها عندما تكون في السوق وأمور غيرها.

عندما ضاق الحال بابنها صارت تتخيل أي شخص غريب يدخل إلى المنزل لصًا يحاول سرقة أموال ابنها، وتبدأ بالاعتداء عليه، كما فعلت معي تمامًا.

لذا فإن السيدة هيام تعرف سلوك الكلب والسيدة العجوز حق المعرفة. لأن الكلب كان يسحبها حتى لا تؤذي الضيوف. لكن عندما زرت السيدة هيام، كانت قد ربطت الكلب في الحديقة مخالفةً بذلك تعليمات زوجها الذي طلب ألا يفك أحدهم قيد الكلب عن أمه، ووضعت بدل الكلب وسادة سوداء مخملية كبيرة بحجم الكلب، ولأن السيدة العجوز كان بصرها ضعيفًا لم تميز ذلك. كانت السيدة العجوز تحب الكلب جدًا، وإذا لم يكن مربوطًا بها تبحث عنه.

كان سلوك الكلب وشهادتي دليل على فعلتها.

أما الأمر الآخر فهو موقع الطاولة التي اصطدم رأس السيدة العجوز بها.

هناك طاولتان في الغرفة، واحدة للضيافة وهي قصيرة، وطاولة طعام كبيرة. عندما زرتها كانت طاولت الطعام الكبيرة أمام الأريكة، وهي الطاولة التي وضعت عليه كوب العصير الذي قدمته لي. مع أنه من المفترض أن تكون الطاولة القصيرة هي التي أمام الأريكة. المثير للعجب أنها بررت فعلتها بأنها أرادت أن يحصل زوجها على الإرث من أمه لينقذ شركته. وأنها اعتمدت على الحظ في تنفيذ الجريمة، إن ماتت العجوز يحصلون على الإرث، وإن لم تمت فلن تعاود الكرة.

كما أنها استهدفتني وعرفت الكثير عني، أهم أمر هو أنها حسبت أنه لا يوجد من يسندني في ظهري واستخفت بإخوتي، فتاة في مثل حالتي لن تجد من يدافع عنها على الأرجح.

ولكن الزوج هو من كشف كل تلك الأدلة. وانتهى أمر تلك المرأة بالطلاق والسجن بعد أن وجه زوجها أصابع الاتهام لها. كما تبين أن الطفل لم يكن ابنها، بل ابنه من زوجته الأولى.

من هي زوجته الأولى؟

إنها الشرطية الطبيبة!

الشرطية هي من أخبرتني بأنها الزوجة الأولى بعد أن هنأتني على ربح القضية. وعادت لعائلتها أيضًا!

مجد سينتهي من معسكره في نهاية أكتوبر. ذلك الطائش سريع الغضب والانفعال، كان دخوله للمعسكر قرارًا صائبًا. عادت نور من سفرها بعد غيابها لشهر. استطاع سعد أن يكون مساعد محام، هنا شهادة من مهنيّ بأنك شخص قادر على ممارسة نفس مهنته تعادل شهادة جامعيه. بالطبع ليس كل المهن، لكن المحاماة احداها.

سيخضع سعد لاختبار في المحاماة عمَّا قريب. على الرغم من أن شخصيته ضعيفة جدًا، وسيء في الجدال، لكن يبدوا أنه تغير كثيرًا، وأنا فخورة به حقًا.

أما أمل فقد أخبرتني أنها استطاعت صناعة جهاز اتصال لا يعتمد على الأقمار الصناعية.

كانت فخورة بنفسها كثيرًا.

أما أنا فقد كنت أنتظر الإفراج عني بفارغ الصبر!

كنت أفكر بكل هذا وأنا في العيادة، كانت الطبيبة تجلس خلف مكتبها.

دخلت إحداهن وكانت ترتعش، تشعر بصداع وغثيان شديدين، طلبت من الطبيبة اعطاءها دواءً يخفف من ألم رأسها.

وصفة لها الطبيبة دواء وطلبت منها شربه أمامها. لكنها رفضت وقالت إنها بحاجة لنوع آخر وذكرت اسمه. إلا أن الطبيبة رفضت إعطائها إياه.

الطبيبة: هذا أو ترحلين بدون شيء؟

فوضعته السجينة في فمها وخرجت.

ثم طلبت مني الطبيبة أن أناديها ففعلت.

أمسكت الطبيبة بضوء كشاف. ثم طلبت منها فتح فمها ورفع لسانها ففعلت المريضة ذلك. وعندما فتشتها وجدت أنها تخفي كبسولة الدواء تحت ياقة قميصها.

الطبيبة: لن تحصلي على أدوية مسكنة بعد الآن، انصرفي.

تعجبت من هذا الموقف كثيرًا. لاحظت الطبيبة تعجبي وسألتني إن كنت أرغب بسماع تحليل للموقف فوافقت.

الطبيبة: ماهي التهمة التي على كم هذه السجينة؟

سعاد: لم أرها، لقد كانت تغطيها.

الطبيبة: تعاطي المخدرات.

سعاد: ماذا؟ ما علاقة تهمتها بالأمر.

الطبيبة: ماهي الأعراض التي لاحظتها؟

سعاد: الصداع، التعرق، الرعشة، عدم التركيز.

الطبيبة: جيد أنك لاحظت كل هذا، نسميها الأعراض الإنسحابية[1]، تحدث هذه الأعراض عند التوقف عن تعاطي المخدرات، والدواء الذي ذَكَرَتهُ متوفر لدي وهي تعلم هذا، وتناول جرعات كبيرة منه ومن الدواء الذي وصفته لها يعطي نفس الشعور بالنشوة الناتجة عن تعاطي المخدرات.[2]

لهذا السبب أخفت الكبسولة تحت لسانها ولم تبلعها، وعندما خرجت وضعتها تحت ياقة قميصها، على الأغلب كانت ستعود لأخذ حبة أخرى غدًا إلى أن تحصل على كمية مناسبة وتتجرعها مره واحدة.

انصدمت من الأمر.

ثم سألتني الطبيبة إن كنت لاحظت أحداهن تجمع الأدوية في الزنزانة.

1-أعراض جسدية ونفسية ناتجة عن التوقف عن مادة معتادة، مثل: القلق، الأرق، الصداع، الغثيان، التعرق، تقلبات المزاج، وقد تختلف الأعراض وشدتها حسب نوع المادة ومدة التعاطي.

2-كبعض أنواع الأدوية التي تؤخذ عن طريق جرعات كبيرة، بهدف الشـــعور بالنشـــوة أو الهروب من الواقع أو حتى زيادة تأثير المخدرات، وهذا غير قانوني وله آثاره الســـلبية على صـــحة الفرد الجســـدية والعقلية والنفسية، وربما تكون جرعة زائدة سبب للوفاة!

وعدتها بأني ســأحاول التقصـــي حول الأمر. وبالفعل لاحظت أن إحداهن كان تخبئ مجموعة من الحبوب، تضعها بقطعة قماش ثم تحفظها في التجويف الذي في قدم السرير.

لاحظت ذلك عندما رأيتها ترفع السرير بعد خروج الجميع من الزنزانة، ترفع السرير ثم تضع القماشة في التجويف الذي في قدم السرير ثم تتركه.

لكنها لم تأتي للعيادة قبلًا!

أعلمت الطبيبة فقالت: ربما دفعت عدة مريضات لفعل ذلك؟

لم يتكرر حضـور إحداهن كثيرًا، وهذا ما دفعنا لهذا الاسـتنتاج. وعندما دخلت مريضـة تتطلب حالتها أحد هذه الأنواع من الأدوية، وصـــفت لها الطبيبة دواءً من النوع الذي تجمعه تلك السـجينة لأن حالتها تسـتدعي ذلك. ثم طلبت من إحدى الشـرطيات أن تراقبها لأنها شـكت بها، فتبين أن شـكنا في محله. في نفس اليوم قاموا بتفتيش للزنزانات وصـــادروا الكبســـولات. كما قاموا بوضـــع الســـجينة التي تجمع الكبســـولات في الســـجن الانفرادي. وكحماية لي لأنه من المرجح أن تسبب لي المشاكل لأنني من أبلغ عنها، نقلوني إلى زنزانة أخرى!

ولحسن حظي كان سريري في الطابق العلوي قرب النافذة تمامًا. أما في السرير السفلي فكانت هناك امرأة أربعينيه، شعرت أنها مألوفة نوعًا ما. سمعت بعض النميمة من السجينات بأنها لا تكلم أحدًا ولا تقترب من أحد. وأنهم يشكون بأنها مصابة بمرض ما في دماغها. سمعت منهن أيضًا أنه حكم عليها بالمؤبد. نظرت لكم يدها لأعلم ماهي تهمتها، كانت جريمة اقتصادية!

رتبت كتبي في درجي الخاص، وبينما كن أفعل كانت هي تقف عند درجها. ســـريرها قرب سريري لذا درجها قرب درجي.

لفت نظرها عنوان أحد الكتب، فسألتني عنه.

كانت تلك المرة الأولى التي تنظر لوجهي فيها.

ثم شهقت وقالت: سعاد!

ابتسمت لها وأجبتها بالإثبات.

لكنها اقتربت مني وقالت: كبرت يا صغيرتي وأصبحتِ شابة جميلة.

سعاد: أستمحيك عذرًا، هل تعرفينني؟

بدا صوتها مألوفًا لكن لم أتذكر أين رأيتها.

سعاد: عفوًا، هل تقابلنا من قبل؟

المرأة: صـــغيرتي كنتي تلهين في باحة المنزل مع إخوتك، وترفضـــين ربط شـــعرك الطويل والمجعد، على الرغم من أنه كان يغطي وجهك الصغير.

سعاد: أنت ماريا؟

شعرت أن جزءًا من سعادتي المفقودة عاد إلي.

عانقتني بشده وهي تبكي وتحمد الله على سلامتي.

سألتني عن إخوتي.

أخبرتها أنهم سيغبطونني لو علموا أنني التقيت بك هنا.

سعاد: بالمناسبة قالت نور أنك تركت لها الرسالة وغادرتي لتعيشي في قريتك.

ماريا: كانت كذبة.

سعاد: لماذا أنت هنا؟

همست لي: "صغيرتي مختار يكون زوجي بالأصل!

انفصلت عنه قبل ولادتي للطفل، وبعد الولادة أخذ الطفل ولم يسمح لي بمعرفة إن كان طفل أو طفلة حتى! كان يسيء معاملتي لذا لم يحبه أبي وأجبره على الانفصال عني. بعدها عشت مع أبي إلى أن وافته المنية، ذهبت بعدها إلى مختار أطلب منه لقاء مولودي الذي يفترض أنه بعمر الرابعة وقتها قبل عودتي للقرية، لكنه رفض، لكنني اكتشفت صدفةً أنه من قتل عائلتكم، واكتشفت الكثير من الجرائم التي تطوق عنقه. ومن حماقتي هددته بها، لكن قبلها جمعت نسخًا عن الأدلة وحفظتها في بريد بتقنية مجدولة، كان قد قرر أن يقتلني وعندما أخبرته بأمر البريد اكتفى بإلباسي جميع جرائمه، ورماني بسلطته خلف القضبان. لأنني أخبرته أن البريد سينتشر فور موتي، وستصبح حياته بين يدي الرأي العام وسمعتهِ القذرة، هذا إن استطاع الإفلات من القانون.

صحيح أن القانون فوق الجميع، لكن مختار فوق القانون."

ماريا: وأنتِ يا صغيرتي لماذا أنت هنا؟

حكيت لها ما حدث وجرى.

إن أكثر ما يخيفني هو صـغر الكون، أنا وماريا في نفس الزنزانة. والزوجة الأولى للشـخص الذي قتلت أمه هنا، أعلم أنها صدفة، لكنها تبدوا مدبرة كيف ما نظرت لها.

ماريا: هل تعرفين المعلمة مَي؟

سعاد: نعم.

ماريا: ماذا عن سيدة تدعى نيرمين؟

سعاد: سمعت نور تتحدث عنهم مرة وتشك بأن لهم علاقة عداوة مع مختار.

ماريا: أنهن أخواتي!

نهضـت من عظمة الخبر الذي سـمعته منها. لكنها هدأتني وطلبت مني الجلوس قبل أن تلاحظ إحداهن.

ماريا: نحن أخوات من الأم، وهن يكبرنني بعشر سنين، ومختار لا يعلم ذلك.

سـعاد: إذن أنت من طلب من المعلمة مي أن تجمعنا في ميتمها بعد أن فرقنا مختار في مياتم عدة.

فأجابت بالإثبات.

وفي أول زيارة لأخوتي أخبرتهم بذلك. ولكن بلغة الإشارة كي لا تفهم السجانات حديثنا. خاف سعد من أن يكون مختار خلف دخولي للسجن. لكن إن صح هذا الافتراض فهذا يعني أننا في خطر، خاصةً مجد ونور لأنهم يختلطون به كثيرًا.

لكن نور طمأنتنا بأنه لا يعلم، كانت قد تنصـتت على حديثه مع مسـاعده عدت مرات وهي متأكدة من ذلك.

تحدثنا عن هذه القضية فقط بلغة الإشارة خوفًا من أن يكون لدى مختار جواسيس هنا.

بعدها تحدث سعد قائلًا: ستكون أول قضية لي بعد أسبوع من الآن، ستكون بمثابة اختبار.

سعاد: هذا رائع، أنت تتقدم سريعًا، بالتوفيق!

نور: مجد أيضًا سينتهي معسكرة قريبًا.

حينها قالت أمل ساخرة: سنقيم له حفلة، لكننا لن نلتقط لكي الصور.

ضحكتُ وقلت: أنت تتعمدين فعل ذلك.

نور: كم مرَّ على دخولك السجن؟

سعاد: شهرين.

نور: أمم لن تتمكني من الاحتفال معنا.

سعد: وللأسف يمنع إدخال الكعك والحلوى إلى السجن لأسباب أمنية.

سعاد: ماذا أصابكم جميعًا؟ لماذا بدأتم تشمتون بي؟

كانوا يضحكون وأنا كالأطرش بالزفة، متأكدة أنهم يخفون أمرًا.

عددت إلى ثلاثة، لكنهم لم يتوقفوا عن الضحك. لذا نهضت وخرجت من غرفة الزيارات مع أنه تبقى دقيقه ونصف.

خرجت مع وجه (موتوا من الغيظ!) وقد فعلوا!

25\سبتمبر

كنت قد عدت من العيادة توًا.

نادت علي شرطية بأن الحافلة تنتظرني لأخذي إلى المحاكمة.

سألتها عن أي محاكمة تتحدث، لكنها قالت انها لا تعلم.

في المقاعد الخلفية للحافلة كان هناك سجينتين وشرطية، جلست في أحد المقاعد الأمامية. عصرت مخي تمامًا، هل ارتكبت جريمة جديدة وأنا في السجن، هل اشتكى عني أحد؟ هل هناك ما جد في قضيتي؟

وضعت الاحتمالات على طول الطريق لكني لم أجد شيئًا منطقيًا.

كنت خائفة!

جرتني الشرطية إلى قاعة المحكمة.

(صدقيني لم أفعل شيئًا، اتركيني).

مهما حاولت لم تكن تستمع لي.

وضعتني في زنزانة المتهم، نفس تلك الزنزانة التي كنت فيها في كل محاكماتي. كان هناك سيدة تجلس في طرفي، وقربها وقف محامٍ غير الذي تولى قضيتي سابقًا. وفي الجانب الآخر كان زوج السيدة هيام مع محاميه. ما بال هذه القضية لماذا لا تنتهي؟

ومن هذه التي تجلس إلى طرفي؟

وقبل دخول القاضي التفتت السيدة والمحام لأرى وجهيهما. (كيف حالك) قالها بصوت واحد.

إنهما نور وسعد!

همست لهما: ما الذي يجري!

صرخت بي الشرطية أن أسكت. كانت نور تجلس شامخة، عكس ما كانت في كل محاكماتي بصفتها ولية أمري. لكن سعد غير من شكله كثيرًا، لقد خلع نظارته وسرح شعره ولبس بذلةً رسمية.

دخل القاضي، دليل من هنا ودليل من هناك. ثم... (من يشهد على حسن سلوك المتهمة سعاد؟) سأل القاضي.

رُفعت ثلاث أيدي. الطبيبة الشرطية، السيدة لمى، والمريضة التي ألقي القبض عليها قبل تسليمها كبسولة الدواء للسجينة التي كانت تجمعهم.

(أولا: تخرج المتهمة من السجن بكفالة ولية أمرها السيدة نور. ثانيًا: يمنح السيد (سعد) تصريح ممارسة مهنة -المحاماة- وذلك بشاهدة من المحام(إبراهيم) وقبول من القضاة) ثم طرقة المطرقة إعلانًا لقرار القاضي وانتهاء الجلسة.

تعالت الأصوات.

ثم فكت الشرطية يدي على عجل مني.

كنت سعيدة لدرجة أنني رغبت بالطيران.

عانقت إخوتي بحرارة.

ثم سجدت سجود شكرٍ لله، وكذلك فعل سعد.

سالت دموع الفرحة، إنه النصر! إنها الحرية!

جاءت الطبيبة تبارك ومعها السجينتين، شكرتهما من كل قلبي.

سعاد: أنقذتم حياتي شكرًا لكم.

الطبيبة: أنت من زج بطليقة زوجي في السجن جمعتني مع عائلتي مرة أخرى.

السـيدة لمى: لقد صـرفتي عنا تلك الشـرطية، كانت كالجحيم على حياتنا، أشـكرك نيابة عن الجميع.

المريضة: لقد أنقذت حياتي، هددتني مهربة المخدرات تلك بعائلتي، لكنك أنقذتهم، أشكرك.

سعاد: أنا لم أفعل ذلك عمدًا.

قال طليق السيدة هيام وزوج الطبيبة حاليًا: بالتفكير بالأمر فقد خلصتني من تلك الوحشة هيام وجمعتني بعائلتي، مع أنني لم أتقبل بعد فكرت موت أمي، لكنها كانت لتسامحك لو كانت حية.

سعاد: سيدي أنت بالذات أنا مدينة لك بحياتي.

الطبيبة الشـرطية: لا تقولي ذلك، تلقيت عقوبتك بالسـجن فعلًا، حياتك ملكك أنت، لسـت مدينةً بها لأحد.

كانت تقولها وتربت على كتفي.

(احمم) قال سعد ورائي.

سعاد: أنتَ الأروع بينهم، والأفخم والأوسم والأذكى والأقوى وكل الأشياء الجيدة والجميلة!

ثم أمسكت يديه وضغطتهم بقبضة يديّ بقوه، وقلت (شكرًا لك).

سعد: آه، على كلن أهلًا بك في الحرية. (قالها وهو ينفض يده).

سعاد: أنا فخورةٌ بك.

سعد: مشاعرنا متبادلة يا آنسة.

إن هذا أسعد يوم في حياتي!

ثم أعلنت أمل بصوت عالٍ (وقت الاحتفال بالنصر).

سعاد: وبالطبع سنرسل الصور لإغاظة مجد.

سعد: شريرة.

انطلقنا تقودنا نور (بسيارتها الخاصة التي اشترتها) ونحن لا نعلم إلى أين. حتى أننا كنا بكامل زينتنا تلبية لأوامرها. أوقفت السيارة أمام منزل -فارهٌ- إن صح التعبير.

شكلت النباتات نفقًا ينتهي إلى باب المنزل.

رنت نور الجرس، فسمعنا صوت امرأة عجوز من خلف الباب تسأل عن الزائر.

نور: أنا نور.

ففتحت لها العجوز الباب ورحبت بها أشد ما ترحاب.

نور: أعرفك بإخوتي، هذه "أمل"، "سـعد" وقد حصـل على شـهادة المحاماة توًا، وهذه عصفورتنا التي حررناها توًا أيضًا "سعاد".

كنا نلتفت لبعضنا بجهل.

نور: حسنًا هذه السيدة "سيرين" وللأسف فقد فقدت عائلتها على يد مختار أيضًا. كنت أحدثها عنكم دائمًا، لنقل أننا حلفاء!

سيرين: أبنائي الصغار سررت برؤيتكم جميعًا، جهزت بعض الطعام لكم لأحتفل معكم.

شكرناها لحسن استقبالها. ثم أرشدتنا لغرفة الضيافة. كانت كريمةً جدًا معنا.

حكت لنا فيما بعد قصـت زوجها وابنها، قالت إنها تمتلك دليلًا دامغًا يوقع بمختار. وأثناء حديثها قاطعها سعد ليقول: ولكنك تدخرين الدليل المناسب للوقت المناسب.

فأكدت كلامه.

سعاد: أرجوكم دعوا هذه القضية جانبًا قليلًا، خرجت لتوي من حاوية القضايا!

أمل: العالم يتقدم باسـتمرار، لذا عندما تتوقفين سـتتأخرين، كما أن هناك تطور جديد في القضية، ألا تودين معرفتها؟

سعاد: ماهي؟

حينها نهضت نور وجلبت لوحًا كبيرًا من غرفة ما.

تفاجأ سعد وأمل.

قالا:(ما الذي يفعله اللوح هنا؟)

نور: نقلته، كان لابد من اطلاع السيدة سيرين عليه قبل إحضاركم.

سعاد: أهذه هي المفاجأة.

سعد: لا، عرفنا من تكون طفلة السيدة ماريا.

سعاد: ماذا؟

أمل: إنها سارا (أشارت نور إلى صورتها على اللوح) تخرجت من دار إيواء وهي تعتقد أنها يتيمة الأبوين، تبلغ من العمر ثلاث وعشرون سنه، تعمل في نفس مقهى نور، وبهذا نكون قد عرفنا لماذا يتردد مختار على المقهى الذي تعمل به نور كثيرًا.

سعاد: رائع، لكن كيف عرفتم ذلك.

سعد: ما هو أكثر مكان آمن؟

سعاد: لم أفهم.

سعد: معسكر تدريب الحراس الشخصيين الذين سيكونون في المستقبل حراسًا لمختار.

سعاد: تعني مجد من عثر على هذا الدليل.

سعد: للتصحيح "الأدلة" وليس الدليل، يحتفظ مختار بساعة رولكس حمراء كانت بالأصل لوالد نور، وهي ما قادنا لبقية الأدلة، وهذا لأنه يحب الاحتفاظ بكل الأدلة بأشياء تذكرة بجرائمه التي يعدها إنجازًا، ومع هذا يدمر النسخ التي مع غيره.

سعاد: يشابه ما قالته لي ماريا.

حينها أعطاني الجميع انتباهه طالبًا مني شرحًا.

سعاد: ليس بالأمر الجلل، قالت فقط أنها حصلت على الكثير من الأدلة دفعة واحده.

سعد: كان مختار يتردد على المعسكر بشكل دوري كل أسبوع تقريبًا. ينزل في دهليز تحت الأرض لوحده، في أحد المرات طُلِبَ من مجد حراسة مدخل البهو كاختبار تدريب، شك مجد بالأمر أكثر وبعدها عثر على خزنة تحت الأرض، عاينا كثيرًا كي نفتحها دون أن يلحظ أحد أو تطلق الخزنة إنذارًا بذلك.

أمل: كانت تلك الخزنة تحديدًا تحت مخزن الأسلحة.

نور: لم يستطع مجد إخبارنا حتى الأمس، لأن كل الرسائل تفتش قبل أن ترسل.

وبينما كنا نتكلم رن جرس الباب، نهضت لأفتح الباب وإذا به مجد.

صرخت باسمه: مجد!

لكنه أغلق فمي بكفه ووضع سبَّابته على فمه يطلب مني السكوت.

ثم دخل وأغلق الباب خلفه.

مجد: كيف حالك؟

حتى مجد تغير كثيرًا، ازدادت بنيته العضــلية بشــكل ملحوظ، ومع ذلك يســير على أطراف أصـابعه دون إصـدار أي صـوت، وهو هادئ بشـكل مفاجئ. اقترب بحذر وضـرب كتفي سـعد فجأة.

مجد: أصبحت محامٍ أخيرًا.

سعد: ما الذي جاء بك.

مجد: يفترض أن تكون سعيدًا.

(ما رائحة التبغ هذه؟) سأل سعد.

مجد: لقد كان سائق الشاحنة يدخن طوال الطريق.

قال سعد بريب: هكذا إذًا.

ثم تابع: كيف حضرت إلى هنا؟

مجد: هناك عملية نقل معدات أخرى لذا طلب الســائق من الحضــور معه، فانتهزت الفرصــة وأتيت، لكن علي العودة خلا ساعتين.

نور: كيف سمح لك؟

مجد: اشتريت له علبة تبغ.

أمل: لقد بعثنا لمجد برسالة كي يحضر إلى هنا سابقًا، لكننا أخفينا الأمر عنك يا سعد لتتفاجأ.

مجد: بالمناسبة سيدتي، نسيت أن أعرفك بنفسي.

السيدة سيرين: أنت مجد.

مجد: نعم، أعتذر إن كانت رائحة التبغ تزعجك.

لكنها أشارت بيدها بأن لا مشكلة لديها.

كان يومًا حافلًا بالفرح.

عرفت فيما بعد أن مجد أعلمهم بأمر الخزنة في الإجازة التي منحوها له منذ فترة، وقتها أعطته أمل شريحة كانت قد طورتها، وطلبت منه وضعها في أي جهاز متصل بالخزنة. وقد فعل.

نظام الأمان للخزنة متطور جدًا ويعتمد على بصـــمات حيوية وكلمات مرور، وقد اســـتغرق الأمر من أمل وقتًا وجهدًا طويلًا كي تضـيف بصـمة العين الخاصـة بمجد للنظام، مع الإبقاء على بصمة مختار، عَرفت كلمة السر بصعوبة.

لكنها عرفتها.

كانت بصـمة لأصـابع سـارا يرتديها على قفاز، وبعد أن علمت أن اسـتطاعت اختراق النظام بكلمة مرور (12 1 10 1) عرفت فيما بعد أنها تمثل (ســارا) س-12 أ-1 ر-10 وبذلك كون مختار كلمة السر.

على الرغم من ســهولتها لكن لن يتصــور أحد أنه يســتخدم البصــمات الحيوية لابنته التي لا تعرف أنه أبوها بالأصل! لذا لن يصل أحد لهذه الخزنة المليئة بالأموال والأسلحة وطبعًا كلمة السر التي تأخذنا للأدلة كانت تاريخ ميلاد سارا!

صـنعت أمل جهزًا يسـتقبل ويرسـل البينات بدون أقمار صـناعية. كانت خائفة من أن يكتشـف أحدهم أمر حيازة مجد للجهاز، ولحسن الحظ لم يكتشف أحد أمر الجهاز أو الشريحة.

تواصل إخوتي سلفًا مع العديد من عائلات الضحايا، وأقنعوهم بصعوبة أن يسلموا ما لديهم من أدله وأن يشهدوا ضد مختار. لكنهم لم يتفاجؤوا عندما أقسمت عائلات الضحايا أنهم لا يمتلكون أي أدله، وأنهم لا يملكون ما يشهدون عليه حتى!

سعد: باستثناء هذا الشاب هنا (علق صورته على اللوح) يدعى "زيد"، خمس وعشرون سنه، عالم أعصاب مغترب، طبعًا تغرَّب بعد أن خاف على نفسه من مختار، الذي أنهى حياة عائلته المكونة من خمس أفراد.

نور: متى حدث هذا؟

سعد: تغرب في العام التاسع، تواصلت معه وأقنعته بالعودة إلى هنا لأننا نتشارك نفس الهدف، وهو الانتقام.

تكلم سعد عن أحداث القضية، بينما استأذن مجد ليعود إلى سائق الشاحنة، لكنه وعدنا بالمبيت في المنزل، لأنه لن ينطلق مع السائق حتى مساء الغد.

بعد الكثير من التحليل والتخطيط، لاحظنا أن الوقت تأخر؛ لذا استأذنا السيدة سيرين بالذهاب.

دخلت المنزل، شـــعرت أخيرًا بأمان كامل. إخوتي حولي، ســـريري، الطعام الذي أرغب به، حمامي الدافئ، الشجرة الكبيرة.

هذه هي الحياة!

أصبت بالأرق ليلًا لذا خرجت من غرفتي. حينها قابلت نور التي كانت تجلس في الصالة.

نور: هل أنت بخير؟

سعاد: لم أستطع النوم.

قلتها ثم اتكأت على كتفها.

نور: يراودني الفضول تجاه السجينات والشرطية اللاتي شكرنك بعد المحاكمة، ألن تخبرينا؟

حينها سمعنا صوت صرير الباب.

كان مجد.

مجد: ما الذي تفعلونه، لماذا لم تناما حتى الآن؟

خرجت أمل من الغرفة على كرســيها المتحرك وقالت: كانت ســتحكي لنور عن حياتها وهي بعيدة عنا.

مجد: هكذا إذًا.

ثم جلس على يميني، فكنت بينه وبين نور، وأمل كانت في مواجهتي.

ســـعاد: الطبيبة هي الزوجة الأولى، أما الســـيدة هيام فهي الثانية لكن الطبيبة انفصـــلت عن زوجها، وابنها الوحيد عاش مع والده وعندما تزوج من هيام بدأت هيام بتربيته، لذا المصـــيبة التي حلت بي كانت بالنسبة لها طوق النجاة الذي أعاد لم شملها بعائلتها مره أخرى.

كنت أتكلم وأنا أفرك يدي، لا أريد تذكر تلك الأيام التي قضـته افي السـجن، لكن إن لم أخرجها فسأضل حبيستها.

أمل: إنه الجانب المشرق من قصتك.

سعاد: لقد كانت الطبيبة لطيفة معي.

عندما تذكرتها ارتحت وانفك عني الخوف قليلًا.

سعاد: حتى أنها جعلتني ممرضـة عندها وقد علمتني الكثير، إن عيادتها في السجن كالواحة في الصحراء.

نور: ماذا عن تلك التي هددها أحدهم بعائلتها.

تسلل الخوف لي ثانية عند تذكر تلك القصة: جاءت للعيادة تطلب نوعًا معينًا من الأدوية بحجة أنها مريضة، لكن قبلها كنت قد اكتشفت أن هناك سجينة تجمع الأدوية، أخبرت الطبيبة فشكت بأن تلك السجينة من ترسل المريضات ليحضروا لها الأدوية، خصوصًا أن تهمتها مرتبطة بالمخدرات. طلبت الطبيبة من شرطية مراقبة تلك المريضة فاكتشفت أنها لم تبلع كبسولة الدواء، وكانت متجهة لتعطيها لتلك السجينة. قالت لي في المحكمة أن تلك السجينة هددتها بعائلتها لتفعل لها ذلك، لكن الشرطة تدخلت لتحل الموضوع.

مجد: ماذا عن الأخيرة؟

لم أستطع الرد مباشرة، تساقطت الدموع من عيني لا إراديًا: في أول يوم لي تشاجرت معي إحدى السجّانات، وضربتني على بطني بشدة حتى فقدت الوعي، شكت إحداهن أنني مت، حينها فقط توقفت عن ضربي، لكنني كنت فاقدة للوعي فقط! تشاجرت معي لأنني نعتها بالشنقاء دون قصد عندما أهانتني لأنني كنت أبكي. كنت أبكي لأنني شعرت بالخوف والوحدة.

عاد لي ألم البطن الذي شعرت به عندما ضربتني، وانهمرت دموعي الحبيسة إلى أن أجهشت بالبكاء.[1]

سمعت بعدها صوت ضربٍ على الباب. كان سعد يستمع لي من غرفته دون ان ألحظ وقد ضرب قبضته بالباب.

عانقتني نور بقوة...

كنت أبكي وأقول: كنت بحاجتكم قربي، لا يمكنني العيش بدونكم.

سعد: كل هذا بسببي، لقد كنت ضعيفًا جدًا.

سعاد: أرجوك لا تلم نفسك، لم يكن بمقدورك فعل شيء، أنت لم تتخلى عني حتى أخرجتني من ذلك الجحيم!

كان مجد يشد قبضته على الأريكة بغضب حتى احمر وجهه وبرزة عروقه.

مجد: لن أسمح أن يتكرر هذا لك أبدًا، لا أنتِ ولا أي واحدٍ منكم، أعترف أنا ضعيف جدًا، لم أستطع فعل شيء، أنا آسف.

كان يلوم نفسه، هو وسعد.

لكن أمل أمسكت يدي ونظرت في عيني بحنانها المعتاد وقالت: سعاد، أنت بطلة!

أمسكت نور كتفي بقوة: أنت بطلتنا يا سعاد.

أمل: مهما حدث إخوتك قربك سنحميك حتى لو اضطررنا لفقدان حياتنا.

سعاد: إياكم، إن مات أحدكم فسأموت معه! أنتم أيضًا تخفون عني مشاكلكم، أنا أيضًا يحق لي مساعدتكم، يحق لي أن أحميكم.

هنا فقط أشعر بالأمان، هؤلاء من أعطيهم كل ثقتي.

1-يحدث فعلًا.

نور: لا تقلقي، لا أحد مضطر أن يفقد حياته.

قلتها بعينين تكابر الدموع بغموض، كالعادة!

كفكفت ومسحتُ دموعي ووقفت فوق الكرسي، أريد أن أغير هذه الأجواء.

صرختُ: حسنًا، انتباه جميعًا، لدي ما أعلنه.

حينها رفعوا نظرهم نحوي.

سعاد: أنا.. أنا.. أنا أحبكم.

أوشكت دموعهم أن تنفجر حينها.

قال سعد: أنت ملاكنا البطل.

حينها قلت في كينونتي: آه، سعد بالذات لا يمكنني التخلي عنك.

جميعنا إخوة لكنك توءمي!

خلف الأضواء:

حوار بين الكلب والراعي:

يصرخ الراعي بكلبه، ويقول: كان ذلك منذ أكثر عقد ونصف من الزمن، كيف لم تستطيعوا اكتشاف تقنية البريد حتى الآن؟

الكلب: تتبعنا كل المواقع والأجهزة التي كانت قديمًا، لكننا لم نجد شيئًا، ولم ننجح باستدراجها بالكلام.

صاحب الكلب: عليك حل المشكلة قبل أن تجد الخراف هذه التقنية.

الكلب، سأحاول سيدي.

أمل

"العيون لا تكذب"

31/ أكتوبر

أسمع صوت مفاصلي تطأطئ، لقد كنت على حاسوبي لخمس ساعات متواصلة!

انتهيت من برمجة جهازي الجديد على كل حال.

ناديت على سعاد.

سعاد: ماذا؟

أمل: انتهيت من الجهاز!

حينها نادت على نور وسعد بصوتها العالي وطلبت منهما الإسراع.

كنا في غرفتنا، نور في المطبخ وسعد في غرفته.

سمعنا صوت ارتطام قوي ثم -آه-!

ذهبت سعاد لترى ما الخطب، لكنها انفجرت ضحكًا وهي تخاطب سعد: لا أصدق أنك سقطت من السرير!

سعد: فزعت بسبب صراخك!

قالها وهو يتألم.

أمل: أنظروا، -أمسكت يد سعاد- نضعه على المعصم هكذا ثم نشغله، بعدها ستظهر كل المعلومات في الشاشة عندي.

وانفتحت نافذة في حاسوبي بالبيانات التي ينقلها الجهاز.

سعد: ما هي تلك المعلومات؟

أمل: نبضات القلب، درجة الحرارة، كما أنه ينقل الصوت.

أردت اختبار الصوت؛ لذا طلبت من سعاد الذهاب لغرفة سعد والتحدث من هناك، ففعلت.

سعاد: هل تسمعون، هل هو جيد.

سعد: توقفي عن الصراخ أسمعك من خلال الحائط وليس من الجهاز!

سعاد: ماذا عن الآن؟

سعد: لست بحاجة للهمس أيضًا.

أمل: أنظروا، هنا اسم الجهاز الذي تحمله سعاد، وهنا نبض القلب، وهنا درجة الحرارة وهنا موقعها وهو يظهر منزلنا.

سعد: ماذا تعني 2.5 متر هذه هنا؟

سعاد: لا أرى شيئًا.

أمل: إنه يظهر في الشاشة عندي، تعالي نجح اختبار الصوت على أية حال، لقد سمعناك وسمعتنا.

سعد: المهم ماذا يعني؟

أمل: ارتفاعها عن الأرض وهذا لأننا في الطابق الأول وليس الأرضي، وهنا درجة حرارة الغرفة.

أبدت ملامح نور إعجابًا.

سعاد: ما هذه الأشياء الحمراء هنا؟

أمل: إنهم نحن بآلة تصوير الحراري.

سعد: لهذا السبب طلبت مني شراء أصغر آلة تصوير حراري بالسوق.

أمل: نعم، ولقد طورت خمسة أجهزة كهذا، ارتدوها دائمًا.

سعد: أليس الهاتف أفضل في التواصل، ثم أنني أحتاج بعض الخصوصية!

أمل: أولًا يمكن التنصت على المكالمات الهاتفية بكل سهوله، أما هذا الجهاز هنا فهو آمن من هذه الناحية فهو يستعمل شبكته الخاصة ولا يمكن اختراقها، ثانيًا يمكنك إغلاق لاقط الصوت وآلة التصوير الحرارية من هنا (وأريته الطريقة) لكن المعلومات الحيوية ستظهر عندي دائمًا، وبصراحه إنها أكثر شيء مهم.

سعد: جيد، ولكن ألن تنقطع الإشارة كأجهزة الشبكة اللاسلكية؟

أمل: يمكنها تغطيت مساحة بحجم مدينتنا.

سعاد: سأرتديه دائمًا، حتى في أثناء غسيل الصحون.

نور: ألن يتعطل بالماء؟

أمل: لا تقلقي إنه ضد الماء.

سعد: من أين يأتي بالطاقة.

أمل: من الاحتكاك والحرارة التي تصدر من الجسم.

سعاد: ما هذه النقاط الحمراء قرب بعضها؟

أمل: إنها بقية الأجهزة، انظري...

ثم بدأت بتحريك الأجهزة يمينًا ويسارًا لتتحرك النقاط الحمراء وفقًا لموقع الجهاز.

سعد: إنه يستحق تحويل الشرفة إلى ورشة.

أمل: أشعر بالإطراء.

سعاد: أرأيت؟ لقد فقدت ساقك، لكن الله أعطاك دماغًا رائعًا، وأعطاني أختًا تمتلك دماغًا رائعًا، أنا ممتنة حقًا.

أمل: وأنا أيضًا ممتنة لأن لي أختًا سخيفة مثلك!

سعاد: نعم، حمدًا لله أنني سخيفة.

صحيح أنني من فقد ساقيه، وقد بدأت أتعايش مع الأمر فعلًا، لكن سعاد لم تتقبل الأمر بعد، ودائمًا تنتهز الفرصة لتريني ميزات الجلوس في الكرسي، أو نِعم أخرى أكون غافلة عنها أحيانًا!

ثم إنَّني لا أعلم كيف تستطيع هذه الفتاة تحويل كل المواقف إلى مواقف ودية عفويه، وفي كل مرة أتفاجأ من فعلها، مع أنني أعرف طبعها!

استغرقت في صناعة هذا الجهاز وقتًا طويلًا، وسعد ونور كانا يوفران لي كل شيء، أما سعاد فكانت دائمًا تجلس وتبدأ بسؤالي عن كل شيء تراه، وقد ألهمتني مرةً عندما قالت: (أتمنى لو

أنك تستطيعين صنع جهاز يجعلني أرى ماذا خلف الجدران.) لا أعلم لماذا أرادت ذلك ولكن بعد قولها وجدت أن آلة التصوير الحرارية تؤدي نفس الغرض تقريبًا، لنفترض أن لصًا دخل المنزل بحكم أن مستوى الأمان في منزلنا ليس بالعالي، لذا سنحدد موقعه بسرعة وسهوله!

بالتأكيد هناك ما يسمى بالخصوصية، وأنا بالتأكيد أحترمها، لذا فإن باستطاعتهم دائمًا إطفاء الكاميرا واللَّاقط الصوتي، لكن إن كان الموقف طارئًا فسأضطر إلى تشغيلهم من جهازي.

غدًا بتاريخ (1\نوفمبر) عند الخامسة عصرًا يجب علينا الذهاب إلى المعسكر لاصطحاب مجد من هناك.

سعاد: لما لا نشتري له بعض الورود؟

سعد: سيفرح بالطعام أكثر، صدقوني أتحدث عن خبرة.

سعاد: ورود وطعام إذًا.

سعد: الورود لا تأكل.

سعاد: ما خطبك؟ سأهديه الورود، أنا أصر!

لم ينفكا عن الشجار طوال اليوم.

في اليوم التالي حملنا الورود، وركبنا السيارة، وبالطبع نور هي من يقود لأنها الوحيدة التي تستطيع القيادة.

مجد أيضًا يستطيع لأنه تعلم ذلك في المعسكر، وهو ماهرٌ جدًا على حد قوله، لدرجة أنه يستطيع أداء حركات بهلوانية كما يقول، لكن نور تسميها (بوابة العبور إلى الموت!)

لكنه رد عليها في رسالته في الأسبوع التالي قائلًا: "إما أنه سيكون تهورًا غبيًا وبوابة عبور إلى الموت، أو سبيلًا لإنقاذ الأرواح في حالة المسعفين، أو القبض على المجرمين في مثل حالة الشرطة، أو لحماية العملاء في مثل حالتي!"

وصلنا إلى المعسكر، أخذ الحارس يسألنا عن هويتنا فأخبرناه أننا هنا لاصطحاب مجد.

كان المكان مخيفًا قليلًا، جميع من مرو أمامنا يحملون بنادق على أكتافهم، ويسيرون بطريقة آلية!

وصل مجد عندنا، نزل على سلمٍ حديدي لولبي، لكنه لم يكن يحمل بندقية.

كان مجد يرتدي زيًا عسكريًا داكنا بعض الشيء، ويعتمر قبعة سوداء صغيرة.

ركض نحونا وقال بحماس وعلى عجل: كيف حالكم؟

حينها قدمت له سعاد الورد.

مجد: أشكرك جدًا.

كانت هي الوحيدة التي نزلت من السيارة بعد أن رأت مجد.

لكنه أدخلها وأغلق الباب.

ثم جلس في المقعد الأمامي، وأشار لنور بالتحرك.

شعرنا بالريبة من تصرفه.

لكنه فور خروجنا من المعسكر قال لنا -بلغة الإشارة- التالي: أشك أنهم وضعوا جهاز تنصت في ملابسي.

سعد: هل يشكون بأن هناك من اخترق الخزنة.

قلت له بلغة الإشارة: أليس صمتنا سيثير الريبة؟

فأجاب مجد بنفس الطريقة: بلى.

لذا أخذنا نتحدث بموضوعات عادية كتمويه رغم قلقنا.

لاحقًا في المنزل بدل مجد ملابسه، لكن ذلك لم ينف شكه.

فكرنا لو أنهم أرادوا حقًا اكتشاف من الذي اخترق الخزنة لن يضعوا جهاز التنصت في البدلة، لأنه ببساطة يمكن التخلص منه فور تبديل الملابس.

همس لي سعد: هل تملكين طريقة لكشف مكان الجهاز؟

أمل: بلى، ولكن قد ترسل إشارة بأنه تعرض لكاشف أو ما شابه.

نهضت سعاد ومررت جهاز المعصم الذي صنعته لها حول مجد، وعندما نظرنا إلى لشاشة كان هناك جسيم أحمر صغير يصدر حرارةً ضئيلة. كان ها مفاجأً من سعاد، إنه التفكير خارج الصندوق بعينه!

وجدنا الجهاز، كان بين شعره! لهذا كان اكتشافه صعبًا قليلًا لأن الرأس تصدر عنه حرارة أكثر من باقي الجسم؛ لذا طلبنا منه غسل شعره، لأن استحمام المرء أمر وارد الحدوث وتعطل الجهاز نتيجة تبلله أمر متوقع. لكن الجسيم الأحمر الصغير لم يختف من الشاشة!

حرت كيف أزيله.

أمل: سأحلق لك شعرك.

مجد: لا أرجوك.

أمل: إنه الحل الوحيد.

مجد: سأتظاهر بالذهاب إلى الحلاق، ثم تنزعون الجهاز من رأسي، وترمونه في سلة القمامة، بعد أن تشغلوا ماكينة الحلاقة قرب رأسي، من أجل التمويه.

بالتأكيد كان حديثنا بلغة الإشارة وقتها، وبالفعل نفذنا الخطة.

سعد: الآن بعد أن زال الخطر، اشرح لنا الوضع.

مجد: في البداية انتشرت إشاعات بوجود كنز تحت المعسكر، وأن من احتفظ به هنا قرر ذلك لأن المعسكر بطبيعة الحال مكان آمن بحكم أنه مليء بالحرس. وصباح اليوم مررت من خلال الجهاز الذي يكشف المعادن والأجهزة، وهو موجود عند البوابة ومروري به كان شيئًا روتينيًا لأي شخص يريد دخول المبنى، حينها أَطلق الجهاز إنذارًا، فاعتذر حارس البوابة من أن في الجهاز عطلًا.

راودني الشك عندما مررت من خلال الجهاز وانطلق الإنذار، حسبت أن شريحة أمل أُكْتُشِفت، لكن عند مروري للمرة الثانية لم يصدر الجهاز أي إنذار.

سعد: ألا يعقل أنه معطلٌ حقًا؟

مجد: تعطل مثل هذا الجهاز لدقيقة واحدة كفيل بإقامة حرب وموت الملايين!

أمل: لكنك خاطرت بمرورك عبر الجهاز أكثر من مرة تبعًا ربما كان سيكتشف أحدهم أمر الشريحة، كان سَيُقْضَى علينا تماما.

مجد: لهذا السبب كنت متأكدًا من أنني أحمل جهازًا غير الشريحة، لقد مررت بها عبر الجهاز مرات لا تُحْصَى ولم يحدث شيء.

سعاد: لكن أليس مخيفًا أن يضعوه في رأسك، أعني هل يعقل أنهم اكتشفوا أمرك؟

مجد: زرع الجهاز من قبل أحد المتدربين، حينها ضرب رأس الجميع تبعًا، لست الوحيد.

سعاد: كيف يجرؤ على ضرب رؤوسكم؟

مجد: تقريبًا إنه أمر عادي جدًا وروتيني، يقوم أحدهم بضربك على رأسك بكف يده كتحية الصباح.

سعد: عجبًا! المهم الآن حمدًا لله على سلامتنا.

كان الوقت حينها متأخرًا قليلًا، لست مطمئنةً للأيام القادمة، وككل ليلة زارني رفيقي المعتاد "الأرق"!

لم أنم بعمق منذ وقت طويل. أحيانًا أسرح بخيالي إلى الحياة التي لم نعشها، الحياة التي فيها والدي، أحيانًا كنت أبكي فتشعر نور بذلك، لكنها لا تفعل شيئًا.

هي الأخرى تركب أرجوحة الأرق كل ليلة. وتبقى تتأرجح إلى أن تتأكد من نومي.

قبل مدة، عندما سافرت نور لشهر كانت قد تركت وصية عثرتُ عليها صدفة وأنا أبحث بين أوراقٍ في غرفتها. كانت داخل ظرف أسود لم أرَ مثله قبلًا!

كتب عليها تاريخ، وإذا مر التاريخ وكان مكان نور غير معلوم حينها يفتح الظرف من قبل واحد منا نحن الأربع!

لم أتحمل وقتها، فتحت الظرف فوجدت به وصيتها!

لم أتمكن من إكمال القراءة، لذا لم أعرف التفاصيل كاملة، وأخفيت الأمر عن الجميع طبعًا. مع أن سعد لاحظ ارتباكي يومها، لكنه لم يصر على معرفة الأمر، ربما لأنه وقتها كان مشغولًا بمتابعة المحام "إبراهيم" ووقتها أراد أن يحصل على الشهادة بأسرع وقت.

وعندما أسأله عن عجله يقول: لا يسعني انتظار لحظة وضعي حدًا لمختار!

كان يقولها بعينين تنظران للأفق، عينين تنضحان بالثقة!

فيما مضى كان سعد ضعيف الشخصية جدًا منذ الصغر، لكن ليس منذ الولادة طبعًا!

أتساءل كيف سيكون مستقبلنا، أخبرتني أمي مرةً أن لا إنسان مرتاح، وأن الحياة بالأصل دار شقاء، والآخرة هي خاتمة القصة التي صنعناها في الدنيا، والنهاية إما شقيٌّ وإما سعيد!

هذا حالي كل يوم، أسبح في بحرٍ عميقٍ من الأفكار إلى أن تخور قوى عقلي تمامًا!

في الصباح وتحديدًا بعد الإفطار. نهض مجد من الطاولة بعد أن أنهى طعامه، وتوجه للشرفة. أخرج من جيبه علبة سجائر... أخرج السيجارة... وضعها بفمه... أشعلها بقداحته ثم نفث دخانها!

كنا مصدومين من فعله. اتجهت سعاد نحوه ونهرته، لكنه طلب منها الابتعاد عنه إلى أن ينتهي.

لكن لم تتحمل نور ذلك، نهضت من مكانها، واتجهت نحوه بكل غضب؛ فتراجعت سعاد بخوف بعد رؤيتها لوجه نور!

نادت مجد، وعندما التفت نحوها صفعته على وجهه بقوة أشاحت بوجهه للجهة الأخرى.

أطلق سعد صافرة بسخرية كدلالة على أن الأمر بات جديًا، وعلينا أن نتدخل!

صرخت نور بمجد وهو على نفس حاله قائلة" أيها الحقير!"

ثار الآخر وطحن سيجارته تحت قدمه، وهو يطلب منها التراجع عن قولها. لكنها كانت مصرة!

لو تشاجر هاذان الاثنان، أضمن أن لا شيء سيبقى سليمًا، وقد يكون هنالك ضحايا وخسائر! جميعنا نعرف ذلك!

كلمة منه وكلمة منها.

تدخل سعد وسعاد ليفضوا الشجار، لم تفلح كلماتهم لذا طوق سعد مجد بذراعيه، وكذلك فعلت سعاد مع نور.

سحبت سعاد نور إلى الغرفة بينما كان سعد يثبت مجد بمكانه. وبعد أن دخلت سعاد الغرفة، وأقفلت على نفسها مع نور، أفلت -سعد- مجد، ولكنه حاول اللحاق بهما فدفعه يجلسه على الكرسي، لكنه نهض، فكرر سعد فعلته.

مجد: أتركني، ألم تسمع ما قالته!

قال سعد مهددًا وهو يشير إليه بسبابته: لا تتحرك، كلاكما مخطئ، سأذهب للتحدث معها، وإياك أن تبرح مكانك!

لكنه نهض بعد أن دخل سعد الغرفة التي بها نور وسعاد، وراح يضرب الطاولة بقبضته، وتارة أخرى يمشي ويتمتم بموجهه المحتقن! كان غاضبًا جدًا.

سألني بانفعال: أليست هي المخطئة؟ هي من بدأ الشجار!

أمل: كلاكما مخطئ، ما الذي تتوقعه منها بعد أن رأتك تدخن؟ ها؟

مجد: إن كانت تريد أن تغضب مني فلتفعل، لكن ليس إلى هذه الدرجة، ألم تبالغ كثيرًا!

صرخت به: ما الذي تتوقع من شخص كان على وشك الموت؟ لمعلوماتك لقد تعافت بصعوبة شديدة، وتحملت الألم وحدها، وكتمت الأمر عنا، ثم تريد منها أن تسكت، وهي تراك تقتل نفسك؟ أجب!

مجد: ماذا تقولين؟

أمل: أصيبت بسرطان الدم، كانت تتعالج طوال الوقت، كانت تبحث عن صحتها، بينما رأتك بأمِّ عينيها تدخن أمامها، كـالأحـمـق وأنت تتخلى عن حياتك بكل بساطة!

كنت أتحدث بغضب وانفعال شديدين.

اعتلت الصدمة ملامح وجه مجد.

كان ينظر إلي وكأنه طفل صغير أدرك لتوه أنه أضاع أمه ولا يعرف السبيل إليها.

أشحت بنظري عنه، لم أتحمل رؤية وجهه أنا الأخرى!

رأيت حينها كلًا من نور وسعد وسعاد يقفون خلفي كأنهم لا يفقهون مما قلت حرفًا.

إلا نور، سألتني كاليائسة: كيف عرفتِ؟

ثم صرخت: من سمح لك بالبوح بذلك!

ثم حدقت بعيني بغضب وهمت بالخروج من المنزل.

لكن مجد لحق بها.

نور: أتركني.

امسكها بقوة.

كانت نور تجهش بالبكاء، وهي تكرر قول" أتركني" إلى أن خارت قواها من شدة بكائها.
مجد: آسف، أنا آسف.

قالها بهدوء.

نور: أفلتني.

مجد: اهدئي.

تدخلت سعاد وأجلستها على الأريكة، لكن نور استمرت بتغطية وجهها والبكاء.

مجد: أعدك، لن يتكرر ذلك!

وعندما هدأت سألَته نور: منذ متى؟

كانت نور مصرة على موقفها مع أننا كنا نريد أن نعرف حقيقة أمرها. حكى لها مجد بعد أن تأكد أنها هدأت تمامًا.

مجد: عندما أرسلتم إليَّ رسالة بشأن دخول سعاد للسجن وإصابة أمل، كان سائق الشاحنة يدخن طوال الطريق، لاحظ السائق أنني كنت مهمومًا، سألني عن المشكلة لكنني لم أجبه، فما كان منه إلا أن قدم لي سيجارة مشتعلة، وقال لي (خذ يا صاح، احرق تلك الهموم). امتنعت عن الأمر في البداية، ولكن خلال عودتي معه، وبعد رؤيتي لحالكم، مددت يدي خلسة لأتناول وحداة، وضعت السيجارة بفمي، وأخذت أبحث عن القداحة، لكنه مد يده وأشعلها بنفسه وقال (نعم، فلتذهب الهموم إلى الجحيم).

نظرنا إليه جميعًا باستخفاف، لا يمكنه فعل ذلك بنفسه حتى لو كان تحت تأثير الصدمة!

مجد: كنت ضعيفًا جدًا لدرجة أنني لم أستطع التحكم بغضبي الذي دفعني لفعل ذلك، أنا آسف حقًا.

سعد: لم أتوقع ذلك صراحةً لكنك في الحقيقة كنت أضعفنا جميعًا، يا للسخرية! حتى من نور التي بقيت فاقدة للوعي لما يا قارب الشهر وهي بعيدة عنا، حتى وهي بتلك الحالة كانت أقوى منك.

كان يقول كلامه وهو يشد مجد من ياقة قميصه، بينما كان الأخير مستسلمًا تمامًا.

لكن كلامه شد انتباه نور التي سألته بدورها: كيف عرفت أنت أيضًا؟

أبعد مجد عنه، وعاد لمكانه كالمكره: لم أطمئن لكونك ستسافرين دون أن تتواصلي معنا، تركت مبلغًا ضخمًا من النقود أيضًا، لذا وبكل بساطة ذهبت إلى المقهى لأسأل عن مكان الفرع الآخر في المقاطعة التي قصدتها، لكنهم أنكروا وجود ذلك الفرع أصلًا!

لم يهدأ لي بالٌ حتى عثرت عليك بأحد المستشفيات ممددة بلا حراك، تحيط بك الأجهزة من كل مكان، كنت على وشك الانهيار وقتها إلى أن أعلمني الطبيب بحالتك، لكني أقولها بصراحة، لن أسامحك على فعلتك، كذبت علينا في المقام الأول، ولم تثقي بنا!

إن كانت سعاد ستدخل سأخرجها، إن كانت أمل ستلازم كرسيها فسأدفعها به إلى حيث تريد طوال حياتي، إن انتصر الشيطان على مجد فسأعيده إلى رشده، إن كنتِ ستمرضين فسوف أدعوا لك، وسأدعمك إلى أن تنتصري على مرضك، احتفاظكم بالمصيبة لنفسكم ليس بطولة، أتفهمون؟

قال كلمته الأخيرة بصوت عالٍ!

سكت الجميع بعدها...

كان صمتًا لا نريد له أن ينتهي، جميعنا كنا نشعر بالذنب!

أكره الاعتراف بذلك، ولكن جميعنا كنا خائفين من إظهار ضـــعفنا لبعض! كنا خائفين أن نثبط عزيمة بعض...

عن نفسي، ظننت أنه إن انهار أحدنا فسنسقط واحدًا تلو الآخر، لكن ربما نحن أقوى مما نعتقد، خَاصَّتَا إذا كنا ندعم بعضنا.

سـعد: لسـت أفضـل حالًا منكم، لقد كنت أحمق فيما مضـى، عندما كنت في دار الإيواء كنت أؤذي نفســي باســتمرار. وعندما خرجت وَخَاصَّــتَا بعد معرفة حقيقة موت والدي كانت فكرة الانتحار تشـغل بالي طوال الوقت، لكنكم أنقذتموني من ذلك مراتٍ عديدة دون أن تشـعروا! لم تغادرني الفكرة إلا عندما لاحظ السيد إبراهيم أفكاري ذلك خلال عملي معه، وقتها دفعني بقوة وثبت رأسي على مكتبه، ثم أخرج مسدسه، ووضعه على شريان رقبتي- قالها سعد وهو يرفع رأسه كاشفًا عنقه وموجهًا أصابعه نحو عنقه كما لو كان يستحضر الموقف في ذهنه - قال لي حينها: إن كنت تريد الموت فسـوف أقتلك ولا مشـكلة عندي في ذلك، سـأدفنك ولن يعلم أحد طريقًا إلى جثتك. لا أعلم لماذا أنت على قيد الحياة حتى الآن؟ أنت لا تسـتحق ثقة إخوتك؟ هل تسـمع؟ أجبني؟) كان يصـرخ بقوة، للحظة تذكرت كل المواقف التي حدثت معنا، للحظة كنت ممتنًا لكم جدًا، تزامنت تلك اللحظة مع سماعي صوت طلقة المسدس، أدركت وقتئذ أنني أريد مواصـــلة العيش من أجلكم! أطلق الســـيد إبراهيم النار قرب عنقي تمامًا حتى إنَّه ترك جرحًا ناريًا على عنقي - قالها سعد وهو يرفع رأسه، وهو يتحسس الندب الذي كان أسفل فكه- (لقد منحتك فرصة أخرى لتقدر حياتك، وَخَاصَّتَا محبة إخوتك لك!). كنت أحمق حينها، أنتم بالفعل كل شيء بالنسبة إلي، كنت أحمق عندما لم أثق بكم، وكابرت على نفسي، مثلكم تمامًا."

ثم نظر نحو نور وكأنه يقول: الآن أخبرينا بكل شـيء، فَتَكَلَّمْت موجهةً كلامها لمجد بدايةً: هل تذكر عندما كنا نتدرب في دار الإيواء وأطحت بي؟

هز رأسه بنعم.

في ذلك الوقت كان المرض بداياته، اكتشفت أمره عندما فقدت وعيي فجأة ونقلت للمستشفى، وبدأت أتلقى العلاج، قال الطبيب أن أيامي معدودة، إلا أن يشـــاء الله! لهذا الســـبب خططت لإخراجكم من دار الإيواء لأنني أردت قضاء بعض الوقت معكم، وأيضًا كي أضمن أن مختار

لن يصل لكم بسهولة. ازداد وضعي سوءًا، فعُرِضَ علي المشاركة في تجربة علاج كان لا يزال تحت التطوير مقابل مبلغ ضخم، لم أوافق بدايةً لكن عندما لم ينفع معي العلاج الأول وكنت على وشك الموت، فكرت بأنني سأموت على كل حال لذا علي أن أموت بشجاعة... احتمال نجاح العلاج كان تسعين بالمئة، وإن نجح فسأقضي على الخلايا السرطانية تمامًا، لكن العشرة المتبقية تعني فشله والموت! وعلى الحالتين فكرت أنني أيضًا سأترك لكم المال.

مجد: ما هي آلية العلاج؟

نور: سأكون تحت التخدير الكامل داخل جهاز يعمل على تجديد الخلايا وضبط عملية الانقسام لمدة تتراوح بين أسبوعين إلى شهر تقريبًا.[1]

لم تقل كل شيء، أعلم ذلك، عينها تقولان إنَّ هناك شيئًا آخر، لذا أعطيتها إشارةً بأن تكمل، وقد فعلت على مضض.

تنهدت وقالت وهي تفرك أصابعها: عندما اتخذت قراري بتلقي العلاج كنت على وشك إخباركم، لكن الحادث الذي أصاب سعاد وأمل قيدني، أجلت العلاج حتى اطمأننت على حالكم، ومع ذلك لم أستطع إخباركم، لذا قررت أن أغادر في صمت، خلال استعدادي للعلاج وبينما كان الأطباء يجرون الفحوص اللّازمة وخلال التخدير كان جل تفكيري هو أنني قد أموت قبل أن ينتهي الثأر الذي وعدتكم فيه، شعرت بالخزي لأنني كنت أنانية، وفضلت نفسي في أصعب مراحل حياتكم التي عشتموها، أنا... أنا آسفه.

أنهت، كلامها... تبللت كامل ملابسها بدموعها، لم تبك نور أمامنا يومًا، لكنها غبيه، نحن إخوة، الأُخُوَّة علاقة لا يمكن التخلص منها، لسنا بحاجة إلى ميثاق أو عقد أو بيان لنحب بعضنا، حبنا سيجعلنا نساعد بعضنا، نحمي بعضنا، ولا نحتاج إقرار ينص على وجوب مشاركة بعضنا أحزاننا وأفراحنا، ولأننا إخوة مهما كان الخلاف بيننا سنعود ونسامح بعضنا. ولأننا إخوة قلوبنا دائمًا مفتوحة لبعض وأكتافنا جاهزة للمساندة. لأننا إخوة نحن ملاذ وسند ومكان آمن لبعضنا، مهما دارت بنا الأقدار سنعود معًا لأننا إخوة، لسنا أصدقاء تجمعنا، وتفرقنا المواقف، لسنا أزواجًا يفرقنا الطلاق، لسنا مدير وموظف يفرقنا المال، الأُخُوَّة علاقة لا يمكن فصلها، لكننا لم نثمن قيمة علاقتنا على وجه صحيح، وعلى رأسهم أنا!

مجد: لن تستطيع حماية غيرك إن لم تكن بأمان، كان هذا ثاني درس تعلمناه!

الندم والخجل واللوم والشعور بالذنب، هكذا كان الطقس تحت سقف منزلنا.

لكن سعاد بددت كل هذه الغيوم، وطردتهم طردًا معتبرًا: هل لدى أحد أي أسرار يخفيها عنا ليعترف بها قبل وقت انتهاء البرنامج؟

نظرنا إليها بتعجب!

أعزاءي الجمهور بهذا تكون جلست الاعتراف قد انتهت بتعاهد الإخوة على اعترافهم بضعفهم لبعض ومساندة ودعمهم بعضهم بعضًا، وشكرًا لحسن إنصاتكم.

1-من خيال الكاتبة.

تلك الفتاة لا تجتمع مع الحزن أبدًا، لقد نجحت برسم ابتسامة خجولة على وجوهنا، وكأننا نوافق ما قالته توًا!

لسبب ما كان الجميع يشعر بالحرج، عدا سعاد طبعًا!

لكن ما هي إلا ساعات حتى عاد الوضع لسابقه مع تغيرات طفيفة ذات أثر عظيم!

هدفنا وهمنا الأكبر هو أن نثأر من مختار؛ لذا ترانا منهمكين في التفكير لساعات طويلة.

كنا أمام تحد صعب، وهو إخبار سارا بحقيقة والديها، ونحن لسنا على استعداد لمواجهتها بالموضوع.

لدينا الآن حلفاء، زيد والسيدة سيرين.

في هذه الفترة تواصل زيد مع سعد، وأخبره أنه سيعود في غضون بضع أيام.

قال أيضًا أنه متعجل لتحقيق هدفه، لذا ما إن يصل سنضع خطةً وننفذها.

وقبلها يجب علينا ترتيب الخطايا والسبل لإيقاع مختار في شر أعماله.

توجب علينا معرفة تاريخ مختار منذ الولادة لكي نبدأ من أول خطيئة ارتكبها، وهنا تكمن المشكلة، لم نعثر على أي معلومات عنه، حتى في الجهات الرسمية، المستشفيات أو حتى القرى.

حتى إنَّنا سألنا ماريا، وبحكم أنها كانت زوجته فلا بد لها من معرفة شيء عنه، لكنها كانت تجهل ماضيه تماما، ولم تقابل أي فرد من أفراد عائلته مطلقًا!

لهذا السبب استغرقنا الكثير من الوقت في حل هذه المعضلة!

أخبرتنا السيدة سيرين عن دليل مهم كان قد احتفظ به زوجها منذ قضية مقتل أهلنا، ولم يدل به للقاضي عندما شك بأمانته.

كان ذلك قبل وصول زيد بيومين.

سـيرين: لم أطلعكم على هذا الدليل حتى الآن لأنني وجدت أن هذا هو الوقت المناسـب، أريد منكم الذهاب إلى بيت التل، اذهبوا إلى مكان الحادثة واجمعوا بعض التربة من المكان هناك، خذوا عدت عينات، وراعوا أن تكون بين العينة والأخرى مسـافة تتراوح بين الخمسـة عشـر والعشرين قدمًا، وبعد إحضاركم للأتربة سأطلعك على الدليل!

أردنا الاستفسار عن طلبها الغريب هذا، لكن سعد قال: الدليل المناسب في الوقت المناسب.

حينها ابتسمت نور، وكأن سعد قد قال ما خطر في بالها تمامًا!

لم نجادل كثيرًا في الموضوع وما كان منا إلا أن نفذنا.

مجد: بما أننا سنذهب لنعتبرها رحلت تخيم، لننطلق غدًا.

أمل: فكرة جيدة، ما رأيكم بالشواء؟

سعاد: لم أتناول الشواء منذ أن خرجت من بيت التل.

مجد: وأنا أيضًا.

أمل: لنفعلها إذًا.

سعد: لكن نحن لا نجيد الشواء؟

مجد: أستطيع فقط إشعال النار.

نور: يمكنني.

سعد: أحقًا تجيدين الشواء؟

مجد: لا تنسى أنها تعمل في مقهى.

سعاد: المقهى لا يقدم طعامًا مشويًا؟

مجد: أحيانًا يتم حجز المقهى لإقامة الحفلات، فيدرج الطعام المشـوي في قائمة المأكولات، إنه مقهى من الطبقة المخملية. المهم كونوا جاهزين، سننطلق صباح الغد.

وبالفعل ركبنا في سيارة نور- التي اشترتها من مال العلاج التجريبي- وانطلقنا إلى بيت التل.

خرجنا من حدود المقاطعة الرابعة متجهين إلى المقاطعة الأولى.

ثم وصلنا لوجهتنا -مكان الحادث- بعد ساعات.

نزلنا نستظل تحت إحدى الأشجار.

مجد: لا أذكر وجود هذه الشجرة هنا.

سعد: الحياة استمرت من بعدنا.

أمل: نور هل تذكرين هذه الشجرة؟ لقد كانت فسيلة صغيرة زرعناها معًا!

نور: فسيلة الرمان؟

أمل: نعم، الفسيلة التي زرعناها مع أمك، أتذكرين؟

قال وجهها: أجل، تذكرتها.

أمل: لقد صارت شَجَرَة كبيرة الآن.

نظرت نور للشجرة بفخر، ربما تقول في نفسها الآن (لقد كبرت شجرتك يا أمي) مَدَّت البساط عند الشجرة، وبدأت هي ومجد بإشعال النار بعيدًا عن الغطاء النباتي تجنبًا للحرائق.

والدة نور وعلى عكس الجميع كانت بدوية، قضت حياتها قبل الزواج بين الحقول والماشية، ولم تكن تجيد القراءة والكتابة وقتها، لكنها كانت حكيمة.

ما زلت أذكر عينيها الخضراوين اللذين ورثتهما نور، وجهها الأبيض ووجنتيها المحمرتين كوجه نور، كان لها شعرٌ كستنائي طويل، ناعم وكثيف، كانت ضفيرتها كما لو أنها سنبلة قمح ذهبية نمت على طول رأسها وظهرها وصولًا إلى ركبتها، كانت جميلةً جدًا ولطيفة.

التقى بها عمي حمزة صدفةً عندما تعطلت سيارته قرب المراعي التي كانت ترعى أغنام عائلتها فيها، وعندما كانت عائدة إلى المنزل بعد مغيب الشمس صادفته في طريقها، فاصطحبته إلى منزل عائلتها التي رحبت به، وساعدوه على إصلاح سيارته.

لكنه عاد لاحقًا إليها يطلب منها أن تكون عائلته!

كان عمي حمزة أكبر من أبي وعمي باسل-والد سعد وسعاد- وعمي مازن-والد مجد-.

كان شامخًا مهيبًا، أسمر البشرة طويل الجثة عريض المنكبين، شعره أسود داكن، كلون شعر نور تمامًا.

نور حنونة كأمها، شامخه كأبيها، فخورة وحكيمة مثل كليهما.

لم يكن لدى أم نور أي أشقاء، ثم إنَّ والدها توفيا بعد ولادتها نور بسنتين، أولا جدتها ثم جدها الذي لم يحتمل وفاة زوجته فما كان إلا أن لحقها للرفيق الأعلى بعد أن اشتد حزنه عليها.

لا تزال نور تحتفظ بصورةٍ لها مع والديها وجديها.

والد نور كأبي وعميَّ يتيم، نشأ أربعتهم بالأصل في نفس دار الإيواء، كبروا معًا هناك وقرروا أن يكملوا حياتهم معًا.

أمي وأم ومجد وأم سعد وسعاد من سكان المدينة.

المذهل بالأمر أن جميعهن فقدن عائلاتهن حتى استحلن أيتام كآبائنا!

لا أعلم نوع الصدف التي تحدث هنا، ولكنها تثير العجب!

تعرف أبي بعمِّ أمي-زوج جدتي- عندما أنقذه من حريق اشـــتعل في دكانه، كانت أمي تعيش معه بعد وفاة جدتي، وهو كان كالأب لها، لكنه كان وقتها طاعنًا في السن.

مات بعد زواج أمي بأكثر من شهر، وهو يقول لأبي أنه قد سلمه الأمانة، وكان يقصد أمي.

أعترف أنني أحيا على ذكراهم. كثيرًا ما أتســـاءل إن كنت الطفلة التي تمنوها عندما حملوني لأول مره في أحضانهم.

أذكر أن الشـبه بين أمي وأبي كان كبيرًا، كلاهما بشـعر بني وعيون عسـلية واسـعة وبشـرة وردية.

بالتأكيد أنا نسخة طبق الأصل منهما معًا.

كان لا بدَّ لأبي وعمي حمزة من الاستقلال خصوصًا بعد أن تزوجوا.

لذا عاشوا في منزلٍ صغير بالإيجار، وعملوا بجدٍ حتى أسسوا شركتهم الغذائية.

وقبل ولادة نور بفترة قصيرة اشتروا بيت التل برغبةٍ من أم نور، لأنه يذكرها بأيَّامها الخوالي.

والدة سعد وسعاد قابلة عمي مازن أول مرة عندما أوصلت له ملابسه التي تركها عند الخياط التي كانت تعمل عنده.

هي الأخرى كانت قد ترعرعت في دار إيواء كعمي تمامًا.

شعر عمي مجعد كشعر سعاد، وشعر أمهم ناعم كشعر سعد، لكن سعاد ورثت غمازة الخد من أمها على عكس سعد الذي كان بلا غمازة خد كوالده.

حكى لنا آباؤنا قصصهم هذه في إحدى الليالي التي اجتمعوا فيها.

وعندما سأل مجد والده عن كيف التقى أمه، أخبره أبوه بأنه سرٌ لن يخبره به.

كنت أستذكر كل هذه التفاصيل خلال جمعي للتربة، غابة التل هذه جزء من منزلنا. في صغرنا حفظنا مكان الأشجار، وأحيانًا أطلقنا على بعضها ألقابًا مثل" الأم، والجدة، والكبيرة، والحزينة وغيرها من الأسماء والأوصاف.

كان هناك شجرة أطلقت عليها سعاد اسم "التوءم" لأن جذعها كان أشبه ما يكون بجذعين لشجرتين ملتصقتين كتوءم ملتصق! كانت عندما تغضب منا تهرب لتلك الشجرة فتأوي إليها لأنها كانت قريبة من المنزل.

عندما أنهينا جمع التربة التي طلبتها السيدة سيرين تجمعنا مرة أخرى حول شجرة الرمان.

أمل: برأيكم لماذا طلبت منا السيدة سيرين جمع كل هذه العينات؟

سعد: نور ألا تعلمين شيئًا؟

قال وجهها في أثناء تقليبها اللحم: من يدري!

مجد: يعني أنها تعلم.

أمل: هل طلبت منك السيدة سيرين عدم إخبارنا؟

قال وجهها: لم تفعل.

أمل: إذا قولي.

لكنها لم تجب.

سعاد: أرجوكِ قولي.

نور: وما أدراني؟

كان مجد قد أوشك على الإلحاح عليها هو الأخر.

وما إن تحركت حباله الصوتية أعطته نور قطعة لحم مشوي.

مجد: هذه المرة فقط سأقبل الرشوة.

(يا لك من فاسد) قلتُ له.

مجد: نور أرجوك واحدة لـأمل.

فمدت يدها تعطيني.

لاحقًا تجمعنا حول الطعام، ذكرت إخوتي خلال الأكل بما حكاه لنا آباؤنا، وكيف رفض عمي باسل إخبارنا بقصة لقائه بزوجته.

مجد: لقد حكت لي أمي القصة فيما بعد.

سعد: ماذا قالت، يراودني الفضول حول هذا السر العظيم.

سعاد: حتى أنا.

مجد: كان أبي يسير في الشارع وقتها فتعثر خطأً في فتحت مجارٍ تركت دون غطاء. أذكر أنها كانت تنظر إلى وجه أبي الذي لم يكن راضيًا عن قولها لأنها كانت تفشي سره أمامي، لكنه رد عليها وإحراجها كما فعلت معه، لقد قال: ليس وكأنك لم تصطدمي بعامود الإنارة لأنك كنت تضحكين علي بدل من مساعدتي!

أمل: هل كان هذا لقائهم الأول؟

مجد: نعم.

سعاد: يبدو ظريفًا.

سعد: يبدو محرجًا!

مجد: هذا المكان يعيد لي الذكريات، كنا نتسابق على طول ذاك المنحدر، أتذكرون؟

أمل: وفي كل مرة تخسر سعاد السباق، فتتسلق شجرة التوءم، ونبقى نحن طوال النهار تحت الشجرة نقنعها بالنزول.

سعاد: بالمناسبة أود رؤية الشجرة قبل مغادرتنا، هل تذهبون معي؟

مجد: لم لا، لنذهب بعد أن ننهي طعامنا.

بعد أن أنهينا الأكل، جمعنا حاجاتنا ووضعناهم في صندوق السيارة.

وقف سعد عن يميني، ومجد عن يساري، ثم رفعاني وأسنداني على كتفيهما كما لو أنني أقف وأستند عليهما.

قلت لهما باستغراب (ماذا تفعلان؟) لكنهما لم يجيبا، وضعا ساقي اليمنى فوق ساق سعد اليسرى كما لو أنني أقف فوق قدمه، وساقي اليسرى فوق ساق مجد اليمنى بالمثل، ثم طلبا من نور ربطها!

مجد: اليمنى ثم اليسرى.

سعد: حسن.

مجد: تدريب سـريع، واحد -تحركت قدمي اليسـرى مع أقدامهم اليمنى- اثنان-قدمي اليمنى مع أقدامهم اليسرى-، واحد، اثنان، واحد، اثنان، جيد.

سعد: لنجري سباقًا من هنا إلى شجرة التوأم.

وأشار بيده إليها.

أمل: هل ستجرون بي؟

مجد: نعم، لا عذر للكسل!

سعد: ألا تريدين أن تسابقينا كالماضي؟

أمل: سيكون هذا خطرًا، تـوقـفـا!

كانت الشجرة تجاور حائط المنزل.

كان منزلنا كالقصر، الأشجار حوله في كل مكان، لكننا نستطيع رؤية الحائط الأبيض المرتفع من هنا.

لو أردنا أن نقطع المسافة جريًا من هنا إلى شجرة التوءم فسيستغرق ذلك نحو سبع دقائق.

اصطففنا وبدأنا العد.

(ثلاثة... اثنان... واحد...)

وبدءا يجريان بي! شـــعرت بالهواء يلتف حول ســـاقي كالماضـــي تمامًا، كنت أجري معهم وأقدامي كانت تتحرك!

صرخت بأعلى صوت، (أنـا أركـض!)

وعندما وصلنا بدا سعد متعبًا على عكس مجد الذي قال إنَّه معتاد على مثل هذا!

مجد: لكن أرجوك أن تلزمي التمرين على الجهاز الذي اخترعه لك سعد، حركي قدميك به كي لا تضعف، حافظي عليها عسى أن يشاء الله أمرًا.

أجلسوني على الأرض، وأسندنا ظهرنا على الشجرة نسترح من التعب.

إلا سعاد، لا أعلم متى صعدت شجرتها وجلست كما كانت تجلس في صغرها.

سعد: هل تستطيع الشجرة تحملك؟

سعاد: لا تقلق، لقد كبرت هي الأخرى.

ثم استدارت نحو الجذع وأخذت تضرب جزءًا منه!

أمل: ماذا تفعلين؟

سعاد: تريثي...

ثم انكسر جزء صدع نوعًا ما من الجذع ليظهر خلفة تجويف صغير داخله.

سـعاد: لقد كنت أحتفظ ببعض أشـيائي هنا، لكن يبدو أن غصـنًا نما قرب التجويف مما جعلها كما لو أنها لأمت جرحها!

ثم مدت يدها فوقنا، وقالت: خذوا!

نور: ما هذا؟

سعاد: أشياء تخصكم.

أمل: إنها قلائد!

سـعاد: نعم، اشـتريتها مع أمي من السـوق، ثم وضـعتها هنا لأنني أردت أن أفاجئكم بها، لو خبأتها بالمنزل سيجدها سعد.

أمل: يا لجمالها.

سعد: ولماذا تعطيني قلادة؟ لن أرتديها على أي حال!

سعاد: إنها تبرق في الظلام، إياك أن تخلعها.

مجد: رائعة، سأرتديها دائمًا.

(قال يغيظ سعد)

أمل: اسمعوا أليس هذا صوت نباح؟

سعد: بلا أنا أسمعه أيضًا.

نور: أهو بندق؟

نهض مجد ليستكشف الأمر.

اقترب من باب المنزل، وأخذ يهمس (بندق، أهذا أنت؟ بندق؟)

ثم وثب من فوق الباب الكبير كلبٌ، وأخذ ينبح ويقفز حولنا، وهو يهز ذيله.

إنه بندق، الكلب الذي كان يحرس المنزل، إنه يتذكرنا!

ركض حولنا بسعادة، ثم أخذ يجر مجد يدخله للمنزل. هو يعلم أن هذا هو منزلنا!

مجد: لا يا بندق هذا لم يعد منزلنا.

لكنه كان مصرًا.

اقترب سعد منه وطلب منه أن يعود للمنزل، (أتساءل من يرعاك الآن ومن يعيش هنا أيضًا، أتمنى أن يكونوا لطفاء معك، هيا عد أدراجك، نحن أيضًا علينا أن نعود أدراجنا).

لكنه كان عنيدًا جدا، مع هذا كنا مضطرين لتركه.

لا يبدوا ان أحدا كان في المنزل وقت ذاك، لكن بما أن بندق بصحة جيدة فهذا يعني أن هناك من يعتني به. كان بندق لا يزال صغيرًا، لكنه الآن عجوز، ومع ذلك فهو يحتفظ بنشاطه.

في طريق عودتنا اتصلت سارا بنور، إنها إجازة نور، ثم إنَّها أخبرت سارا أنها لن تكون في المنزل اليوم، لذا كان اتصالها مفاجأً!

طلب منها مجد تشغيل مكبر الصوت، لسبب ما شعر بالقلق...

سارا: نور، نور، نور، أخبار كبيرة يا نور!

نور: ما الأمر؟

سارا: تذكرين زبوننا الدائم... مختار، تذكرينه أليس كذلك؟

نور: بلى.

سارا: سيخرج في رحلتٍ على يخته، وقد يحضر أناسٌ مهمون، أو قد لا يحضر لا أعلم! المهم أنه يريد من المقهى أن يكون مسؤولًا عن الضيافة، لهذا سنكون على متن اليخت يا نور، سنركب باليخت!

أجابتها نور وهي تخفي توجسها: فهمت، متى سيكون ذلك!

سارا: غدًا.

نور: علم، شكرًا لإبلاغي.

سارا: العفو، أنا متحمسة جدًا، سنركب اليخت الذي سيكون في عرض البحر الكبير، أنا متحمسة جدًا، حسنًا أراك غدًا.

نور: إلى اللقاء.

انتهت المكالمة.

نور: لست مطمئنه!

مجد: ولا أنا، هل يعقل أنه عرف من نكون؟

نور: لا أدري.

أمل: إذا كان هذا صحيحًا فقد يكون قد اكتشف أمر اختراقنا للخزنة أيضًا.

مجد: ستكون مصيبة إن كان ذلك صحيحًا.

سعاد: هل سنستطيع العودة للمنزل.

سعد: تَبًّا، إن كان ذلك صحيحًا فنحن في خطر.

اتصلت نور بنيرمين واستفسرت منها بعد إلقاء التحية.

نيرمين: لا أعلم إن كان قد اكتشف هويتك، لكنه حجز فعلًا!

أخبرتها السيدة نيرمين أنها ستستعد في حال حدث مكروه. ولا أعلم أي نوع من الاستعداد هو!

سعاد: حسنًا الآن كيف سنعلم إن كان منزلنا آمنًا أو لا؟

مجد: لدي صديق قد ينفعنا!

سعاد: من؟

مجد: رامي.

نور: تقصد الشاب الذي يعمل في الورشة؟

مجد: هو بعينه، سأطلب منه أن يستوثق من المنزل.

اتصل به مجد فعلًا، وطلب منه أن ينتبه لنفسه في أثناء قيامه بذلك، ولقد كان كفؤًا حقًا.

رامي: وفقًا لوصفك إنه مقابل من منزل خالتي، سأسألها إن كانت رأت حركةً مريبة، انتظر مني ردًا.

وبالفعل خلال عشر دقائق اتصل وطمأننا.

تنفسنا الصعداء، حمدًا لله!

عدنا للمنزل آمنين أخيرًا.

كانت ليلة حافلة.

كنا متوجسين من أمر اكتشاف هوية مجد أو نور.

اتصلنا بالسيدة سيرين، وأخبرناها أننا فعلنا ما طلبت منا.

لم نعطها تفاصيل، ولم نخبرها عن أمر رحلة اليخت، أو أننا قد اخترقنا النظام الأمني لمختار، هذا من دواعي الأمان!

في صباح اليوم التالي كانت نور على وشك الخروج من المنزل.

التفتت نحونا وقالت: أنا... أنا خائفة!

ليست هي فحسب، جميعنا كنا خائفين.

خطرت ببالي فكرة أن تتظاهر نور بالمرض فتعفا من الذهاب، لكن سعاد سبقتني وقالتها قبلي.

نور: خائفة، وليس جبانة!

مجد: هذا ما أود سماعه.

سعد: توكلي هيا، بالتوفيق.

ودفعها خارج الباب!

أمل: لا تتركي جهاز المعصم أو سماعة الأذن أبدًا، سنبقى على تواصل معك من خلالهم.

قال وجهها: أجل، أفهم!

كنت أراقب نور من شاشة حاسوبي بتوتر شديد. فجأة اتصل زيد بسعد، وأخبره أنه وصل وهو قادم إلينا الآن، مع أنه يفترض أن يصل غدًا!

طلب منه سعد أن ينتظره في مكان حدده له.

سعد: لن نترك نور تذهب وحدها، سنذهب ونكون قرب الميناء، سَنُعلِمُ السيدة سيرين والسيدة نيرمين بالأمر، وسنأخذهم معنا إن لزم!

مجد: بهذه الطريقة سنكون قريبين إن حدث حادث.

أمل: سأعلم نور، لا بدَّ أنها لا تزال بالحافلة.

سعد: نعم أعلميها.

اتصلنا بالسيدة سيرين وأخذناها معنا. كنت أتتبع تحركات نور من شاشتي وأنا بالسيارة.

التقينا بزيد والسيدة نيرمين في الموقع الذي حدده سعد لزيد، المفاجأة أن السيدة نيرمين أحضرت معها المعلمة مي، ومن هناك انطلقنا إلى الميناء قبل انطلاق نور وسارا حتى!

زيد: هل لي أن أعلم من كل هؤلاء؟ ومن هو سعد الذي تواصل معي؟

سعد: أنا هو سعد، وهذا أخي مجد...

ثم أخذ يعرفه بأسمائنا، طلب من الجميع إطفاء هواتفهم الذكية، وأي أجهزة أخرى متصلة بالشبكة!

وبعد أن تأكدنا من أنهم فعلوا أخذنا نروي لهم التفاصيل.

سعد: باختصار جميعنا هنا حلفاء.

مجد: أمل كيف هو الحال عندك؟

أمل: ليس يختًا كبيرًا، إنه متوسط الحجم، الموجودون هم نور وسارا ومختار فقط...

مجد: ألا يوجد قبطان أو ما شابه؟

أمل: لا، سارا هي التي قادت اليخت.

زيد: كيف تعرفين ذلك؟

أمل: من الكاميرا الحرارية.

مجد: هذا فعلًا ليس مطمئنًا.

أمل: إنهم يبتعدون عن الشاطئ... توقفوا على بعد كيلومترين من الشاطئ، والإشارة لا بأس بها.

سعاد: هل هناك أي شيء غريب؟

أمل: حتى الآن لا.

مضت نصف ساعة فقط، استطعت خلالها إنشاء صوره لهيكل اليخت.

أمل: أنظروا هذا نموذج لليخت.

المعلمة مي: كان باستطاعتك البحث عن اسم اليخت على الشبكة، وستظهر تفاصيل الهيكل.

أمل: لقد فعلت، لكن هناك فرق. تقريبًا هناك تجويف سفلي أشبه ما يكون بغرفة صغيرة، وهو ليس موجودًا في تصـــميم الهيكل الذي وجدته على الإنترنت. هذا التجويف أتوقع أنه أرق من بقية الهيكل.

سعد: هذا يعني أنه معدل.

أمل: نعم.

سعاد: لقد دخلت نور تلك الغرفة.

خاطبت نور من خلال جهاز المعصم، وقد سمعتني (ما هذه الغرفة التي دخلتها؟)

نور: إنها تشبه المخزن الصغير، يوجد هنا معدات إبحار وصيد السمك وأشياء غيرها.

أمل: إذًا لماذا نزلت فيها؟

نور: لجلب بعض الزيت.

أمل: لماذا يحتفظ بالزيت في مكان كهذا؟ ألم تحضروه معكم؟

نور: نفذ منا.

بعد أقل من دقيقة كانت نور لا تزال في الغرفة نفسها. شاهدنا وهج شخص ينزل إلى الغرفة.

إنه مختار-عرفناه لأن وهجه أطول وأعرض من ســـارا- إنه ينزل ببطء، ومعه شـــيء طويل، يبدوا لي صلبًا!

مجد: إنها سكين، ذلك الحقير... علينا أن نتدخل الآن.

أمل: نور اســـمعني، أحتاج هدوءك اتفقنا، مختار ينزل إلى الغرفة الآن ومعه شـــيء طويل وصلب ومجد رجح أن يكون سلحًا، كوني حذرة.

سعد: ماذا تفعل؟

مجد: سأذهب لأعثر على دراجة مائية.

سعاد: سآتي معك.

نظر إليها مجد بتردد...

سعاد: جلبت معي بعض المعدات في الصندوق من بينها إسعافات أولية.

مجد: لنذهب.

التوتر يسود الجو...

حاولت نور أن يمر الوضع كحديث مسالم لكنها لم تفلح.

نور: سيدي أتحتاج شيئًا؟

مختار-الوغد-: لنتحدث قليلًا، هل تعرفين شخصًا باسم حمزة؟

نور: حمزة؟

مختار: كان صديقًا لي، منذ أكثر من عقد، تذكرينه؟

كان الحقير واقفًا، يمسك بالسكين خلف ظهره، نور تعلم أنه يحمل سلاحًا، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لها ثبات انفعالي رائع!

فجأةً بدأت نور لعبة لم تكن ضمن الخطة.

نور: ربما إن ذكرتني به.

كان نبض قلبها يتسارع كثيرًا، أتمنى ألا يؤثر ذلك على ثباتك الانفعالي يا نور.

أمل: مجد... أين أنتم الآن؟

مجد: لم نعثر على واحدٍ بعد.

السيدة نيرمين: هناك واحد يحمل شعار وردة جوري، أخبرهم أنك تعرفني، كلمة سر التشغيل هي:25.

مجد: علم.

الوقت يداهمنا ولا أحد يعلم ما الذي يدور في ذهن مختار!

مختار: بالتأكيد، لقد كان صاحب أكبر شركة غذائية في مدينتنا، لكنه وللأسف لقي حتفه في أثناء عودته للمنزل.

ثم اندفع بسكينه نحوها، راوغته نور قليلًا لكنها فجأة توقفت عن المراوغة -رغم قدرتها على ذلك- فاستقر السكين في أحشائها!

مختار: ألم تشتاقي إلى والدك؟

نور: لا... تسحبها!

قالتها وهي تتألم...

ثم قيدها -وَاقِفَةً- لعامود في منتصف الغرفة، وشيئًا فشيئًا بدأت تنخفض حرارة جسدها.

أكاد أجن، أين مجد الآن؟

دهشنا من الذي سمعناه، بدأت نور تلعب لعبتها، رغم الوضع الذي كانت فيه!

نور: أنت عارٌ على الجحيم!

ألتفت لها مختار، وقال: لنفس هذه الكلمة مات والدك، كنت أريد مصلحته، مع ذلك قال لي: (أنت عار على الجحيم)، فأرسلته إلى هناك ليتأكد بنفسه. الآن أنا متيقن أنك ابنته، مع أنني لم أجد ما يثبت ذلك، كأنك تبخرتِ!

نور: سأسلك، كيف أنت متأكد من موت أبي لهذه الدرجة؟

مختار: ما قصدك؟

نور: لقد كانوا ثماني جثث متفحمة، كيف تأكدت أن جثت أبي بينهم، ألم تفكر بأنهم ربما استبدلوا الجثث؟

حينها قال زيد: إنها تلعب جيداً!

مختار: متأكد من ذلك وحسب، اتفقنا.

نور: كما توقع أبي تمامًا.

حينها ازداد الوهج الصادر عن رأس مختار، لقد كانت تستفزه، ونجحت! مع أنني أجهل الغرض من هذا!

مختار: ماذا توقع والدك؟

نور: غرورك... يعميك.

كانت تتألم.

مختار: ماذا تقصدين؟

لكنها بقية صامتةً حتى كاد يجن جنونه.

مختار: حسن لا تتكلمي، لكن لمعلوماتك حياتك بين يدي!

لم ترد عليه.

مختار: حسنٌ لنعقد صفقة، أخبريني أين بقية الأطفال وسأطلق صراحك وأقدم لك علاجًا في أفضل مستشفى، اتفقنا؟

نور: لا أعرف، ألم تقتلهم!

مختار: تَبًّا لك!

استمرت نور باستفزازه إلى أن قال: حسنًا سأخبرك أمرًا قبل أن تنتهي أنفاسك المعدودة. لا أعلم من هو مختار الذي أنا هو الآن، ولكنني لم أولد مختار! لقد نسيت ما كان اسمي، أمي لا أعلم عنها شيئًا، أما أبي فقد باعني لتاجر مقابل عملات قليلة! وذاك التاجر تحسر على شرائي لأنني لم أنفعه، ومره واحدة تركني على الطريق كالكلاب، كنت أتجول ولا أعلم كيف أسد قرقرت معدتي، كنت أرى الكلاب تصطاد لتأكل، ثم تجتمع مع عائلتها في آخر اليوم، حتى باتت الكلاب أفضل مني! بقيت مشردًا لأيام طويلة، وفي أحد المرات كنت نائمًا بين الصخور عندما مرت سيدة ضريرة، ومعها طفل بنفس عمري، كان اسمه "مختار" وكانت تناديه، وقتها حاولت تذكر اسمي لكني نسيت، لم يناد علي أحد منذ زمن! كان معها مخبوزات رائحتها شهية، كنت أريدها، لذا ما فعلته ببساطة هو أنني دفعت ذلك الطفل في البركة إلى أن غرق المسكين، ومات، ثم أخذت حياته وعشتها. هل تعلمين كم كان عمري وقتذاك؟ كنت في السابعة فقط! ومن وقتها وأنا أحصل على ما أريده بيديَّ هاتين، ولا أثق بأحد مطلقًا، أثق بيدي ومالي فقط! وانظري... الجميع يحترمني اليوم. والآن وكما فعلت مع أبيك سابقًا سأعاود الكرة معك.

نور: لا أحد يحترمك، يحترمون مالك فقط، أما أنت فنكرة.

حينها أمسك السكين بيديه العاريتين، وأخذ يضغطها أكثر. ثم طلب من سارا أن تجهز زورق الإنقاذ ليهربوا به.

مختار: أنتِ هاجمتنا فربطناك هنا، دفاعًا عن النفس! هذا ما سنقوله، بالتأكيد إن افتقدك أحد!

كسر جزءً من الأرضية فبدأ الماء يتدفق منها بقوة!

بدأت قوى نور تخور!

وقتها قال زيد لنور: لا تتركي ماء البحر يصل لجرحك!

قالت نور حينها: من أنت؟

سعد: إنه زيد.

لكن مختار حسبها تسأله، فرجع إليها بعد أن كان على وشك الخروج، وقال: أنا من قتلك، وقتل عائلتك، وكل من وقف بطريقه! تذكري ذلك خلال الدقائق المتبقية في حياتك!

وأقفل الباب خلفه بإحكام.

فصرخت نور من خلف الباب: كانوا تسع جثث!

رأيت وهج مختار مترددًا في النزول للقارب، ربما أثارت آخر جمله فضوله، ربما فكر بإنقاذها لأنها قد تحمل دليلًا-كما فعل مع سيرين- لكنه تابع قفزه لأن اليخت بدأ بالغرق!

حينها أخيرًا وصل مجد ومعه سعاد... حاولا كسر الباب دون جدوى!

سعاد: نور حاولي رفع قدميك والضغط على الجرح.

كانت تكلمها من خلف الباب...

أمل: لا تستطيع، لقد قيدها وهي واقفه!

بدأت نور تنهار شيئا فشيئا...

الماء غمر المكان فمال اليخت، حتى كاد يطغى على الجرح. قد يغمر الماء نور تمامًا بعد أقل من عشر دقائق. ومجد لم يعثر بعد على طريقة للدخول!

لاحظتُ جسمًا حيًا يقترب من نور.

هل يعقل أنه سمكه؟ لا... إنه ليس سمكة!

أخبرت نور حينها لتنتبه.

لكنها أخذت تحرك يديها المقيدة خلف ظهرها لتشكل دوامه.

نور: فأر!

أمل: هل أمسكته؟ مهلًا... ما الذي تفكرين به؟

ثم صرخت بتأوه، هل عضها الفأر؟

كسرت عنقه!

أمل: ماذا تفعلين؟

لم تجب، لكن بدا أنها استخدمت أسنان الفأر كسكين، وقطعت به الحبل الذي ربط يديها، ومن ثم أقدامها.

يا إلهي... هذه الفتاة... عجبًا!

نهضت وأخذت قطعت قماش جافة كانت حولها، ولفت بها مقبض السكين.

ثم فتح مجد الباب -أخيرًا-، ليتلقاها هو وسعاد فاقدةً وعيها!

انخفضت حرارة جسدها كثيرًا. سطحتها سعاد على سطح القارب الجاف نوعًا ما، ورفعت قدميها ثم غطتها لترفع من حرارة جسدها قليلًا، وأخذت تضغط الجرح كي لا ينزف.

سعاد: اتصلوا بالإسعاف حالًا، لدينا مشكلة هنا لقد عضها فأر، وقد يتسمم الجرح... وهي تنزف!

مجد: لقد عطلا محرك القارب! سنأتي ثلاثتنا بالدراجة البحرية، اقتربوا من الشاطئ قدر المستطاع!

أمل: لكن الدراجة تتسع لشخصين فقط!

مجد: ما من حل غير ذلك.

كانت فكرة مجنونه أن يركب ثلاثتهم الدراجة سويًا خصوصًا أن نور لا يمكنها التمسك أو التوازن! كنت أراقبهم على أعصاب من نار. فكرة أنهم في عرض البحر وحدها مخيفة! إنها فكرة مجنونة... لكنهم فعلوها!

بفضل الله استطعنا الوصول إلى المستشفى، كنات نور في حالة حرجة، أدركنا لاحقًا أنها غطت مقبض السكين لأنه يحمل بصمات مختار! لقد كانت بين الحياة والموت، ومع ذلك احتفظت بدليل! ونحن بالتأكيد سجلنا كل شيء.

لم تستفق نور إلا صباح اليوم التالي، دهشت عندما رأت الجميع حولها.

سعد: كدت تموتين طعنا وغرقًا وتسممًا، يا إلهي!

سعاد: ما خطبك، هذا ليس شيئًا تقوله لشخص استعاد وعيه توًا.

السيدة نيرمين: شكرًا لك، لقد حصلنا على اعترافات قوية بصوت مختار شخصيًا.

مجد: لا تكرري ذلك ثانيةً، كان باستطاعتك إيقاعه بلكمه واحدة، لكنني لا أفهم... لماذا لم تفعلي؟

نور: ما كنت لأحصل على كل تلك الأدلة.

كنت أجهش بالبكاء، وفي حالة توتر شديد، وهي كان جل تفكيرها القضاء على مختار والحصول على دليل، قتلت أعصابنا خوفًا... من أجل دليل!

كانت سعاد تبكي، ليس خوفًا هذه المرة بل لتضارب شعورها، كانت قلقة وخائفة وسعيدة في ذات الوقت، لذا حاول سعد مواساتها قليلًا: لا داع للبكاء، لقد أحسنت عندما أنقذت نور، حتى إنَّك كنت ترشدينها من خلف الباب بكل ثبات وقوة، أمل أنت أيضًا كنت توجهين الجميع وتخبرينا بالوضع، وقد استطعنا معرفة حالة نور وإنقاذها بفضلكما-بعد الله-.

قالت السيدة نيرين بَاكِيَةً لنور: لا أصدق أنك نجوت من الموت مرة أخرى!

(مرة أخرى؟) قلنا جميعًا مرة واحدة!

أمل: متى كانت المرة الأولى؟

السيدة نيرمين: عندما كانت مريضة، لقد كانت حالتها متقدمة جدًا، أقنعتها بالقوة، لكنها لن ترضى البدء بالعلاج حتى اطمأنت أنكم بخير.

أمل: هل كنت تعرفين ذلك من قبل؟

السيدة سيرين: حتى أنا كنت أعرف، طلبت منا الاعتناء بكم في حال حدث لها مكروه.

مجد: يا إلهي، أيتها المجنونة ألا يمكنك التوقف عن التضحية بنفسك؟

سعد: أوافقه الرأي.

سعاد: لقد نجوت من الموت غرقًا وطعنًا وتسممًا وأخيرًا من المرض، أنا الآن أريد أن أجعل مختار يموت أبشع ميته، أريده أن يموت غريقًا محروقًا مسمما مطعونا وبالرصاص والخناجر...

سعد: توقفي، توقفي... لن يكون لهذا معنا إن مات، عليه أن يشعر بالألم دون أن يموت.

سعاد: ثم يموت...

سعد: ثم يموت.

أمل: لدي الآن أخبار كبيرة.

نور: ما الأمر؟

أمل: مختار يتكلم مع أحدهم الآن.

زيد: كيف عرفتِ؟

سعد: لا تسأل، استمع وحسب.

أمل: يريدان اغتيال ماريا في السجن، يشكون أنها قد تسرب المعلومات، ثم إنَّ هذه هي الخطة (ب) فهو لم يستطع معرفة مكان المعلومات.

مجد: متى؟

أمل: انتظر لم يقل ذلك بعد.

سعد: ماذا يقولون؟

أمل: انتظر قليلًا، سيرسل سارا لتقتلها.

السيدة نيرمين: هذا جرم!

أمل: سيفعلون ذلك بعد غد، إنهم يبحثون عنا الآن.

مجد: أتعجب كيف لم يصل إلينا حتى الآن!

كنت أسمعه من جهاز تنصت رمته نور على ملابسه.

المعلمة مي: لم أترك في دار الإيواء أي وثائق لكم، احتفظت بها جميعها في منزلي ثم سلمتها لنور عند خروجكم.

نيرمين: أما أنا فقد وظفت نور تحت لقب مختلف، لكنه اكتشف الأمر في نهاية المطاف.

سعاد: أليس نفس لقبنا؟

نيرمين: لا، غيرته مرة أخرى.

سعاد: لم يكتشفوا مكان منزلنا أيضًا.

نور: هذا لأننا لا نمتلك عقد استئجار، وكل يوم أذهب من طريق مختلف لأضيِّعَ سارا.

مجد: لا يوجد ما يثبت وجودنا لمختار.

سعد: بلا يوجد، لا يوجد شهادة وفاة بأسمائنا! (إذا لم نجد ما ينكر الدليل فهو مؤكد) هذه قاعدة مهمة.

سعاد: يَيْ، اقشعر بدني، هل يجب أن نموت كي لا يعثر علينا؟

زيد: المهم الآن أن مختار بدأ يتحرك سريعًا، لا أعلم من تلك المدعوة ماريا، ولكنها تبدوا كأخر مرحلة في خطته.

أمل: أنت محق.

سعاد: علينا جمع الأدلة إذن والاستعداد، أخبرتني ماريا أنها تحتفظ بالأدلة بحيث إذا ماتت تنكشف كل هذه الأدلة.

السيدة نيرمين: هل قالت ذلك لك؟

سعاد: نعم.

ثم أخذت الشقيقتان تتبادلان النظرات، بدا أن لديهم خلفية عن الموضوع.

المعلمة مي: سنذهب نحن لإيجاد الدليل الذي تكلمت عنه ماريا، لسنا متأكدات لكن إن جد جديد سنخبركم.

قال وجه نور: افعلا رجاءً.

سيرين: قبل أن ترحلا، نحتاج إلى شخص يكون القائد، وأنا أقترح نور، ما رأيكم؟

المعلمة مي: اختيار موفق، أنت لها يا نور.

ثم غادرتا.

مجد: إنها كذلك من قبل أن تتكلموا حتى!

حينها اعتلت وجه نور نظرة تعجب وجهتها لمجد، لكن سرعان ما تبدلت لنظرة ثأر تقدح شرَرًا، قلت في نفسي (نثق بك يا نور)، وكما قال مجد إنها كذلك من قبل أن تتكلموا!

نور: زيد... هل لي بسؤال؟

زيد: لا أعلم لماذا وثقوا بك.

حينها رماه مجد بنظرة فهم الآخر فحواها.

زيد: تفضلي.

نور: أريد العبث بدماغ مختار، بحيث يعيش لحظة موت كل شخص قتله، هل هناك طريقة؟

زيد: يوجد ما يسمى بالذاكرة الجسدية[1]، إنه مثل أن يرى أو يفكر الشخص بطعام معين، فيبدأ بالشعور بطعمها. لكن إن كنت تريدين ذلك علينا أولًا أن نجعله يعيش الموقف الذي نريده أن يتذكره.

نور: لا نستطيع جعله يعيش كل تلك المواقف دون أن نضمن أنه لن يموت.

أمل: ماذا عن المحاكة الافتراضية؟

زيد: يمكنها أن تنفع.

ثم عدنا للموضع المهم حاليًا... إنقاذ ماريا وسارا!

سعد: يقول المنطق أن مختار لن يرسل أحدًا من الخارج إن كان هناك جواسيس داخل السجن.

سعاد: أتفق معك، لكن قد يكون ذلك لأنه يريد أن تفعل سارا ذلك.

مجد: لا أفهم، لماذا قرر مختار أن يتحرك فجأة وبهذه السرعة؟

أمل: ليس فجأة، لكن ظهور نور أثار قلقه، إنه خائف من أن تصل نور إلى ماريا، يريد دفن الماضي سريعًا.

سعد: كيف سيصل إلينا؟

1- الذاكرة الجسدية هي: تخزين الذكريات في أجزاء الجسم المختلفة، مثل العضلات والأعصاب، وليس في الدماغ فقط.

أمل: إنه يفتش الآن عن شقة نور.

مجد: ستكون مشكلة إن عثر عليها.

سعاد: أتساءل كيف سيُدخِلُ سارا إلى السجن؟

أخيرًا تكلمت السيدة سيرين: سيدخلها عن طريق المروحية، غالبًا سيكون ذلك في وقت تكون فيه حركة السجينات نشطة، كي تستطيع سارا التسلل بينهم.

نظرت نور نحو السيدة سيرين وقالت لها وكأنها تأكدت أنها وثقة بالشخص الصحيح: أنت حقًا ند له!

سيرين: إن أردت تدميره عليك فهمه!

حينها جاءت مكالمة إلى مجد، كان رامي.

تحدث معه سريعًا وأغلق الخط.

أمل: ما الأمر؟

مجد: إنهم من اتباع مختار، حضروا إلى الورشة، وسألوا عني، أخبرهم العم أبو يحي أنني التحقت بالمعسكر لجهله بهويتهم، لكن رامي عرفهم، ولم يخبرهم بمكان منزلي.

أمل: اسمعوا، إن مختار ثائر الآن يشك أن مجد هو من اخترق الخزنة.

مجد: رائع.

سعد: أين الرائع في الأمر؟

مجد: لا أعلم، ولكني أشعر بالحماس!

بعدها تركنا نور لترتاح. كنت أستمع وأسجل.

استطعنا إخراج نور من المستشفى بصعوبة، لو بقينا هناك قد نتعرض لخطر التجسس مثلًا!

وصلنا للمنزل بأمان. لكننا واعدنا الجميع مساءًا، سيحضر زيد، وسيرين معهم الأدلة وسنضع خطة.

جرح نور بحاجة إلى شهر كي يُشْفَى تمامًا، لكن دماغها بحالة جيدة. على عكسي... أشعر أنني مشتتة وطاقة دماغي نفذت تمامًا!

اجتمعنا في المساء كما اتفقنا، أخبرتنا السيدة نيرمين أنهم عثروا على الأدلة، واحتفظوا بها في مكان آمن، لكنهم صوروا نسخًا منها.

سعاد: كيف فعلتم ذلك؟

المعلمة مَي: إن كان هناك شيء يمكنه أن يظهر فقط عند موت أختي فهو وصيتها. لذا ذهبنا إلى منزلنا في القرية، وفتشنا بين حاجاتها حتى وجدنا الوصية. وهي شيء لا يمكن لمختار الوصول إليه لأن أختي لم تعش معنا كثيرًا وهو لا يعلم أننا أخوات!

أنظروا في هذه الصورة، إنها وصيتها، وعندما نحاول قراءتها بالعرض أمام مصدر ضوء سنرى أرقامًا قد كتبت بطريقةٍ تجعلها غير مرئية إلا أمام مصدر ضوء قوي (تقنية الحبر الخفي).

كتبت بشيفرة مجموعات من الأرقام، وبين كل مجموعة وأخرى يوجد شرطة وهذا يعني أن الكلمة قد انتهت، أما النقطة فتعني أن الجملة انتهت. كل رقم يرمز إلى حرف، وعندما حللنا الشيفرة عرفنا أنها دفنت الأدلة وأخبرتنا عن المكان فذهبنا ووجدناهم.

كانت الشيفرة كالتالي: (18-10.) وبعد فكها تكون: ع - ر!

سعد: هذه ليست كلمةً حتى.

أخذنا نحاول تركيبها (عَر، عِر، عُر) لكنهما نهونا عن جمعها لأنهما كلمتان!

السيدة نيرمين: إنهما عِ رَ.

سعاد: تعني أنها تريدنا أن نعِي ثم نرَى، أليس كذلك؟

نيرمين: صحيح، في منزلنا هناك مكتبة، وفي منتصفها مرآة، توقعنا أنها تشير إلى الكتب في "عِ" وإلى المرآة في "رَ". عندها أنزلنا المرآة المثبتة منذ أن كنا أطفالًا وقلبناها وعندما نظرنا

إلى طبقة الطلاء الأســـود خلفها لاحظنا وجود ورقة ملتصـــقة بها بنفس لون طبقة الطلاء الأسود، وهذا يصعب ملاحظتها قليلًا.

وعندها قدما لنا صورة للورقة كانت تقول:

(10 27 4 - 1 23 15 2 - 20 28 - 5 6 10 26.)

وبعد أن فككنا الشيفرة تبين لنا أنها تقول: (روث ـ الضب ـ في ـ جحره.)

سعاد: لم أفهم، الضب لا يعيش في بلادنا حتى!

المعلمة مَي: قصدت بالضب مختار، أذكر أنها كانت تنعته بالضب طوال الوقت لأنه لا يشعر بالذنب وكأن جلدًا قاسـيًا كجلد الضـب حال بينه وبين الإحسـاس. أما "روث" فقد قصـدت به قذارة مختار وهذا يدل على الأدلة التي جمعتها ضـــده، والجحر هو مكان تحت الأرض، وفي منزلنا هناك مكان واحد يمكننا التفكير به، وهو الشـــجرة التي على باب منزلنا، مع أن هناك مساحات رملية لا بأس بها ويمكن دفن الأشياء بها، لكن كلمة "روث" ترمز أيضًا إلى السماد وما يحتاج إلى سماد هو النبات، والشجرة هي النبات الوحيد في منزلنا.

أمل: يعني أنكم أنتم فقط من يمكنه فك الشيفرة.

المعلمة مَي: يمكن قول هذا، لكن أي شـخص سـيتجول في منزلنا قليلًا سـيدرك ذلك، إن عرف أن الوصية هي رأس الخيط طبعًا.

مجد: إنها نفس التقنية -ترقيم الحروف- التي استخدمها مختار لوضع كلمة سر للخزنة.

ثم بدأت السيدة نيرمين بقراءة الأدلة، وأخذنا نضيف بعضها إلى اللوح: حسنًا بالمجموع ثلاث جرائم قتل، هناك أربع عائلات نجى منها شـخص، وهم أنتم (أمل، مجد، نور، زيد، سـيرين) وعائلة واحدة نجى منها شـخصـان (سـعد وسـعاد). تاليًا قضـية اختلاس واحدة، وكان هذا قبل عشر سنوات. الرشوة: سبع عشرة شخصية مهمة من رواد أعمال وممولون وسياسيون. هناك وثائق تمليك شركات وعقارات وأسهم وأحد الأطراف هو مختار. من ضمنها شركة غذائية، بيت التل، وأربع سيارات تعرفونهم. أيضًا هناك شركة استيراد معدات ثقيلة وأرض زراعية ومنزل، وأنت تعرفها يا زيد! والباقي لقضـــايا مالية كثير تتخلل جرائم القتل هذه يمكنكم الاطلاع عليها، وهذه هي الوثائق. وهناك تفاصـــيل عملية تفجير ســـيارة شـــرطة عن طريق العبث بكهرباء السـيارة مما أدى إلى انفجارها، وبداخلها عنصـــري شـــرطة العلاقة بينهم أب وابن. وثائق لدور إيواء بأسمائكم، وتهجير زيد. من ضمن الوثائق أيضًا شهادة ميلاد سارا.

سعد: يا للعجب، بريء لنقصان الأدلة!

مي: تريثوا، لقد كتب تفاصيل تنفيذ كل قضية بخط يده.

طبعًا هذه القضايا كلها تتوقف عند العام السابع.

سعاد: متى دخلت ماريا للسجن؟

السيدة نيرمين: صيف العام السابع.

بعدها بدأت السيدة سيرين بالتحدث: لدي ملفات كل قضايا مختار التي كان زوجي مسؤول عنها حتى العام السادس بالتأكيد من ضمنها الكثير من القضايا التي ذكرتموها لكن فقط التي سجلتها الشرطة حتى العام السادس.

لدي أيضًا دليل مادي، لكنني لم أحضر سوى صورة له، إنه حذاء مختار. لبسه عندما نثر المسامير في طريق السيارة التي مات بها آباؤكم، وقتها داس على مسمار، واخترق جلده وعلق بعض الدم عليه، الحذاء ملوث بالطين لذا طلبتم منكم جمع التربة من ذلك التل، ليتم إثبات أن الإصابة كانت في ذلك المكان مع تقارير تحليل تطابق الدم والتربة مع أن الدم وحده كاف، ولكن كي لا تنقص الأدلة.

تحدث زيد: لا أمتلك أية أدلة، لكنني توصلت لطريقة نجعل بها مختار يشعر بأنه يحتضر غرقًا وحرقا وشنقا ... الخ، وذلك عن طريق العبث بكهرباء دماغه. بدأت العمل على موجة صوتية بتردد معين سيسمعه هو فقط لأنها توافق كهرباء دماغه. إن نجحنا في جعله يعيش كل تلك المشاعر عن طريق المحاكاة الافتراضية. مع أنني أشك بأنها كافية.

بعدها نهض مجد، وقال: اخترقنا الخزنة التي فيها كل الأدلة التي ذكرتها السيدة نيرمين والمعلمة مَي لكن مع بعض الزيادة في الأعداد.

ثم إنَّنا حصلنا على معلومتين لم يذكرهم مختار في مخزن المعلومات ذاك: واحد الطفل الذي قتله بعمر السابعة وماض مختار، والثاني هي نور، ستكون شاهدة رئيسية.

سعد: لنضف إليها السكين.

أمل: السكين محفوظة جيدًا.

مجد: لا تنقصنا أية أدلة.

سعد: قد يجد وسلة للطعن بها.

السيدة نيرمين: اتركوا هذا لي، بحكم أنني سيدة أعمال لها سمعتها في السوق أرسلت هدية صغير إلى مختار سلفًا، لم أترك اسمي بالتأكيد، ولكنني أعلم جيدًا أن هدية كتلك سيحتفظ بها على طاولة في يخته الكبير.

سعد: ما هي؟

السيدة نيرمين: مُصِر؟

سعد: جدًا.

قالت السيدة نيرمين بعد تردد: إنها مخدرات.

سعد: ماذا؟ لو عرفت الشرطة ستكون كارثة.

السيدة نيرمين: اهدأ، سأشرح لك... أرسلت إليه مزهرية بها ورد جوري أحمر جففته بعناية شديدة، وهي هدية قيمة في عالم رواد الأعمال، وتعني الازدهار الأبدي، عندما تجف الوردة يصبح لب ساقها إسفنجيًا محاطًا بجدار خشبي، أخرجت اللب وحشوته بلفافات من المواد الممنوعة، ثم وضعت الورد في مزهرية أثرية تساوي الملايين، لكن قصتها ليست مشهورة لذا لن يستطيع مختار تثمينها، لكنني تركت له فرصة أخيرة ليكفر عن خطئه، تركت له رسالة مستخدمة نفس الشيفرة التي استخدمتها أختي، لكن الأرجح أنه لم ينتبه لها، ولم يفكر بحلها.

سعد: ما هي الشيفرة. (قالها باحتقان)

السيدة نيرمين: 27 10 27 8 - 24 5 20 20 26 - 22 5 4 4 - 24 6 25 16 26.

سعد: ما هو فحواها؟

لكنها لم تجبه لذا اضطر لفكها بنفسه.

27	10	27	8	24	5	20	20	26	22	5	4	4	24	6	25	16	26
و	ر	و	د	م	ج	ف	ف	ه	ك	ج	ث	ث	م	ح	ن	ط	ه

سعد: لماذا فعلت ذلك أصلًا؟

السيدة نيرمين: أنت قلتها، قد يجد طريقة للطعن بكل تلك الأدلة.

ابتسم حينها بخبث، وقال: إذا لم تجد دليلاً... فصنعه!

السيدة نيرمين: أنت تفهم لعبتك الآن!

سعد: شكرًا، أنا محام وهذا عملي!

بدا فخورًا جدًا وواثقًا بنفسه، خصوصًا أنه بعد أن استشف من السيدة نيرمين طريقة إرسالها للهدية -اللطيفة- قرر أن احتمال اكتشاف الشرطة أنها وراء تلك الهدية ضئيل، وأكدت السيدة سيرين قوله.

سعاد: لكن أليس هذا افتراء؟

أمل: لا تقلقي، نحن نقتله بسيفه!

سعد: حسنًا هذا ما لدينا نحن!

كانت نور صامتة طوال الوقت. كانت تدرس كل شيء بصمت! كنا نجلس ونحن نتوقع أن يصل مختار في أي لحظة.

كسرت نور صمتها أخيرًا: حسنًا الآن لدينا مهمة إنقاذ ماريا.

سعاد: وقت الاستراحة في السجن هو من العصر إلى مغيب الشمس، تخرج السجينات وفقًا لتنسيق الشرطيات، لن تجتمع كل السجينات وقتها، ولكنه الوقت الأكثر حركة والأكثر اكتظاظًا.

أمل: ستهبط سارا بمروحية في الليل في قمة السجن ثم تنزل إلى الساحة في وقت الذروة.

مجد: بهذه الحالة يستحسن إخبار ماريا بالأمر.

سعاد: نعم، ستكون بخير إن كانت في الانفرادي أو العيادة، لأنها بذلك لن تخرج مع بقية السجينات.

سعد: هل نخبرها أنها بخطر؟

أمل: مختار يراقب السجن جيدًا، إن زرناها أو أرسلنا إليها رسالةً سيكتشف لعبتنا.

سعد: إذا نقنع سارا.

مجد: سارا سلاح قوي معدوم الإحساس، لا نضمن أنها قد لا تغتال ماريا حتى بعد معرفة أنها والدتها.

نيرمين: أتركوا الأمر لي، سأخبرها بصفتي خالتها.

نور: لن نفعل، هذا الوقت حرج بالنسبة إلى كلينا، الأغلب أنها تستعد، حتى حلول الغد يجب أن نقطع شوطًا كبيرًا، سنتحرك قبلهم، أولًا نبلغ عن وجود مخدرات في يخت مختار.

السيدة سيرين: هذا سيعطينا بعض الوقت لأنه هو من سيقود المروحية.

نور: أمل... لديك الكثير، انشري في محطات التلفاز وسائل التواصل الاجتماعي ماض مختار واذكري تفاصيل سطحية عن بعض القضايا. سنستغل الرأي العام (نقطة ضعف مختار).

سعد... كن متأهبًا، واجمع أوراقك ستذهب إلى كل شخص تمت رشوته، وتقنعهم أن يعترفوا على مختار، افعل ذلك بطريقتك الخاصة عندما أعطيك الإشارة.

سعد: سأنتظرها إذًا.

نور: زيد ألا يمكنك الذهاب إلى أشخاص عاشوا نفس المواقف والحصول على موجاتهم الدماغية لتلك المواقف؟

زيد: ربما... نعم قد يفلح ذلك.

نور: إذن اعمل على الأمر. مجد... جد طريقة أنت وسعاد لاختطاف سارا وإحضارها إليَّ سواء قبل أو بعد دخولها للسجن، وتأكدا من سلامتكما. سيدة سيرين استخدمي معارف زوجك لتصلي على شخص ذا سلطة لديه ضمير أو لدية ضغينة تجاه مختار.

سيدة نيرمين: سأساعد سعد.

سعد: لديك خلفية عن كل شخص صحيح؟

سيدة نيرمين: نعم.

نور: هذا كل شيء للآن، أية أسئلة؟

مجد: قد أحتاج أسلحةً؟

سيرين: يمكنني توفير مسدسين فقط ومسدس كهربائي.

نور: لن نقتل نملة.

معلمة مَي: ماذا عني؟

نور: ابقي هنا، أريدك أن تعتني بالجميع.

المعلمة مَي: لك ذلك.

زيد: أتوقع أنني بحاجة لزيارة مصحة نفسية لجمع مثل تلك الموجات الدماغية.

نور: اذهب إذًا، وكن حذرًا.

ســـهرنا تلك الليلة بطولها، اخترقت محطات تلفاز البلاد كلها، كما جهزت تقريرًا ليتم نشـــرة جدولته لينتشر مرة واحدة في كل مكان. وبحلول الظهر كان كل شيء يسير وفق الخطة، أنجز الجميع عمله إلا زيد الذي أنهى جمع الموجات، ثم عكف على صـناعة جهاز صـغير يبث تلك الموجات. لكنه احتاج إلى موجات من دماغ مختار لكي يســتطيع اســتخدام كل تلك الموجات التي جمعها.

لذا احتجنا لبعض الحيل، أولًا اتصـــلت به الســـيدة نيرمين بحكم أنها قلقة لأن نور وســـارا لم يحضرا يومها للعمل، وطلبت منه الحضور إلى المقهى لتستفسر منه، وبالفعل جاء.

عندما ركن سـيارته، ودخل المقهى سـارعنا إليها وقمنا برش (الفينولفثالين) على النوافذ، ومن المخطط أنه سـيسـير في طريق محدد لأنه الوحيد الذي يوصـله إلى قلب المدينة "مقر عمله"، وعندما يمر من تحت الجسر سنرش السيارة من فوق الجسر بـــ(هيدروكسيد الصوديوم) بحيث يتحول لون النوافذ إلى الأحمر عندما تختلط المادتان.

هذا التأثير ســيجعل الأمر كما لو أن دماءً تســيل على النوافذ، اعترض مجد بدايةً هذه الفكرة لأنه يمكننا استبدال هذا الخدعة الصعبة بحبر أحمر، لكن زيد قال إنَّ ظهور اللون الأحمر فجأة على النوافذ من دون سبب يعرفه مختار سيزيد من اضطراب موجات دماغه، وهو ما يحتاج.

فكرة خلط المواد الكيميائية كانت من فكرة سعاد، وقد أدت إلى نتائج مثمرة.

في المقهى وعندما سألت السيدة نيرمين مختار عن نور وسارا، قال إنهما ربما تعرضتا لدوار البحر، وهم متعبتان لذا لم يجيبا على الهاتف، إنه وغد!

في أثناء تجهيزهم للسـيارة اخترقتُ نظام الشـبكة اللاسـلكية الذي كان مختار يربط به الهاتف والسماعات، وذلك من أجل تسجيل الموجات الدماغية له، كان عملًا صـعبًا بصـراحة، صـعبًا كثيرًا لكننا نجحنا!

بالطبع رشـــشـــنا خلطتنا على النوافذ الجانبية فقط لأننا لا نريد أن يموت مختار الآن، لدينا صولات وجولات معه لم ننهها.

ارتبكت قيادة مختار قليلًا عندما رأى اللون الأحمر على النوافذ وحسـبه دمًا، فاصـطدم بحائط أمامه مما أدى إلى تشغيل الوسادات الهوائية للسيارة استجابةً للصدمة، ولحسن الحظ لم يتأذ، واستطاع الاتصال بأحد موظفيه ليأخذه للمستشفى.

كانت فرصـتنا، خصـوصًـا أن السيارة اصـطدمت في نقطة عمياء لآلات المراقبة، لذا سـارعنا بمسح آثار (الفينولفثالين وهيدروكسيد الصوديوم)، وقد ظهرت هذه الفكرة في رأس نور عندما وجدت أن السيارة استقرت في نقطة عمياء لآلات المراقبة وقالت: سأجعله يظن نفسه مجنونًا!

طبعًا من فعل ذلك هم السيدة نيرمين، مجد، سعاد، سعد، بينما أنا ونور والمعلمة مي نتابع ما يجري، وزيد كان في منزله يعمل على جهازه.

حصلنا على ما نريد، لذا أعطت نور الأوامر بتنفيذ الخطة، بدايةً أبلغنا الشرطة -باستخدام رسالة نصية أرسلناها من موقع ورقم هاتف، ثم رميناهم في الماء كي لا تتعقب الشرطة الهاتف- عن الموقع الدقيق للمخدرات، تزامن ذلك مع إبلاغ مختار الشرطة أن نوافذ سيارته سالت عليها الدماء فجأة، ولم تجد الشرطة دليلًا على ذلك، لذا أول ما تبادر للشرطة هو أنه تعاطى شيئًا من تلك المخدرات، وسارعت بتفتيش اليخت، وصار مختار على ذمة التحقيق للوقت الراهن.

ثانيًا ذهب سعد مع السيدة نيرمين -كمحاميها الخاص والمسؤول القانوني لها- إلى العديد من رواد الأعمال الذين تعاونوا مع مختار، قالوا لهم إن مختار في ذمة التحقيق، ونصحتهم السيدة نيرمين بالانقلاب عليه؛ لأنهم بذلك سيحافظون على صورتهم أمام العامة، وقد يحصلون على تخفيف في الحكم.

حينها ظهرت وجوه أخرى لهم (كنت أرغب في التخلص منه منذ زمن)، قالها أحدهم وقد كان من أهم شركائه، شعرت أنهم عبَّاد للمال، ليسوا مجرد رواد أعمال!

أقنعوا القاضي باتهام مختار بالرشوة، وأنه قبلها منه ليستخدمها كدليل على رشوته، لكنه كان الأشد وفاءً، ولم يقتنع إلا بعد أن قال له سعد: مختار في مركز الشرطة الآن، وهو يدلي لهم بالكثير، لذا سارع بحماية نفسك قبل أن يتهمك بطلب الرشوة!

أفضل جزء هو أنني كنت أشاهد وأسمع وأسجل كل ذلك ومعي المعلمة مي ونور وسعاد ومجد، قالت المعلمة مَي: أرادت نيرمين إظهار هذا الوجه منذ وقت طويل، أشعر أنها شخص خبيث كتم حقيقته لزمن!

قالتها بفخر!

نور: لكنهم صدقوا ولاءها لهم.

المعلمة مَي: هذا لأنها أتقنت دورها، والأهم أنهم لا يثقون ببعضهم!

اتفق سعد مع أولئك الحمقى أن يعترفوا جميعهم بوقت معين حددته نور.

الخطوة التالية نشر التقرير في كل مكان، الآن هو وقت تجمع العائلات أمام التلفاز في أثناء تناول العشاء، وأيضًا في هذا الوقت تكون المقاهي والملاعب مكتظة، وبما أنني اخترقت

أنظمة البث في البلاد كلها، حتى مواقع التواصل الاجتماعي أرسلت التقرير لعرض في كل مكان في الوقت نفسه.

احتوى التقرير على القصة التي قالها مختار بأنه قتل في طفولته، وانتحل شخصية الضحية مستغلًا بذلك الأم الضريرة. كل العمليات المالية غير القانونية منذ أربعة عشر عامًا وحتى الآن، مع ذكر عدد شركائه ومجالات عملهم دون ذكر أسمائهم. وتقارير ووثائق لكل عملية ذُكِرَت وأغلبها عليها توقيع مختار، والقنبلة أننا كشفنا مكان وكلمة السر للخزنة التي يحتفظ بها مختار بكل تلك خطاياه، حتى لو غير كلمة المرور لن يستطيع نقل الأدلة بسرعة والسلطة ستطالبه بفتح تلك الخزنة. لكنني لم أعط معلومةً واحدة عن أي جريمة قتل، لكن العامة سيساورهم الفضول، وستبدأ الإشاعات بالانطلاق وهو هدفنا.

ما إن سمع الحمقى، ورأوا الأدلة حتى هرعوا للاعتراف ضد مختار بما طلب منهم سعد.

كنا نشاهد ونضحك، ومختار لا يعلم بما يجري لأنه موقوف حاليًا، لم أظن يومًا أنني سأستمتع بتدمير حياة أحدهم! لكنه يستحق!

انتهى التقرير والبلاد في فوضى عارمة الآن، السلطات بدأت تحقيقاتها، والأهم أنهم يحاولون بشتى الطرق معرفة مصدر هذه التقارير، ويشكون أنه الشخص نفسه الذي أبلغ عن المخدرات، لقد أصابوا نوعًا ما! لكنهم لن يستطيعوا تحديد موقع جهازي وذلك لسبب بسيط، أجهزتهم لن تستطيع تعقب الإشارات التي تصدر عن جهازي؛ لأنها ستكون غير مرئية بالنسبة لهم.

بهذا الوقت كنا أنا وإخوتي مجتمعين نشاهد الأخبار ونتابع الأحداث، ما يؤرق نور حاليًا هو اختفاء سارا، لم نعثر عليها، لكننا مطمئنون قليلًا؛ لأنها لن تستطيع التسلل للسجن بما أن مختار ليس موجودًا ليقود المروحية، وبما أنها مختفية لم يستطع مجد، وسعاد العثور على طريقة لاختطافها، والأدهى من ذلك أنها تملك شهادة وفاة تصعب علينا ملاحقتها!

رن هاتف مجد... رقم غير مسجل... فتح مجد الخط، لكنه لم يتكلم وانتظر الطرف الآخر ليبدأ الحديث...

-مجد؟

مجد: من المتكلم؟

-توجه للمقر حالًا لدينا مهمة لك.

مجد: المقر؟ أنتم من المعسكر؟

-نعم، لديك مهمتك الأولى.

مجد: قادم.

أغلق الخط.

نور: لا نعلم الهدف الحقيقي، لكنه ضمن خطة مختار.

مجد: أتوقع ذلك، سآخذ المسدس الصاعق معي.

أمل: لا تترك جهاز المعصم، ربما يكونون اكتشفوا أمرك.

مجد: لك ذلك.

قالها وخرج من باب المنزل، لكن سعد لحق به ليعطيه مفاتيح السيارة ظنًا منه أنه نسيها.

كان زيد قد وصل وقتها، سمعنا حديثهم أسفل الدرج، بدا أن زيد ألقى التحية، وتابع صعوده للمنزل.

مجد: مهلًا أين تذهب؟

زيد: انتهيت من العمل على الجهاز.

سعد: جيد، لكن أين تذهب.

زيد: سوف أريه لنور، أليست هي القائدة؟

مجد: اســـمع عزيزي زيد، إن أردت التحدث لإحداهن حتى لو كانت نور عليك إما إعلامنا برسالة نصية، أو اتصال أو حتى إن تطلب منا شخصيًا.

زيد: أنتما؟

مجد: نعم نحن.

سعد: ويفضل أن أكون أنا أو مجد أو كلينا موجدًا إذا أردت الحديث معهن.

مجد: أنصحك بالخيار الثالث الذي يقول كلانا.

سعد: وأنا أيضًا.

كانت سعاد تستمع لحديثهم وتبتسم بمكر.

أمل: ما خطب هذا الوجه يا سعاد؟

سعاد: لا شيء، أشعر فقط أنني عظيمة.

كانت تقول ذلك، وهي تغتر بنفسها.

دخلا ولاحظا ملامح سعاد.

سعد: ما خطب هذا الوجه؟

وقتها نهضت تسير ببطء وخيلاء إلى أن دخلت غرفتها.

قلت أكتم ضحكتي: إنها تشعر بالفخر!

سعد: بماذا؟

أمل: لا شيء مهم، ألم تعطي المفاتيح لمجد؟

سعد: قال إنه سيركب الحافلة؛ لأنه لا يريد لأحد تعقب رقم السيارة.

نور: معه حق.

سعد: وصل زيد، إنه على الباب.

سألت نور، وهي تعلم الجواب سلفًا مما سمعته: هل معه الجهاز؟

زيد: إنه معي... معي.

بدا متذمرًا.

أمل: سأذهب لأتابع تحركات مجد.

نور: أين وصلت به؟

سعد: نعم أين وصلت به؟

زيد: لا تكرر كلامها...

قاطعه سعد: هل لديك مشكلة في ذلك؟

زيد: كلا... إنسا الأمر!

سعد: أين وصلت به؟

كنا نسترق السمع أنا وسعاد ونحن في غرفتنا.

زيد: أنهيته.

سعد: جيد، كيف يعمل.

زيد: هذه القطعة الصـغيرة سـنجد وسـيلة لحشـرها في أذن مختار، إنها من يطلق الموجات الصوتية في أذن مختار دون غيره ولمرة واحدة. أما عن إعطائها أمر التشغيل فهو عن طريق زر نتحكم به عن بعد.

نور: ماذا سيحدث عندما يسمع مختار هذه الموجات؟

زيد: لحظتها سيشعر وكأنه يعيش لحظات احتضار متعددة في آن واحد، وبعدها وعندما يرى أنماط وأشكال لها علاقة بمواقف حدثت معه شخصيًا سيصاب بالهلع، وشيئًا فشيئا سيموت دماغه ليقتصر عمله على الحواس الخمس والذكريات، وسيستحضر شعور الاحتضار في كل مرة يسمع بها صوت عصفور. ولكم أن تتخيلوا حاله وقتها.

سعد: يا صاح... هذا رائع، ولكن لماذا لا نطلق الموجات الصوتية بشكل جهور، أليس أسهل؟

زيد: إن كان لدى أحد مواقف أو ذكريات تبعث موجات دماغية مشابهة قد يتضرر دماغه، لا أريد إلحاق الضرر بأحد.

ثم قدم الجهاز الصـغير وجهاز التحكم عن بعد إلى نور وقال: أطلقيه متى شئت شريطة أن يكون مختار مضطرباً، كأن يكون متوترًا أو خائفًا مثلًا.

نور: عمل عظيم، شكرًا لك.

زيد: الشكر لكم، كنت عاجزًا عن الثأر لعائلتي إلى أن التقيتكم.

سعد: لا عجب... لقد وضعت جل بغضك لمختار في هذه القطعة الصغيرة.

زيد: تخططون لقتله في النهاية... أليس كذلك؟

نور: أجل.

سعد: لكن نحن اتفقنا أن نجعله يرى الموت ولا يجده.

نور: طالما أنه على قيد الحياة فلديه فرصة!

سعد: هكذا إذًا!

ثم وبعد مغادرة زيد نهضت نور وجاءت للغرفة وهي تستند على سعد، لا يمكنها السير بسهوله بسبب جرحها، لذا تستند علينا عندما تريد التحرك، وأغلب وقتها تقضيه جالسة.

لكن ربما أنها مرهقة لذا جاءت لتستلقي، ثم سألتني عن مجد.

أمل: لن تتوقعوا ذلك.

نور: ما الأمر؟

أمل: وصـل مجد للمقر توًا -المقر ليس نفسـه المعسـكر، المعسـكر بعيد عن المدينة، أما المقر فهو في قلبها- اسمعوا.

- لقد ركَّبنا أجهزة تنصـت فيكم كاختبار أخير، وأنتم من استطاع اكتشـاف ذلك وتخلصـتم منه بطرق ذكية، وبسبب ذلك تم ترشيحكم لتكونوا حرسًـا خاصًـا بالسيد مختار، وبما أنه الآن في وضع شائك قليلًا مع ذلك عهد إلينا مهمه، السرية والتضحية مطلوبين.

نور: كم شخصًا معه؟

أمل: قرب مجد هناك اثنان والشخص الذي يتكلم.

بالطبع وبما أن الموضــوع يخص مختار فلا ســرية هنا، لكن لا يجب أن يتســرب هذا الامر للعامة وسيكون بيننا.

يتعامل هذا الشخص مع مجد وزملائه بالأرقام بدل الأسماء.

-ستساعدون شخصًا في التسلل إلى سجن سنحدده لكم، عليكم أن تضمنوا سلامتها، وعودتها ونجاح مهمتها، إنها تعتبر اهم شخص بعد السيد مختار، وهي من أقوى الحراس، أفضل حتى من مدربيكم، لنقل أنها قادرة على قتل مئة بضــربة، لكنها لم تفعل بعد، من تســند لهم مهمات معها يعتبرون محظوظين، مفهوم.

قالوا جميعهم صوتًا واحدًا(مفهوم).

ثم ذهبوا لمقابلة شخص آخر، إنها سارا!

بدا أنها دهشت لرؤية مجد.

سارا: أنت مجد؟

مجد: نعم.

لحســن الحظ يتمتع مجد بثبات انفعالي عالٍ، ويمكنه كتم مشــاعره، لذا لن ترتاب ســارا من ملامح وجهه مثلًا!

يبدوا الأمر أن سارا لم تختر من يقوم بالهمة، طلبت فقط أفضل المرشحين.

سارا: بالمناسبة، أين تسكن؟

لكن مجد لم يجب.

سارا: ألن تجيب؟ أنا هنا بمقام العميل عدا أنني مسؤولة عن هذه الشركة بطريقة ما.

لكنه لم يجب...

سارا: أستطيع طردك!

مجد: الحي الخامس، الشارع السابع-لم يكن منزلنا-.

سارا: مع من تعيش؟

يمكنني الجزم أن الاثنين الآخرين في حالة صدمة، ربما يقولون ما خطبها وما خطب أسئلتها؟

مجد: لا يحق للعميل معرفة أي معلومات شخصية عن الحارس، أما الشركة فيمكنها معرفة معلومات سُجِّلَت عند التحاق الحارس بالتدريب أول مرة، ومن ضمنها مكان السكن.

سارا: هكذا إذن، أنت مطرود.

تدخل حينها الشخص الذي أوكل المهمة لمجد والبقية وقال: تريثي، إنه القناص الأفضل على المدى القريب والبعيد، كما أن له مهارات عالية، ولا يمكن الاستغناء عنه، فضلًا عن أنه المرشح الأفضل لقيادة المروحية.

لم يعجب هذا الكلام سارا، كانت تعلم أنها أذنبت بحق نور، ومجد له علاقة جيدة بنور على حد معلوماتها، ربما هذا ما يقلقها.

سارا: هكذا إذن، سيقوم بالمهمة وحدك دون البقية.

-متأكدة؟

سارا: بل سأتأكد! ستُنَفَّذ المهمة هذه الليلة، ولا مجال للخطأ طبعًا. ولمعلوماتك لا شيء سيوقف المهمة!

أمل: هل يعقل أنها تعرف ما فعلناه؟

نور: لا ولكنها النفس البشرية، عندما تخطئ تستحضر خطاها طوال الوقت في بالها، فينعكس ذلك على سلوكها.

أمل: لذا ربما ترى أن مجد عدو لها.

سعاد: أرجح أنها ستتخلص منه عندما تنهي أمر أمها.

سعد: مهلًا لحظة، لقد بحثوا سابقًا عن مجد، وسألوا الناس عنه، هل يعقل أنها تعرف من هو؟

نور: بحثوا عنه لأنه على صلة بي، أرادت الوصول إليَّ فقط.

أمل: على كل علينا إخلاء المنزل وإيجاد مكان آخر للعيش فيه، مسألة وقت قبل أن يصلوا لنا.

سعد: ما الذي دفعك لقول ذلك؟

أمل: يمكنهم تتبع موقع المكالمة أو ظهور مجد في آلات التصوير.

سعاد: ويحي، أين نذهب؟

نور: منزل السيدة سيرين لن يكون آمنًا.

سعد: ربما دار الإيواء التي كنا فيها.

نور: بعيدة جدًا.

سعد تبًا... لنسأل السيدة نيرمين والمعلمة مي.

سعاد: نعم هذا ممكن.

لكن نور ظلت صامتة، ستتكلم عندما تجد حلًا.

عند مجد كان الأمر تحت سيطرة مجد نوعًا ما، لأنه هو من سيقود المروحية. وضعا الخطة ولم يعلما بها أحدًا، كما احتفظت سارا بسبب نزولها للسجن لنفسها، المطلوب من مجد هو أن يقود المروحية، وينزلها في السجن، وقد أخبرته أي سجن هو.

مجد: أليست مخاطرة أن تنزلي بمروحية، هناك سبل أكثر ضمانًا.

سارا: أعلم لكنها رغبة السيد مختار، لذا المهمة أهم حتى من كلانا، بالطبع لا يحق لك السؤال عن أي تفاصيل لم أذكرها لك، أتفهم؟

مجد: أفهم.

سارا: أولًا سأنزل من المروحية في منتصف الليل، وأنت ستعود بالمروحية، في اليوم التالي في الساعة الخامسة والنصف بالضبط عليك أن تظهر وتسحبني إلى المروحية، سأكون هنا، وبذلك تنتهي مهمتنا.

ربما أشارت إليه على خريطة أو ما شابه عن الموقع.

مجد: علم.

سارا: سننطلق بعد أربع ساعات وثلاث وعشرين دقيقة، جهز المعدات.

مجد: علم.

وانصرفت سارا.

بقي مجد وحده قليلًا، ناديته من السماعة في أذنه.

أمل: مجد، اهدأ، تريد نور منك أن تنزل ســارا في قرب الســجن بحيث نأخذها من هناك، إن كنت تستطيع فعل ذلك أرجع ظهرك على الكرسي، وإن كان لا اتكئ على الطاولة.

لكنه بقي دون حراك، اتكئ على الطاولة.

نور: هذا لأنها هي من سيهبط، وسترى موضع هبوطها.

تحدثت نور بعدها لمجد: هل تعلم السلاح الذي ستستخدمه سارا.

بقي مجد متكئًا، لم تعطه ما يكفي من المعلومات.

سعاد: حتى لو افترضنا أنه تخلص من سلاحها، ستستطيع تنفيذ خطتها بدون سلاح، ولن يكون ذلك صــعبًا عليها. هناك الكثير من الحالات التي قفزوا من أماكن مرتفعة أو حتى كســروا أعناقهم ليمتوا، وأتوقع أنها ستستطيع فعل ذلك دون أن تترك أثرًا لها. كما أن سبب اختيارهم منتصف الليل هو أن هناك بعض السجينات اللواتي يخرجن ليلًا بمفردهم ليتوجهوا للعيادة أو الحمامات، وإن استهدفت الحمام ستستطيع التنكر بإحداهن بإفقادها وعيها وهذه أسهل وأضمن طريقة.

أمل: سمعت ذلك يا مجد؟

أرجع ظهره للكرسي.

نور: مجد... إن كنتم ستأخذون أسلحة نارية تأكد من إفراغ الذخيرة واحتفظ بصاعق كهربائي معك، وقبل أن تهبط سارا أفقدها وعيها، ضع بالحسبان أنها قد لا تثق بك كثيرًا، وربما تقتلك ببساطة.

حينها نهض مجد وذهب ليبدأ الاستعداد.

ســعد: ربما يمكننا إطلاق مادة مخدرة عليها من مكان قريب عندما تبدأ بالهبوط؛ ثم وبكل بســاطة تنزلها قرب الســجن كما طلبت منك نور بدايةً، ونأخذها من هناك، إن كنت تســتطيع التفت برأسك نحو اليمين، وإذا لا التفت نحو اليسار.

فالتفت نحو اليمين.

سعاد: سأصنع المادة المخدرة.

سعد: سأذهب للحصول بندقية تخدير من متجر الرحلات.

سعاد: سأجهز كمية احتياطية.

أمل: أنتما مخيفان يا رفاق.

سعد: ليس بقدرك.

نور: لدينا وقت قليل، مجد سيذهب بالمروحية، ونحن نذهب بالسيارة.

بدأنا التنفيذ، لم نخبر أحدًا أننا سنفعل ذلك. خرجنا جميعًا، وجلبت جهازي معي، كنا نسمع ما يحدث مع مجد، ونعلم أين هم الآن من خلال جهاز المعصم والسماعة، انطلقوا ونحن لا نزال في طريقنا، وصلنا قبلهم بعشر دقائق فقط، أسند سعد البندقية على ظهر السيارة كي يطلق السهم المخدر على سارا، ولأن الظلام دامس لن تستطيع سارا رأيتنا ولا نحن لن نراها؛ لأنها استعدت مسبقًا، وارتدت عباءة سوداء فوق ملابس السجن، يبدوا أنها لن تفقد أحدًا وعيه كما قالت سعاد.

سعد: تذكرت أمرًا مهمًا.

نور: ماذا؟

سعد: لا أجيد الإطلاق!

شعرت باضطراب مجد بعد أن سمع ما يقوله سعد.

نور: سأفعلها.

سعد: يمكنك؟

نور: لن أعرف إذا لم أجرب.

يا إلهي، أفضل قناص يقبع في المروحية فوقنا، نحن نعتمد على الحظ.

سعد: نور... ألم تجهزي خطة بديلة وخطة بديلة البديلة؟

جهزت خطة بديلة واحدة فقط، وهي أن يسحب مجد سعاد للمروحية، ثم تهبط كما فعلت سارا.

سعاد: لم تخبريني!

نور: تعرفين كل شبر في السجن.

سعاد: لكن...

نور: بدون لكن.

ثم استندت نور على ظهر السيارة، وعلى الرغم من أن الجرح كان يؤلمها، إلا أنها كابرت، استعانة بآلة التصوير الحرارية من أجل تحديد موقع سارا، ومن ثم أطلقت سهمها.

لم تصبها! كما أن سارا شعرت أن شيئًا مر بقربها، وجهت مسدسها نحو الحبل الذي يربطها بالمروحية وحاولت الإطلاق، لكن مجد كان قد بدل الذخيرة بأخرى مزيفة كانوا يستخدمونها في تدريبهم!

وهذا أعطى نور فرصة أخرى لإطلاق السهم، ونجحت هذه المرة!

غير مجد اتجاه المروحية وكأن سارا قد هبطت بالفعل وثم أنزلها قربنا، فالتقطناها وقيدناها داخل السيارة. بينما عاد مجد أدراجه كما اتفق مع سارا.

مجد مراقب تمامًا، لذا لا يمكنه التحدث معنا أو الخروج عن مسار الخطة، نجح بتسليم سارا لنا فقط عندما استغل الظلام الدامس!

حينها عدنا أدراجنا ومعنا أسيرتنا التي قيدناها، كان أمامنا خمس ساعات فقط -ابتداءً من لحظة التخدير- قبل أن تستيقظ سارا.

سعد: أين سنأخذها؟

نور: المقهى، اتصل بالسيدة نيرمين.

سعاد: لم لا نذهب لمنزلنا؟

نور: لا أنوي إخبارها بمكان المنزل، ولا عنكم.

ثم توقفت لتستريح، لا يمكنها قيادة السيارة لثلاث ساعات متواصلة بسبب جرحها، خصوصًا أنها الآن متعبة بسبب الوضعية التي آذت جرحها عند الإطلاق، لذا كان علينا التوقف مرارًا.

أخبرنا السيدة نيرمين بالأمر، فانتظرتنا في المقهى، وأدخلتنا من الباب الخلفي بعد أن تأكدت من إطفاء آلات المراقبة في المكان.

ربطنا سارا بكرسيٍ قبل أن تستعيد وعيها، وثبتناها جيدًا في غرفتها في الطابق العلوي.

منعتنا نور من التحدث معها أو السماح لها برؤيتنا، اتفقنا أنها هي فقط من سيتعامل معها.

استفاقت سارا في أثناء تبديل نور لضمادها، لذا راحت الأولى تصرخ وتنادي بالذي أحضرها إلى هنا، نطق مجد أخيرًا وأخبرنا أنها تستطيع فك قيدها خلال عشر دقائق إذا كنا قد قيدنها بحبل.

مجد: أنا قادم الآن إليكم، لا تفعلوا شيئًا، سأصل خلال عشر دقائق.

أمل: ألن تكونَ بذلك قد خرجتَ عن خطتها؟

مجد: لا تقلقي بشأني.

كانت نور لا تزال تغير ضـمادها في الحمام، مرت عشـرون دقيقة ولم تخرج، بدأنا نشـعر بالقلق، استيقظت تلك المجنونة منذ ربع ساعة، ونور أخذت وقتًا أكثر مما يجب!

ذهبت سعاد لتفقدها، نادت عليها مرات عدة، لكن بلا جواب، قالت: إن لم تجيبي سأدخل!

بعدها سـمعنا صـراخ سـعاد فهرعنا إليها، حتى سـارا توقفت عن التذمر بعد سـماعها صـوت الصراخ!

لقد كانت مرمية على الأرض فاقدةً وعيها وجرحها مفتوح!

حضـرت الإسـعاف ونقلتها للمسـتشـفى، كانت قد فقدت الكثير من الدماء، أكثر حتى من المرة التي طعنت بها!

كنا نلوم أنفسـنا، نحن من جهل كيف يطلق سـهمًا، أو يقود سـيارة، نحن من اضـطرها إلى فعل كل ذلك... لن أسامح نفسي إن أصابها مكروه!

(ستخضع لخياطة الجرح مرةً أخرى، ونحتاج إلى متبرع بالدم؛ لأن مخزون المستشفى قليل، أحضروا أحدًا حالًا!)

هذا ما قالته الممرضة!

أمل: ما هي زمرة دمها؟

سعد: أذكر أنها تبرعت لك عندما أصبت في الحادث.

مجد: o- وأمل AB

سعد: ماذا عنك؟

مجد: A +

سعد: لا أحد منا يمتلك زمرتها...

مجد: سارا لديها نفس الزمرة!

سعد: أين تذهب؟

مجد: لأحضرها إلى هنا.

سعد: وإن لم توافق؟

مجد: سأضطر لفعل ذلك بالقوة!

كانا يصرخان بوجه بعضهما لدرجة أنهما لم يسمعا المعلمة مَي تقول: أنا أمتلك هذه الزمرة!

قالتها وهي تذهب خلف الممرضات!

حنيها اطمئن الجميع قليلًا، وهدأ كل من مجد وسعد.

لم نستطع ترك سارا وحدها في المقهى لوقت طويل، لذا ذهب مجد والسيدة نيرمين، وأطلعا زيد والسيدة سيرين على ما يحدث. وعندما وصل مجد والسيدة نيرمين للمقهى اختلسا النظر من شق الباب، فوجدا أن سارا قد فكت قيدها بالفعل، وجداها تقف منهارة أمام مجموعة أوراق تحدق بهم.

عرفت ذلك لأنني سارعت إلى جهازي لأرى لماذا لم يطلق جهاز المعصم الخاص بنور أي تحذير، كان يشير منذ البداية إلى حرارة جسد ودقات قلب طبيعية، وعندما تفقدت الموقع تبين لي انها أعطت جهاز المعصم لسارا! ربما كانت خائفة من أن تصاب بأذى وتكون هي السبب!

مجد: ماهي تلك الأوراق؟

السيدة نيرمين: لا أعلم، وضعتها نور في الداخل، أعتقد أنها أرادت أن تخبر سارا بشأنها.

مجد: هل سنتكلم معها؟

السيد نيرمين: لا فقط اضمن أنها لن تخرج من الغرفة، تذكر لا تريها وجهك.

سمعتهم من الجهاز الذي بمعصم مجد، وسمعت سارا تتمتم " أمي" وتكررها.

أخبرت مجد بذلك، لذا نعتقد أن ما وضعته نور في الغرفة كانت أدلة أن سارا هي ابنة ماريا ومختار!

خرجت نور من غرفة العمليات أخيرًا، كان الطبيب غاضبًا: قلتم إنكم ستعتنون بها جيدًا لذا وافقنا على خروجها من المستشفى أول مرة، هل تعرفون حجم فعلتكم؟

سعد: كيف حالها الآن؟

قالها متوسلًا بعيني دامعتين.

الطبيب: إنها حية، لكن لا أعلم ان كانت ستبقى كذلك وهي معكم!

ثم انصرف على حاله يُحَوْقِل!

الممرضة: لن تخرج المريضة من المستشفى قبل أن نتأكد أن الجرح التأم تمامًا وأن لا خطورة عليها.

سعاد: حسنًا، بعد كل شيء هذا أفضل لها، حمدًا لله أنها بخير.

زمجرة الممرضة: بخير! هي فقط نجت من الموت، لن نتهاون معكم ألبته!

كان كلامهم جارحًا، كنا بالأصل نشعر بالندم.

سـعد: لا يجب أن يتكرر ذلك، أمل ابقي مع نور في المسـتشـفى، وسـنحرص على متابعة ما بدأناه.

قالها بحزم شديد وانطلق يجر سعاد والمعلمة مَي خلفه، لقد وصلنا لنقطة لا رجعة فيها!

نقلت الممرضـــات نور إلى غرفة التنويم، كنت أجلس في كرســيِّي قرب ســريرها... أراقب قطرات المحلول الوريد تتدحرج في أنبوبها ثم تقتحم ســاعدها... أســمع صــوت جهاز قياس نبضات القلب، وأنا أمسك بمعصمها، نبضه... نبضتنا... ثلاث نبضات!

أرجوك كوني بخير، أرجوك يا نور، لن أسامح نفسي إن حدث لك مكروه.

ذرفت دموعي وأجهشت البكاء، وما كان مني إلا أن انحنيت عليها أحتضنها.

كان الصـمت يعم المكان إلا من صـوت بكائي، أشـعت الشـمس تحاول التسـلل بعند من تحت الستائر الغليظة.

أشعر أن الزمن توقف هنا، كانت أثقل لحظات حياتي.

(ألست أمل؟ يجب أن أتفاءل إذن!) قاطعني صوتها المتعب.

نظرت إليها، كانت تتألم، لم تقو حتى على فتح عينيها، بربك... من يواسي من؟

ضغطت الزر لأنادي الطبيب الذي طلب مني إعلامه عندما تستفيق نور، هرعت الممرضة والطبيب إلينا، لم يصدقوا أن نور استيقظت بهذه السرعة.

نور: كنت أسمعكم طوال الوقت!

كلامها ثقيل متعب!

الطبيب: منذ متى تحديدًا؟

نور: خلال الخياطة.

الطبيب: يعني أنك استعدت وعيك عقب تلقيك الدم.

نور: سمعت ذلك أيضًا.

دهش الطبيب (لديك همة قوية) هذا ما قاله.

نور: أنا من سبب الأذى لنفسه، لا أسمح لكم بإلقاء اللوم على أحد!

أمل: نور... نحن فعلًا تسببنا لك بذلك، الطبيب لم يخطئ.

نور: كنتم تتبعون تعليماتي.

أمل: توقفي عن التضحية، أرجوك! إن أردت حمايتنا عليك أن تكوني بخير لتفعلي.

الطبيب: ما تقوله هذه الفتاة صحيح، ستؤذين من حولك إن لم تضمني سلامتك.

كان هذا آخر ما قالته، خرج الطبيب بعدها وتركنا وحدنا.

اتصلت بي سعاد لتسألني عن حال نور.

أمل: لم تستيقظ بعد أن رحلتم.

سعاد: لـ... لـ... لم؟

أمل: استيقظت خلال الخياطة.

سمعت سعاد تصرخ بالجميع حولها: لقد استيقظت نور!

سمعت هتافهم، الجميع كان موجدًا.

أمل: نور... إنهم سعدون لأجلك!

حينها ابتسمت بصعوبة.

أخذ سعد الهاتف من سعاد، وقال: أخبري نور أن كل شيء على ما يرام، عليها أن تستريح فقط.

مجد: سننهي قضيتنا قبل الخامسة ونصف مساءًا، ولقد نامت سارا بعد أن رأت الوثائق، اطمئني تمامًا.

خاطبتُ نور: أشعر أنه هدوء ما قبل العاصفة!

نور: إنه هدوء مركز الإعصار!

فتحت نشرت الأخبار لأثبت كلامها المثبت!

أُلْقِي القبض على الكثير من رجال الأعمال والفاسدين، التحقيقات جارية والحال مستنفر، ومختار لن يفرج عنه في الوقت الراهن.

نامت نور، ولم أجرؤ على إيقاظها، لم تنم بعمق هكذا منذ وقت طويل، لكنها اســـتيقظت في التاسعة صباحًا، فتحت عينيها، ثم طلبت تعديل ارتفاع ظهر السرير.

نور: كيف حال سارا؟

أمل: هادئة.

نور: أريد الذهاب والتحدث معها.

أمل: لن يسمحوا لك بالخروج.

نور: سنتسلل إذًا.

أمل: لن أسمح لك! يمكن للسيدة نيرمين تولي أمر سارا.

نور: لا، سيكون وطء خبر أنني ما زلت حية ذو تأثير.

أمل: لكن سارا قرأت الوثائق فعلًا.

نور: وما الذي فعلته؟

أمل: ظلت مندهشة لوقت طويل، ثم نامت.

قال وجهاه: هكذا إذًا.

نور: هل هي حقًا نائمة؟

أمل: ما قصدك؟

طلبت مني أن أريها جهاز المعصم أي تلبسه سارا بقلق، لكنها اطمأنت بعد رؤيته.

أمل: لماذا أنت مرتابة؟

نور: لديها ميول انتحارية.

أمل: كيف عرفت.

نور: مِن مجد.

أمل: أذكر أنه ذكر أن أعضـاء المهمة الواحدة عليهم الاطلاع على الوضـع الصـحي لبعضـهم، هل عرف ذلك حينها؟

قال وجهها: نعم.

لاحقًا اتصل مجد، قال: سارا تشك بأنني من سرب تفاصيل المهمة.

نور: متوقع.

مجد: ماذا نفعل؟

نور: لا شيء.

مجد: لا أعلم ما الذي يدور في رأسك، لكن لا بأس، اسمعا لقد اكتشفنا أمرًا جديدًا، هناك رجل اختفى منذ مدة، وآخر مرة شـــوهد فيها كان عندما خرج من منزله... تذكرين يا نور تلك القضية، وضعنها ضمن القضايا الشائكة صحيح؟

نور: أذكرها.

مجد: من زوجته؟

نور: تحدث.

مجد: سارا...

(ماذا) قلنا بدهشة معًا!

سعد: يبدوا أنه يحاول إبعاد الجميع عن ابنته، حتى نفسه.

سعاد: لقد وجدنا شهادة وفاة باسم سارا، لذا لم نستطع معرفة هذه المعلومة إلا عندما قالتها هي بنفسها.

أمل: ماذا قالت.

سعاد: كانت تهذي (قتلته... قتلته... أنا من قتل ناي!)

سعد: الآن نريد إيجاد جثة المدعو " ناي" قبل أن نذيع التقرير.

نور: هل لديكم فكرة عن مكانها؟

مجد: لا، ولكن لا كان هذا منذ سنتين، لا بدَّ أن نعثر على بقايا جثة على الأقل!

سعد: أقصر طريق هو سؤالها.

ظلت نور صامتةً بعد قول سعد، ثم حزمت أمرها: لتتكلم معها المعلمة مَي والسيدة نيرمين.

وبالفعل هذا ما حدث، كان الحديث مع سارا صعبًا جدًا، بالتأكيد كانت نور تستمع إليهم طوال الوقت. بداية أشـعراها بالأمان، علمًا أن مجد وسـعد كانا خلف الباب مسـتعدين لأي رد فعل عنيف من سارا، كان ذلك رأي نور، خصوصًا بعد أن عرفت قوة سارا، لذا لم يكن من الآمن ترك امرأتين في الستينيات معها، لكن أفضل حل هو التأهب.

نجحتا في الحديث معها، وقد كانت هادئة إلى حد ما، أخبرها بأن نور تحاول الانتقام من مختار وهما تساعدانها، أخبراها أن نور لا تزال حية لكنها في المستشفى تتلقى العلاج، ولا تستطيع الخروج، طبعً كل ذلك أوامر من نور، وعلى مبدأ أعطني خبرك أعطيك خبري! كنا نتساءل لماذا تشعر سارا بالحسرة على زوجها "ناي" مع أنها هي من قتله!

سارا: منذ سنتين عرف أبي -مختار- أنني تزوجت مؤخرًا، فأهداني عطرًا كهدية منه أُهْدِيهَا لناي، ففعلت وأنا سعيدة بذلك! خرجنا يومها في نزهه، وأعطيته العطر وقتها، ما إن تعطر حتى ابتعد عني مسافة كبيرة جدًا، طلب مني بهلع أن أرمي له قارورة الماء، فأخذت أفتش عنها بين الحاجات، وعندما وجدتها وهممت بإعطائه إياها لكن النمل قد نال منه، غطاه كلّياً، كان يصرخ ويطلب مني أن أبتعد، حاولت رشه بالماء لكن الماء هيج النمل أكثر، صرخ وطلب مني أن أضربه على رأسه بصخرة كانت قربي، قال إنَّ النمل سيرحل إن فعلت ذلك، قال لي أن أضربه بقوة، ومن خوفي لم أفكر وفعلت، لكن تبين أن النمل لن يتركه، أراد أن يتخلص من الألم، وقد عرف أنه سيموت لا محال. ولم يتركه النمل حتى أخفاه تمامًا، ولم يبق لي شيئًا منه كي أدفنه! لم أعرف يومها لماذا حدث ذلك، لكنه عرف منذ أن رش من العطر، عرف أن تلك المادة ستستدعي النمل، لقد كسر قارورة العطر قربه، وابتعد عني كي لا ينتقل النمل لي!

المعلمة مَي: إذن تعرفين أن مختار من قتله، لماذا تعملين لصالحه وتطيعينه إذًا؟

سارا: لقد وقف بجانبي في محنتي، سيدة نيرمين تذكرين ذلك صحيح؟ ثم إنَّه أكد لي أن حادثًا كهذا يحدث إن كان الشخص يعاني من مرض ما وأقنعني بذلك تمامًا، لم أدرك أنه قتله إلا الآن.

يا للبشاعة! لا أعلم ما ذنب المسكينة، لكنه قتل زوجها والآن يريدها أن تقتل أمها، هل يخطط للانتحار أو قتلها، لماذا لا يريدها أن تهنئ؟ لماذا يريدها أنتبقى وحيدة؟

السيدة نيرمين: ماذا ستفعلين الآن؟

سارا: أريد الاعتذار لنور أولًا.

تبادلت المعلمة مَي والسيدة نيرمين النظرات.

سارا: كدت أقتلها، يجب علي الاعتذار!

سمعت زيد يقول (إنها تكذب) لكن نور قالت (فلتأتي)!

أمل: ما الذي يدور في رأسك؟

لكنها لم تجب.

أمل: قد تقتلك!

لم تجب!

أعلم أنها فكرة في الأمر مليًا لكني لا أفهم!

وبالفعل أعطياها اسم المستشفى، أرادا مرافقتها لكنها اعترضت قائلة إنها ستذهب وحدها، ترددنا جميعًا إلا نور (دعوها كما تريد) أتساءل إن كانت نور تضع خطة انتحارية!

حضرت سارا وخرجت أنا من الغرفة قبل وصولها امتثالًا لأوامر نور، لكن المفاجأة أنها طلبت من مجد تجهيز البندقية المخدرة بحيث إن تمادت سارا يتدخل هو عند إشارة نور!

دخلت سارا الغرفة بهدوء، كنا نراقبها.

سارا: دلتاني على مكانك.

نور لم تجب.

سارا: أتفاجأ كيف أنك حية حتى الآن!

نور: لم أتفاجأ من تفاجئك.

سارا: هل تعتقدين أنني سأصدق أن تلك العجوزتين أنقذاك من الغرق بنفسيهما؟

نور لم تجب. لكن سارا كانت تتحدث بنفس سذاجتها وثرثرتها الطفولية!

سارا: أعلم أن ذلك الجرذ "مجد" متعاون معك لكنني أفتقر لدليل!

نور: تعلمين أن ماريا والدتك، ومختار والدك.

سارا: عرفت ذلك بفضلك، ولا أنكر ذلك، لقد كنت سعيدة أن لي عائلة.

نور: عفوًا، لكني سأثأر ممن حرمني عائلتي.

سارا: هذا تحد!

نور: نعم، تذكري أنما حصل معك كان بسبب مختار.

سارا: أعلم، لذا سأعيد لم شملي بأمي وهذا مؤكد، لكن هذا لا يعني أبدًا أنني سأترككم تؤذون أبي. وكنصيحة صغيرة، لذا لا تحاولوا!

نور: وأنا لن أتنازل!

سارا: لنسوي الأمر -أخرجت سكينًا من كمها بخفه، ووجهته نحو عنق نور- لم لا أرسلك لتلمي شملك بعائلتك أنت أيضًا؟

كان مجد يتصبب عرقًا خوفًا من نحر تلك المجنونة بسكينها شريان نور كما فعل والدها. لكنه كان عاجزًا لأن نور لم تعطه الإشارة بعد!

نور: كما قلت لوالدك سلفًا، كان هناك تسع جثث!

سارا: لا أعلم التفاصيل، ولا أهتم -أعطت نور إشارتها- لكن إرسالك لعائلتك...

أخذ المخدر مفعوله!

نور: تعالوا...

وعندما حضرنا طلبت منا أن نقيد سارا جيدًا، وألَّا نعطيها أدنى فرصة، الثمرة الوحيدة التي جنيناها هي أنها تخلت عن فكرة قتل أمها، وهذا تقدم رائع!

نور: ستكون عائقًا؛ لذا يجب أن نضمن سكوتها!

أمل: إذا استدرجتها؟

قال وجهها: نعم.

أمل: كان بإمكاننا إسكاتها في المقهى.

نور: ما كنا لنعلم نياتها، ثم إنَّه لن يشك أحد أننا سنخبئها هنا.

مجد: كان واضحًا أنك أردت استدراجها، كيف وقعت في فخ بسيط كهذا؟

نور: لأنها...

زيد: لأنها تحت تأثير الصدمة. أليس هذا ما أردت قوله؟

قال وجهها: بلى.

سعد: الآن لن نستطيع العثور على جثة ناي.

نور: إذا لنعثر على من صنع تلك المادة.

سعاد: ماذا لو لم نستطع ذلك؟ نحن لا نملك الكثير من الوقت.

(إذا لم تعثر على دليل اصنع واحدًا) قالاها سعد ومجد في ذات الوقت.

مجد: أيُّ خطة؟

نور: اجمعوا نملًا واذهبوا به إلى مختار، خذوا معكم قارورة مملوءة، صوروا وجهه لأنه على الأغلب لن يتكلم.

أمل: من سيذهب؟

نور: سعد وزيد، زيد استخدم حيلة ما لتجعله يخرج أكبر قدر من الأدلة، سعد أنت تعرف كيف تقوم بعملك.

سعد: سنذهب حالًا إذا.

زيد: كيف سنصور وجهه؟

أمل: هذه النظارة بها آلة تصوير، يمنكم استعمالها.

***

سار كل شيء على ما يرام، استطعنا جمع ما يكفي من الأدلة عن كل قضية، حبسنا سارا وتأكدنا أن لا وسيلة لها للهرب!

خرجت نور من المستشفى بعد أن التأم جرحها إلى حد كبير لكن ليس تمامًا، بالتأكيد حرص الطبيب على أن نعتني بها جيدًا، كانت نظراتنا لها تقول (لن نسمح لك بفعل ما يحلوا لك هذه المرة)!

اليوم هو (24/نوفمبر)، وهو موعد محاكمة مختار أو لنقل من باب الشماتة (النرد الرابح)، بالتأكيد أُقْصِي القاضي الذي قبل الرشاوي سلفًا، وستقام محاكمته بعد مده!

لسنا مثالين، قمنا برشوة أحد عناصر الشرطة المسؤولين عن الحراسة ليضع الجهاز الذي صنعه زيد في أذن مختار، كانت هذه هي رغبة نور. دخلنا قاعة المحاكمة، وجلسنا في مقاعدنا.

بدأ المحاكمة، أدلى سعد بما لديه محافظًا على مبدأ (الدليل المناسب في الوقت المناسب) و (لا تكشف كل أوراقك، ودع الرابحة للنهاية).

بالتأكيد قابل المحام المدافع عن مختار هذه الأدلة بالنكران والطعن.

كنا متفاجئين من كيفية فعله لذلك لذا لم يكن أمام سـعد سـوى إظهار ورقته الرابحة ألا وهي شهادة ماريا!

المحام المدافع عن مختار طعن بشهادتها بطريقة ما، كنت أضع يدي على الزر الذي بضغطه ستنتشر كل هذه الأدلة والشهادات كما المرة السابقة، وكنت على وشك ضغطه لكن نور قالت: علينا القتال بنزاهة. ثم وقفت وقالت: أنا أشهد.

لا يا نور! كونك الضحية -في حادثة اليخت- لا يعني أنك شاهدة!

سألها القاضي بماذا تشهد؟

نور: رأيته منذ ثلاثة عشر عامًا في أثناء نثره المسامير.

كان ذلك مفاجأً، كانت نور تعرف من البداية!

مجد: طوال تحقيقنا كنت واثقًا أنها تخفي أمرًا.

سعاد: هذا يعني أنها لم تعلم عندما أخبرتها ماريا بذلك، بل من قبل الحادث حتى!

كانت نور تحمل ملامح لم أرها من قبل!

نور: رأيتك وأنت تفعل فعلتك، ولكني سكت وقتها كي لأن لا أحد سيأخذ بشهادة طفلة، جعلتني أراك وأنت تقتلهم بدم بارد بينما كنت عاجزة!

أصيب الجميع بالصدمة بما فيهم مختار، عرفنا لحظتها لماذا لم ترد لمختار أن يرى أحدًا منا؛ لأنه رآها بالفعل وقد يتذكر وجهها، لقد كانت تضحي بنفسها طوال هذه المدة، طوال ثلاثة عشر عامًا!

طلب القاضي منها وصفًا مفصلًا للحادثة، فأعطته ما يريد. ثم ختمت: سألته وقتها عندما تعجبت فعله، لا بدَّ وأنه يذكر ذلك.

حينها صرخ مختار بهلع (تلك الفتاة كانت أنت؟ عرفت أنني كان يجب ألا تأخذني بك شفقة، كان علي قتلك وقتها!)، تلك الجملة كانت كفيلة بإثبات كل الأدلة التي تم الطعن بها توًا!

لم يستطع وقتها المحامي الدفاع عن مختار، فحكم القاضي حكمه.

وبتزامن نطق القاضي للحكم -إعدام- مع تشغيل نور جهاز الموجات الصوتية أنطلق صراخ مختار الهستيري الذي سمع بالأفق!

أما نحن فقد وقفنا عاجزين، الدموع تغرق أعيننا، كانت لحظة نصر طال انتظارها، طال ثلاثة عشر عامًا!

كنت أستحضر ذكرا والداي لكن ليس بحزن الفقد إنما بفخر تحقيق الوعد كأخوتي تمامًا، إلا نور كانت على عكسنا، فهمت الآن ملامح وجهها منذ ثلاثة عشر عامًا، كانت تقطع وعدًا حينها، ولم تبك، لكنها الآن تبكي بحرقه كما لو أنها أجلت لوعتها لهذا اليوم!

اجتمعت ماريا مع أخواتها مجددًا، اجتمعنا وهنئنا بعضنا، حللنا الأصفاد عن يدي ماريا، وذهبنا بها لتقابل مولودتها التي لم تعرف وقتذاك حتى جنسها!

ترددت ماريا عندما همت بمقابلة ابنتها، وقفنا حولها نشجعها، لم تعلم كيف تقابل ابنتها الذي يفترض أنه أمر فطري في البشر!

كنَّا قد قيدنا سارا بإحكام قبل خروجنا، كانت تعلم تمامًا إلى أين نذهب.

كانت سارا تبكي بحرقة وقتها، سمعت أزيز الباب فعرفت أننا عدنا، أخذت تصرخ من خلف الباب بأعلى صوتها (أمي)!

كانت ماريا تقف خلف الباب بتردد، عيناها تذرفان الدموع بغزارة، جميعنا تأثرنا، أخيرًا استجمعت ماريا قوَّتها ودخلت عند ابنتها المقيدة، فكت الحبل الذي قيدها وقيدتها حضنها.

بالنسبة إلى سارا كان هذا لقاءًا مستحيلًا، عاشت طوال عمرها في دور الإيواء، وتخرجت وهي تؤمن أنها يتيمة الأبوين، ولم تلتق أو تعرف شيئًا عن عائلتها طوال هذا العمر، لكن بالنسبة لنا أمر كهذا سيضل مستحيلًا!

***

جمعنا حاجاتنا غير المهمة، وتوجهنا لمنزلنا -بيت التل- وفيه كل حاجاتنا المهمة.

عاد لنا المنزل بطريقة غريبة نوعًا ما، مختار حصل عليه غصبًا ثم باعه، لذا كان عليه تعويض المشتري ثم إعادة ما اغتصبه منا.

لم يكن المنزل هو من عاد، حتى الأموال كلها عادت، والآن نحن أثرياء يتوجهون لمنزلهم، روحنا ذكريتنا، أو ربما يكون أفضل وصف هو أننا عدنا لأنفسنا!

دخلنا منزلنا وأخذنا نتجول فيه، وكأنه متحف! سكنت هذا المنزل أرواح وذكريات من بعدنا، لكن الأصل موجود.

صـعدت للمنزل الذي سـكنته مع والداي، تجولت فيه ثم انتهيت في غرفتي، جلسـت أحدق نحو الباب، وأنا أنتظر أن تناديني أمي، وتقول: أمل... نور وسعاد تريدانك.

انتظرت وانتظرت، لكنني لم أسمع أي صوت ينادي علي.

فقدة هذه الجدران روحها، وأصبحت موحشة، مع أن الشمس هي نفسها التي تتسلل من النوافذ، والطير بنفس الصـوت، الأشـجار الهواء كل هذه الأشياء لم تتغير! حتى الأثاث لم يتغير كثيرًا، وذلك لأن من اشترى رأى أنه قديم وغير حضاري، نظر إليه باستصغار مع أنه كان كل شيء بالنسبة لنا.

دق مجد باب منزلي وساعدني في نزول الدرج.

تجمعنا في حديقة المنزل، بدأنا نتحدث كمن لا هم لهم، أعترف... الآن عادت تلك الروح لهذه الجدران!

مجد: بصـــراحة لقد مررنا بالكثير، ما زلت لا أســـتطيع تخطي الكلمات التي كتبتها نور في الوصية.

نور: لا تذكرها.

وقف بطوله وراح يسخر منها، ويقول: ظننت أنني ولدت لأثأر، لكن ربما حتى هذا لا أناله في حياتي، فقط عيشوا أحلامكم، ولا تحزنوا عليَّ.

سعد: وأنهتها بـ(فخورة بكم).

سعاد: على أية حال زال الخطر، لذا لن تضطري إلى التضحية بنفسك.

نور: بأسًا، ناكروا الجميل.

أمل: لسنا ناكروا الجميل، لكن جميلك في تلك اللحظات كان بإمكانه تقبيح حياتنا كلها، تفهمين؟

نور: يا إلهي... لا تليق بكم المحبة بتاتًا.

سعاد: إن كنت تعبرين عن حبك بتلك الطريقة فلسنا بحاجة لها.

فجأة قفز مجد من مكانه وصرخ بعد أن جلسَ مباشرة.

سعد: ما خطبك؟

مجد: هناك بقعة مبللة هنا!

سعد: ما هذا؟ تَبًّا لقد جلست عليها! رائحتها كريهة.

مجد: هل تبول بندق هنا؟

سعد: يا إلهي، أشعر بالغثيان!

مجد: ليس علي، تمهل، اذهب للحمام، انتظر لا تتقيأ هنا!

انفجر سعد ضحكًا...

سعد: انطلت عليك الحيلة، لم أتوقع أن هذا مسلٍ.

مجد: ما قصدك؟

سعد: كان ماءً، إنها نفس الحيلة التي فعلتها معي في الماضي.

كان يتكلم وهو يقهقه، نفذ مجد هذه الحيلة معه عندما كانا صغارًا.

نع أن هذين الاثنان شامخين مهيبين وقويين، باردين في التعامل مع الناس، لكن عندما يكونون معنا أو حتى وحدهم يعودون كالأطفال بسذاجتهم وعفويتهم!

حتى نور وسعاد في كل واحدة منهم قوة تكمن خلف ستار ضعفها، قالت سعاد بتذمر تعبر عن استيائها لأنها أصبحت راشدة، لكنها مرت بالكثير والكثير من المصاعب.

أفكر أحينًا أن أعمرانا لا يجوز أن يتم حسابها من تاريخ ولادتنا، بل من المواقف التي تجاوزناها، نور مثَلًا بقية صامدة رغم كل شيء مرت به، وصمودها بصراحة كان أكبر دافع لصمودنا.

نور تغيرت بعد المحاكمة كثيرًا، وكأن تلك القضية كبتتها طول هذه السنين! صارت تضحك وتغني وتجري وتتكلم كثيرًا وبحماس، لقد عادت لشخصها التي كانت عليه قبل الحادث، لكنها لم تفقد حكمتها ونظرتها الثاقبة للأفق.

في الليل عند وقت النوم خلدت إلى ســـريري، عم الهدوء المكان. هذا الهدوء لم أعهده منذ أن تركت المنزل، شـــعرت بالأرق، ليس لهم ككل مرة، لكني لم أعتد بعد على الهدوء، المدينة صاخبة جدًا مُقَارَنَةً ببيت التل المنعزل عن العالم!

حمل وسادتي وملاءتي، وذهبت أدق بابا نور.

تفاجأت بوجودي عند الباب... (كان من المفترض أنني متحمسـة للنوم في غرفتي بهدوء، لكن الأمر بدا موحشًا قليلًا.

نور: أدخلي، سأجد لك مكانًا.

أمل: حقًا؟

نور: نعم فعلًا.

بدت متحمسة جدًا.

أمل: لم كل هذه الفوضى؟

نور: لم أستطع النوم، لذا كنت أريد صناعة شيء آكله.

أمل: ماذا صنعت؟

نور: لا شيء.

أمل: يا للأسف، كنت متحمسة!

سمعنا صوت طرق على الباب.

نور: اذهبي وافتحي.

إنهم مجد وسعد وسعاد، (شعرنا بالوحشة لذا جئنا) هذا ما قالوه بعد أن تفاجؤوا بوجودي.

أمل: وأنا أيضًا، ظننتني سأستمتع بالنوم بهدوء، لكني لم أستطع.

مجد: هل يوجد مكان للجميع؟

قالت نور من داخل المطبخ: نعم، يوجد، يوجد.

يبدوا أنها وجدت شيئًا تعده، لاحظ مجد الأمر: ماذا تعدين؟

نور: شيئًا سيعجبك!

سعد: لا تقلقي، طالما أنه يؤكل فسيعجبه!

فتحت سعاد النوافذ فتسللت منه نسمات باردة.

سعد: رائع!

مجد: الهواء هنا نظيف ومنعش!

أمل: أنتما، يفترض أن تشعرا بالبرد!

نور: هذه الكعكة بمناسبة بلوغكم الثامنة عشرة جميعًا، لم تحصلوا على احتفال ساقًا لأننا كنا منهكين في القضية.

سعاد: هذا يعني أنني أصبحت راشدة؟ لا أريد.

كانت تتكلم بدرامية.

نور: علينا الآن أن ننطلق في حياتنا، ثأرنا ليس ما ولدنا من أجله، لنكن عظماء كأهلنا.

سعد: أنا سأستمر بالمحاماة.

مجد: علي أن أدير المؤسسة الأمنية التي حصلنا عليها كتعويض.

أمل: أظنني سأدير شركة الأغذية.

سعاد: سأفعل ذلك معك إذًا.

انتظرنا أن تتكلم نور، لكنها لم تفعل، لذا أخذنا نحدق بها ننتظر منها جوابًا.

نور: لا تحدقوا بي هكذا، أريد أن أســـافر لكل مكان في العالم، إنها أمنية والديَّ، كانا يقولان دائمًا أنني إن كبرت فسنجول العالم.

سعاد: سنذهب جميعًا إذًا.

مجد: فكرة جيدة، كنت أســمع من أبي أنه كان ينوي أن يســافر ويجول العالم، لكنه تخلى عن الفكرة عندما تزوج من أمي لأنه خاف من أن تتأذى خلال الســـفر، أذكر أنها كانت ترد عليه وتقول: إن لم تفعل مجد سيفعل. يا إلهي كل ما أتذكره هو مشاكستهما الدائمة لبعض!

سعد: من شابه أباه فما ظلم!

مجد: يا إلهي!

في المساء اجتمعنا بـ (حلفائنا)، حضرت سارا مع ماريا، كنات تنظر لنور بحقد طوال الوقت، سألتها المعلمة مَي عن نظراتها تلك فقالت: لا أنكر أنك كنت المسؤولة عن جمعي بأمي، لكني لن أسامحك على ما فعلته بأبي!

نور: لم أجمعك بأمك، نحن فقط جمعنا ماريا بابنتها، وأخذنا حقها من زوجها الذي ظلمها، البقية لا تهمني!

كانت نور تنظر إليها نظرة تحدٍ.

سارا: على كلٍ شكرًا لك.

هنا صار الجو أكثر ودية.

نور: لمعلوماتك... لا نزال أصدقاء.

سارا: أعلم ذلك، لكنني مضطربة قليلًا، أو بالأحرى كثيرًا، أنا هو الخروف في قصة الخروف والذئاب، الخروف الذي تاه في وادي الذئاب، فيتظاهر أنه ذئب كي لا تأكله الذئاب لكنه لا ينتمي إليهم، ولا يمكنه التعايش معهم، وعندما استطاع الخروف العودة للقطيع لم يتعرفوا إلى رائحته فظنوه ذئبًا وطردوه، فبقي الخروف لا هو الذي يمكنه أن يتعايش مع الذئاب، ولا هو الذي يستطيع العودة للقطيع!

ابتسمت نور: كعادتك، تتحدثين كثيرًا!

سارا: زرت والدي في السجن، ربما يسعدكم هذا الخبر، لقد حددوا موعد إعدامه، لكني لن أخبركم به!

سعد: أعلم سلفًا!

9/ديسمبر

يوم إعدام مختار.

الشمس تشرق بلطف اليوم، كنا نستعد للذهاب لنشهد حادثة إعدامه كأغلب الشعب. إلا سارا طبعًا، ولأنها لم ترد الذهاب لم تذهب ماريا.

في أثناء شروق الشمس كانت الديوك تصيح أكثر من العادة، حتى إنَّها بقية تصيح طوال اليوم، تقول نور أن أمها أخبرتها أن الديوك تصيح عند رؤيتها للملائكة!

أعدم مختار أمام الملأ لعله يصير عِبْرَةً لمن يعتبر!

عدنا إلى المنزل قبل غروب الشمس، أخذ بندق يحدق بنور طوال الوقت، لم نفهم ماذا يريد!

لاحقًا عندما نزلت للحديقة جاء إليَّ وأخذ يجر كرسيّ، كان يطلب مني اللحاق به.

لاحظنا إخوتي فتبعونا، رحنا نتبعه وهو ينزل التل، كانت السماء صافية، والقمر منير، أخذنا إلى شجرة الرمان.

وعندما وصلنا وجدنا نور متكئة برأسها على الشجرة!

نور: هل هناك شيئًا محددًا تريدون إخبار آبائكم به؟

قالتها وهي تنظر إلى العدم بعينين براقتين...

نور: اشتقت إليهم كثيرًا!

مجد: ما الذي أصابك يا نور، الجو بارد هنا، لنعد للمنزل!

نور: انتظر سأذهب معهم!

سعاد: مع من؟

ثم ابتسمت... وشيئًا فشيئًا اختفى بريق عينيها...

عوى بندق بقوة...

سمعت سعاد تصرخ...

(نـور)!

اقترب مجد من نور ومسح على عينيها بكفه يغلقهما، وقال: أخبريهم أننا اشتقنا إليهم أيضًا!

النـهاية؟

لا، هناك أحدث وحياة حتى بعد الموت، هذا فقط جزء من قصتنا!

إسم الكتاب: جَور الزمان

إسم الكاتبة: خيرات الأبرش

سنة الميلاد: 2005

الجنسية: سوريا

حساب الإنستجرام للكاتبة:

@khyrat_alabrash

دار رُقيّ للنشر الإلكتروني

EBIN:53-2-1-240615